

٥١٥٨
١

الحمارق نقفسي

الشفاء الإلهي
للقلوب الكسيرة



د. بروس
تومسون

طبعة أولى ديسمبر ١٩٩٦

"Walls of my heart"

«أعماق نفسي»

الشفاء الإلهي للقلوب المكسيرة

Author : Dr. Bruce & Barbara Thompson

تأليف : - د. بروس طومسون

Publisher : Crown Ministries International P.O. box 5278

BEUAVISTA, AR 22714 U.S.A

Publisher of the Arabic Edition:

الناشر للنسخة العربية :-

Lighthouse Book Center

مكتبة المنار

17, Murad El Sherei Str. Saint Fatima

١٧ ش مراد الشريعي - سانت فاتيما

Heliopolis - Egypt

مصر الجديدة - مصر

Tel : (02) 2495030 Fax.: (02) 3536377

ت : ٢٤٩٥٠٣٠ (٠٢) فاكس : ٣٥٣٦٣٧٧ (٠٢)

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الترقيم الدولي : 977 - 5674 - 06 - 9 - ISBN

رقم الايداع بدار الكتب ٩٦ / ١٤١١٢

طبع بدار نوبار للطباعة : ت / ٤٣٠٨٣١٦

س / ٥ / ١٩٦ / ٧ / ٥

أعماق نفسك

الشفاء الإلهي للقلوب الكسيرة

تأليف

د. بروس طومسون وباربرا طومسون

ترجمة

د. أوسم وصفى

المحتويات

صفحة

١	الفصل الأول : موقف غامر بالتحديات والبركات
٢١	الفصل الثاني : الجدار المائل
٤١	الفصل الثالث : فى مواجهة العواصف
٥٩	الفصل الرابع : الحصرم
٧٥	الفصل الخامس : الجدران الدفاعية (الرفض)
٩٧	الفصل السادس : الجدران الدفاعية (التمرد)
١١٩	الفصل السابع : أنماط مختلفة من الشخصيات
١٣٩	الفصل الثامن : خلف الأسوار
١٥٩	الفصل التاسع : إعادة بناء الأساس
١٧١	الفصل العاشر : العودة للآب
١٨٧	الفصل الحادى عشر : مقياس الله
٢٠١	الفصل الثانى عشر : القلب المعذب
٢١٩	الفصل الثالث عشر : النصر الكاملة على العدو
٢٣٥	الفصل الرابع عشر : بداية جديدة
٢٥٣	الفصل الخامس عشر : شخصية جديدة تظهر

الفصل الأول

موقف غامر بالتحديات والبركات

فى ظهيرة أحد أيام إبريل الحارة الرطبة. كانت حبات العرق تتجمع على جبهتى إذ كنت أسرع الخطى داخل مكان إنتظار السيارات. وكانت السماء فوقى تبدو ملبدة بغيوم تتزايد وتندثر بعاصفة إستوائية أخرى. وقلت لنفسى: «على الأقل سوف يخفض المطر من الرطوبة بعض الشيء» وقد لاحظت أن الإشراق المعتاد للنهار فى هاواى يقف منتظراً فى ترقب لتلك العاصفة أن تمضى.

وتسلل إلى أنفى عبق زهور البلوميريا إذ كان ذلك العبير يغزو الهواء حولى ويملاً أنفى برائحة طيبة.

دفعت الباب وخطوت إلى داخل مكتب المشورة مستمتعاً ببرودته المرحة وبدأت فى مراجعة جدول أعمالى فى الجزء الباقي من اليوم وكان الموعد الأول مع شخص يأتى للعبادة لأول مرة واسمه «لارى» كومبز LARRY COOMBS وفى تمام الثانية وصل ذلك الشخص. كان طويلاً نحيلاً ذا شعر أسود داكن مصفف بعناية. التفتُ إليه لأحبيه فلاحظت أن أصابعه الطويلة النحيلة تعبت بملابسه بعصبية وقلق كما أن لديه عادة مضغ شاربه الطويل بطريقة تنم عن التوتر وعدم التركيز.

وبالرغم من ضوء الحجرة الخافت إلا أنه - لدهشتى - لم يحاول
خلع نظارته الشمسية وتساءلت فى نفسى «كيف يمكننى أن أخترق هذا
التحفظ والقلق؟»

ماذا عساي أقول حتى أجعل هذا الشخص يسترخى قليلاً ويخفض
بعض من دفاعاته؟

موقف صعب

وقد كنت أقابل زوجة «لارى» لعدة أسابيع مضت وهى سيدة
مسيحية مؤمنة تعيش على حافة الانهيار. فقد كان نمط حياة «لارى»
بما فيه من إدمان الكحوليات والمخدرات، لا يدمر مواردهم المالية فقط
بل حتى علاقتهما الزوجية وقد كنا نصلى معاً من أجل «لارى». ومنذ
يومين فقط اتصلت بى تليفونياً وهى فى قمة السعادة والإثارة لتقول لى
أنه قد وافق أن يقابلنى.

والآن وهو مائل أمامى مسترخياً على الكرسي البرتقالى الوثير
مشيحاً بوجهه بعيداً تساءلت كيف يمكننى مساعدة هذا الشخص.
ولكننى بدأت المحاولة بأن وجهت إليه بعض الأسئلة الاستكشافية.
«لارى» ... هل كان والدك يقضى معك وقتاً؟ هل كان يقومك؟ هل
كان يؤدبك؟...

كان على أن أميل بجسمى كله مقترباً منه لكى ألتقط بصعوبة
كلماته التى جاءت مضغومة وتكاد تكون غير مرتبطة. وبعد دقائق بدا
وكأنه لا يستطيع أن يصمت أكثر من ذلك فنهض فجأة وراح يمشى فى
الحجرة جيئةً وذهاباً بسرعة وشلال من الكلمات يندفع من فمه.

«أبى. هه! إنه لم يهتم بى مطلقاً. لقد كان كل ما يفعله بين الحين والآخر هو أن ينهال علىّ ضرباً إلى أن يطرحنى أرضاً. ولم أستطع أبداً أن أعرف متى سوف يفقد أعصابه فكان كثيراً ما ينفجر فى دون سابق إنذار ثم قبض بفيه على شاربه بعصبية قائلاً: «لا أستطيع أن أتذكر أبداً أنه قال لى إنه يحبنى!»

وبينما كان «لارى» يمشى بعصبية رائحاً غادياً فى الغرفة الصغيرة، أضاف قائلاً: «إننى أتذكر عندما آه. سرقت شيئاً. مجرد شيء صغير جداً.

جن جنون أبى وغضب لدرجة أنه دفعنى أمامه إلى قسم البوليس وتركنى هناك لمدة أسبوع. وقال إنه - كان يريد أن يعلمنى درساً. ولقد تعلمت بالفعل درساً! فقد عاهدت نفسى منذ ذلك اليوم ألا أتق بهذا الرجل مطلقاً! ومع أننى لم أستطع أن أرى إلا جزءاً صغيراً من وجه «لارى» الذى كان لا يزال مختفياً خلف نظارته الشمسية إلا أننى أستطيع أن أقول إن وجهه كان جامداً بارداً كالرخام.

وسألته: «كم كان عمرك يا «لارى» عندما حدث هذا؟»

أجاب: «حوالى اثنتى عشر أو ثلاثة عشر سنة،

ولاحظت أنه كان قابضاً يديه فى عصبية وهو يقول بمرارة: «لقد كان ظالماً جداً، قاسياً جداً! لم يكن يفكر إلا فى نفسه دائماً. وحالما استطعت أن أعتمد على نفسى. هربت من البيت.»

ثم عاد «لارى» وغاص فى الكرسي الكبير وصمت وباءت بالفشل كل محاولاتي أن أجعله يكمل كلامه عن نفسه. وبات واضحاً أنه لم يستطع أن يثق بى أكثر من ذلك حتى يعطنى المزيد من المعلومات.

عندئذ قرعت السكرتيرة على الباب معلنة أن صاحب الموعد التالي قد حضر. قلت للارى: «انتهى وقتنا اليوم يا «لارى»». وحاولت أن أخفى إحباطى. فقد بدت على وجهه نظرة ارتياح ونهض متوجهاً لمقبض الباب. قلت له: «لارى»، أود أن أراك ثانية.. فأجاب متمماً وهو يخرج من الباب: «حسناً».

جلست بعد ذلك بمفردى فى المكتب، ونظرت للملاحظات التى دونتها بسرعة عندما كان «لارى» يتحدث. لقد كان متحفظاً جداً فيما يكشفه لى حتى أننى كنت متحيراً كيف يمكننى أن أساعده؟. لقد كتبت عدة كلمات فى دوائر مثل: لا يشعر بالأمان، خائف، قلق، إذلال. ويبدو أن شيئاً ما فى ذلك القلق المكتوم فى هذا الإنسان أعادنى لذكرياتى المؤلمة عندما كنت فى الثامنة من عمرى.

ذكريات قوية

لقد عاد المشهد إلى ذاكرتى مفعماً بالحياة وكأنه حدث بالأمس رأيت معلمة الصف الرابع، بقامتها الفارعة الواثقة وشعرها الخفيف الذى يزحف عليه الشيب. لم تكن بالطبع من المعلمات اللاتى أحبهن.

فى صباح أحد الأيام طلبت منى أن أذهب وأعرف لها الوقت من أحد الفصول الأخرى. لقد كانت ساعة المدرسة كبيرة ومستديرة ولها عقارب سوداء ضخمة واضحة لذا فقد بدا الطلب بسيطاً. ولكننى عندما أسرعرت إلى الدهليز الخشبي الواسع صدمتنى المفاجأة - أنا لا أعرف أن أقرأ الوقت! وبينما كنت أحملق فى ساعة المدرسة العملاقة. كنت

أصارع تياراً متصاعداً من الخوف داخلي . كيف أعترف بهذه الحقيقة أمام الفصل كله؟ ومضت الدقائق تحدث صوتاً خفيفاً منتظماً وأنا واقف أصارع مع نفسي . وأخيراً خطرت لي فكرة - ربما أستطيع أن أخمن الوقت الصحيح! وعدت للفصل وعندما توجهت كل العيون نحوي منتظرين الإجابة . فتمتمت متلعثماً: «م م م . آه . السادسة» وفي الحال نظرت إلى المدرسة وقد رفعت حاجبها بقدر ما تستطيع . وفجأة ابتسمت وهنا انفجرت ضحكات التلاميذ المكبوتة وضح الجميع بالضحك . عندئذ شعرت بحرارة وجهي وهو يحمرّ خجلاً وشفقتي وهما ترتعشان وهرعت إلى مكاني وأنا أمسح يديّ المبللتين بالعرق في قميصي محاولاً أن أختفي عن الأنظار وراء كتبي وكراريسي . ولكي تزداد الأمور سوءاً، كانت المدرسة بين الحين والآخر تستخدم نقطة ضعفي هذه كمادة للفكاهة لتشجيع بها المرح في جو الفصل . وكما كان يحدث ذلك أزدت أنا خوفاً وانسحاباً وبمرور الوقت . أصبحت أشارك في الفصل تسبب لي مغطاً وكأنما نتعقد أمعاني مائة عقدة عندما كنت أخطيء كانت تضربني على ظهر أصابعي بالمسطرة حتى صرت أرتعب من هذه السيدة فلا أستطيع حتى أن أنظر إلى وجهها .

عقدة شائعة

وعندما تذكرت ألمي السابق أعطاني هذا بصيرة جيدة فقد رأيت تشابهاً بين القصتين . وهو الصراع مع شخص يمثل السلطة . ففيما كنا ننتظر الحب والفهم لم نجد سوى الظلم والجروح .

لقد قضيت سنوات طويلة في التعامل مع هذه المشاعر التي كانت

تهزنى بعنف. وعندما غمرتني تلك المشاعر، قررت أن أبعد تلك الملاحظات وأتھياً للجلسة القادمة.

وبعد ذلك بأسبوع، عاد «لارى» مرة أخرى. وبرغم السحب الرمادية الكثيفة التي منعت أى شعاع من الشمس من أن يخترق الغرفة المظلمة إلا أن «لارى» كان لا يزال مختفياً خلف نظارته الشمسية.

ولكنه أصبح أقل خوفاً وقلقاً فقد استرخى على الكرسي أمامى وبدأ يتحدث بحرية أكثر. وإن كنت لازلت أستشف منه إحساسه الداخلى بعدم الراحة إلا أنه على الأقل لم يعد يمشى فى الحجره فى عصبية كالأسد الحبيس.

أفضى لى «لارى» أنه عندما كان مراهقاً كان من الهيبيز وألقى بكل كيانه فى أحضان المخدرات والحياة اللا أخلاقية وسرعان ما تورط فى الجريمة ليحصل على المال اللازم لإدمانه، وتنقل من علاقة لأخرى تاركاً وراءه علاقات محطمة وجروحاً لا حصر لها. وهو الآن متزوج وله طفل ويحاول أن يثق بالناس ولكنه ينفجر غاضباً كلما تعرض لجرح أو إحباط.

تقدمت مقترباً منه وسألته. «ماذا تشعر حياى ما يحدث لك الآن؟».

تحرك «لارى» بتوتر فى كرسيه وقرع بأصابعه على جانب الكرسي الخشبى وقال «الوحدة. إننى أشعر بالاكنتاب والخوف أيضاً. الخوف. ما قد أفعله مع زوجتى أو طفلى فى إحدى نوبات غضبى العارمة.»

أومات برأسى بينما أكمل «لارى» الحديث. وبنهاية هذه الجلسة كنا قد أصبحنا نتحدث باسترخاء. وعندما أنهيت الجلسة بالصلاة وأقبلت

نحوه وأمسكت بكتفه . وضغطت عليه . بدت ابتسامة خفيفة على شفتيه وهو يعد بأن يعود في الجلسة التالية .

وعندما أصبحت وحدى في المكتب جلست متأملاً فيما سمعت وواجهت تحدياً لم أواجهه من قبل . لقد كانت هناك أشلاء كثيرة ممزقة في حياة «لارى» . هل يمكن أن تلتئم هذه الحياة مرة أخرى؟ لقد كان الأمر يحتاج لسحر كما يستعيد الساحر جسد الفتاة التي مزقها بالسيف . وواجهت ذلك التحدى وحدى فصرخت «يارب إنى أحتاجك، أحتاجك لكى تفتح الباب لهذه الحياة من جديد بعد أن سحقت فى الألم والمرارة» ولم أكن أعلم أن هذه يمكن أن تكون بداية إعلان مجيد ومرحلة جديدة فى خدمتى .

العثور على الإجابات

عندما عاد «لارى» لجلسة المشورة الثالثة له، شعرت أن لدى شيئاً جديداً أقدمه له . فقد طلبت الرب منذ كنت معه المرة السابقة وشعرت أن هناك بعض المفاتيح لمشاكله يريد الله أن يكشفها لنا .

- «أهلاً .. عامل أيه؟» قال «لارى» هذا وهو يدخل الغرفة وألقى بنفسه على الكرسي مسترخياً وهو يتنهد تنهيدة بسيطة .

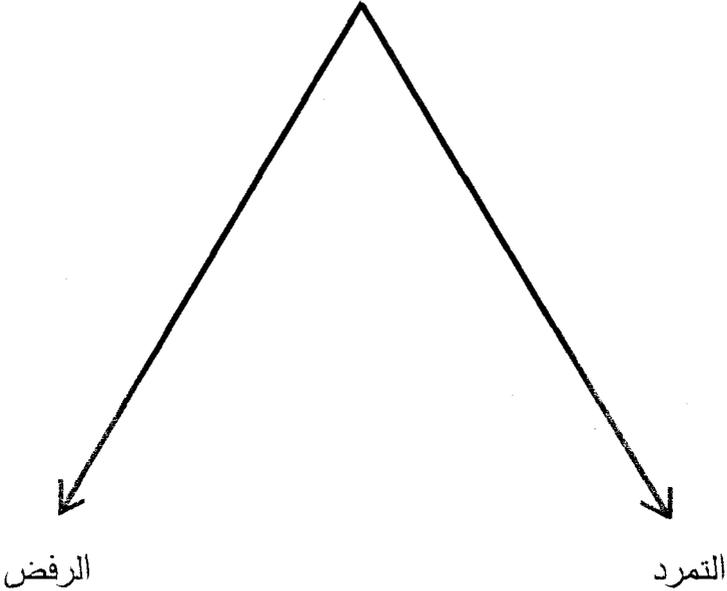
أجبتة «بخير . شكراً يا «لارى»» محاولاً بكل قوتي أن أخفى شعوراً غامراً بالارتياح لطريقته واسترخائه . وأضفت «كيف كان الأسبوع الماضى؟»

- أفضل، لقد فكرت كثيراً فيما تحدثنا عنه المرة السابقة .

وأضاف: «نعم . لقد تحدثت عن بعض الأمور مع زوجتى»

وهكذا بدأنا الحديث عن العلاقات، وسألته إذا كان قد اختبر علاقة حب من قبل. فhez رأسه بالنفى قائلاً: «لا، لم تكن لى أى علاقة حب، إلى أن قابلت زوجتى» ومضى يصف كيف وقفت زوجته بجانبه ورفضت أن تهجره مهما كان الأمر. وكيف أنها بدلاً من أن تنتقده وتدينه كما كان الآخرون يفعلون، كانت هى أول شخص يحبه ويرعاه بصدق.

وقال «لارى»: «لقد كان صعباً على أن أقبل هذه المحبة، لقد كنت دائماً أشعر أنى وحدى ولا يهتم أحد بما يحدث لى.» وعندما استرسلنا فى الحديث عن حب زوجته له وماذا يعنى ذلك الحب بالنسبة له وجدت «لارى» يتناول نظارته الشمسية ببطء وتروٍ ويخلعها.



وكانت هذه أول مرة أرى عينيّ «لارى»: عياناً بنيتان داكنتان تميلان للسواد كانتا مبللتان بدموع قليلة ومملؤتان بفراغ موحش!

ففتح جديد! أردت أن أقفز مهلاً من الفرحة ولكن بدلاً من أن أفعل ذلك صليت سراً صلاة شكر قصيرة. واستمر «لارى» يتحدث عن علاقته المحطمة مع والديه وبعض الصعوبات مع زوجته بينما توجهت أنا نحو السبورة المعلقة على جدار مكتبي. وفيما أنا أتأمل في مدى التأثير الأبوي على حياة «لارى» التقطت قطعة طباشير وبدأت في رسم بعض الخطوط دون أن أدري تماماً ماذا كنت أفعل. فجأة بدأت أفكارى تتبلور. رسمت خط يميل ٤٥ درجة يمثل الرفض في حياة «لارى». وعندما بدأت أسترجع في ذهني تلك الذكريات المؤلمة في حياة «لارى»، رأيت أن مدى التمرد في حياته وتورطه في المخدرات والجريمة، نبع أساساً من إحساسه بالرفض.

ومن نهاية هذا الخط، رسمت خطأ آخر مائلاً لأسفل ليصنع الخطان معاً رقم (٨) إذ يلتقي الخطان في القمة وكان هذا الخط الثاني يمثل التمرد (أنظر الرسم ص ٨) وعندما تكلمنا معاً عن هذا الرسم، بدأت أرى الارتباط بين ممثل السلطة المهيمن في حياة «لارى». فقد تلقى «لارى» الرفض من والده والوقت الذي قضاه في الحبس جرح نفسه وروحه. فتعاهد مع نفسه ألا يثق بوالده مرة أخرى.

واستطعت أن أرى تأثيرات هذا العهد واضحة في حياة «لارى» فقد أصبح الآن لا يستطيع الثقة بأى إنسان وكان تمرداً وانغماسه في حياة الفجور والجريمة والإدمان هو تعبير عن رفضه المضاد. وتقدم «لارى» منحنيماً في كرسيه ونظر بتركيز للسبورة ولمعت عيناه بوميض من الرجاء.

«آه. كلام معقول!» قالها «لارى» وقد لاحت ابتسامة على وجهه. وبدأت أبحث فى صفحات الكتابى المقدس لما أقول وتسارع ذهنى يسبق أصابعى فأخيراً بدأت أجمع بعض الأجزاء المفقودة من لغز حياة «لارى» الشديدة الشبه بحياتى.

لقد كان واضحاً أنى عثرت على حقيقة هامة جداً فيما يتعلق بتأثير ممثلى السلطة فى حياتنا. وعندما غادر «لارى» المكتب بعد ذلك، علقت سكرتيرتى على ابتسامته وعينيه المشرقتين. فغمرتنى السعادة البالغة.

عملية الشفاء

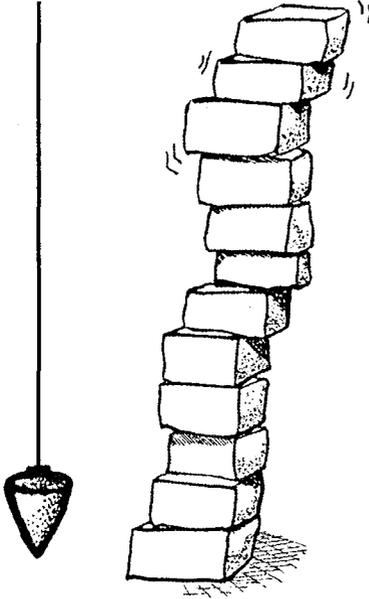
وفى الأسابيع التالية، كنت أرى «لارى» بصورة منتظمة ورويداً رويداً بدأت بإصرار أكشف أمامه مقاييس الله للحياة كما جاءت فى الكتاب المقدس وبدأ «لارى» يتغير. أصبحت عيناه أكثر صفاءً وسرى سلام جديد فى كل كيانه ليحل محل التوتر والقلق. وأخذته فى خطوات من التوبة مساعداً إياه أن يرى مسئوليته عن الإختيارات التى اختارها والتى اجتذبت له لأعماق اليأس والفشل.

وشرحت له كيف أن «التوبة» تعنى أن تتحمل مسئولية حياتك وتتخذ قراراً واعياً وأن تتحول عن الممارسات التى تدمرك إلى الحياة الصالحة المكتملة النقية.

وأشرت عليه أن يقرأ الكتاب المقدس يومياً لكى يحافظ على ما قدمه الله له من رحمة. وعندما جاءنى للمرة الأخيرة كان «لارى» شخصاً جديداً تلامس مع الله فى أعماقه وروحه وغير الله عذابه وأبدله سلاماً.

تحد جديد

لقد شعرت أن حياة «لارى» وغيره ممن يأتون في طلب المساعدة تتحداني كيف يمكنني أن أساعد «لارى» ومن هم في مثل حالته؟ ما هي الأدوات التي استخدمها؟ وهكذا بدأت أفتش في الكتاب بكل أمانة



لكي أجد حلولاً وأعلانات جديدة وفي أحد الايام اكتشفت حقيقة مثيرة تتعلق بما رسمته على السبورة في ذلك اليوم فالأصحاح السابع من سفر عاموس يتكلم عن إسرائيل باعتباره حائطاً معوجاً ولا يستقيم مع الزيج الذى يمسك به الله. والزيج (ميزان الخيط وهو خيط في آخره ثقل) يستخدمه البنائون لكي يتأكدوا من استقامة الحوائط رأسياً.

وعندما تتبعت هذه الفكرة، رأيت أن الخط الذى رسمته ويمثل الرفض في حياة «لارى»، كان زيجاً خاطئاً وهكذا الخط الذى يمثل التمرد فقد كان الخيطان خارج خطة الله. الزيج الإلهى الذى يقع في مكان ما بين الخطيين الإنسانيين الخاطئين. وهذا هو المكان الذى كان «لارى» يبحث عنه ولا يجده بل كان على العكس يذهب كل مرة مع أحد الخطيين المائلين، الرفض أو التمرد. اللذان أثرا في حياته عن طريق والديه

وغيرهم من رموز السلطة فى حياته. وعندما جاء «لارى» لمكتبى، كانت حياته تتأرجح كحائط مائل يندثر بأن يهوى فوق رأسه وفى نفس الوقت وجدت نفسى على أعتاب إعلان هام كان يبنى تدريجياً فى حياتى على مدار سنين كثيرة، دون أن أدرى. وكانت حياة «لارى» بمقابلة مفتاح أشاع نور الإعلان فى ظلام حياتى الماضية.

كانت الشمس فى ذلك الصباح تسطع على صفحة البحر الشاسعة وتتألأل مياهه عاكسة كل ألوان الطيف الزاهية. لقد كان نهاراً جميلاً دافئاً والسماء صافية بلون أزرق جميل.

جلست على كتلة صخرية مدلياً قدمى فى المياه الضحلة التى خلفها المد تاركاً جسدى يتشرب بشمس هاواى الدافئة.

فى ذلك الوقت كان عقلى منشغلاً جداً يجوب دهاليز حياتى بينما كانت أسرتى تلهو على الشاطئ وأطفالى يبنون بيوتاً وقلاعاً من الرمال.

بالأمس فقط قلت للارى إنه لا يحتاج لرؤيتى مرة أخرى وهذه بالنسبة له لم تكن النهاية بل البداية ولاحظت أيضاً أنها البداية بالنسبة لبحثى عن إعلان أكبر وأعظم. لقد استشارتنى حياة «لارى» لكى أنظر للوراء لحياتى بطريقة جديدة وعندما جلست مسترخياً تحت أشعة الشمس، سمحت لأفكارى وذكرياتى أن تأخذنى للماضى.

ماذا عسانى أفعل بحياتى ، يارب ؟

لقد صرت مؤمناً فى سن الثالثة عشر من خلال خدمة «الشباب الناشء» وبعد ذلك بسنة، بدأ الله يكلمنى عن أن أكون مرسلأ وكان

ذلك في مؤتمر للكتاب المقدس تابع للكنيسة المعمدانية في ديف
كمبريدج، بنيوزيلندا.

وصارعت لمدة سنين من الدراسة بدت وكأنها لا تنتهي حتى
أصبحت مؤهلاً لدخول الجامعة وعندئذ صدمني هذا السؤال - ماذا
عساي أفعل بحياتي؟ لم تكن فكرة دخول الجامعة سارة بالنسبة لي لذا
فكانت مفاجأة عندما سألني أحد أصدقائي إن كنت قد فكرت في دخول
كلية الطب.

«الطب!» ضحكت. «هذا كثير! بالتأكيد أنت تمزح! لقد سئمت من
الدراسة!»

ولكن على مدار الأسابيع التالية، وجدت أن هذا التعليق لا يزال
عالقاً بذهني بل وثابتاً. كلمات الكتاب المقدس كانت تلمع أمامي حتى
تكاد تقفز من الصفحات. كما أن تعليقات الآخرين كانت تؤكد اقتناعي.
ثم اكتشفت أن المواد الثلاثة الجديدة التي إخترتها بالصدفة لدخول
امتحان القبول بالجامعة، كانت - علم الأحياء، والطبيعة والكيمياء -
وكانت هذه العلوم هي بالتحديد ما أحتاجه لأدخل كلية الطب! لقد
كان الله يؤكد بوضوح دعوتي للطب، عكس تصوراتي تماماً. فبدلاً من
أن أذهب لحقل الخدمة الإرسالية دون تدريب سوف أصبح طبيباً
مرسلاً.

وعندما بدأت دراستي التمهيدية لدخول الطب كنت أذاكر بضمير
حي من الفجر حتى ساعة متأخرة من الليل فقد كانت المنافسة حامية
والتحدي شديداً حيث أن نسبة ضئيلة جداً من المتقدمين سوف يقبلون
في كلية الطب.

لذا لم تكن مفاجأة لي أن أفضل في التأهل في نهاية السنة. وقبلت هذا باعتباره أمراً طبيعياً وصممت أكثر على النجاح.
ومرة أخرى كرست نفسي لساعات طويلة من المذاكرة لكي أتقدم للإمتحان مرة أخرى.

وبمجرد انتهاء الإمتحانات، كنت أنتظر النتيجة بترقب ونفاذ صبر وما حدث بعد ذلك ظل محفوراً في ذهني بشكل حيّ وواضح لا يمحي. ففي صباح يوم إعلان النتيجة، استيقظت مبكراً وأخذت دراجتي البخارية الصغيرة وهرعت بها مخترباً المدينة وأنا مُفعم بالترقب والانتظار ووصلت مبكراً لأنضم لمجموعة من الطلبة الذين تجمعوا في الفناء المواجه للوحة إعلان النتيجة وبسرعة نظرت إلى القائمة المرتبة بحسب الحروف الأبجدية أين اسمي؟ وفزعت إذ لاحظت أن اسمي ليس موجوداً. وهذا ليس له سوى معنى واحد هو إنني رسبت مرة أخرى!

ألم الرفض الرهيب

هالتني الصدمة ووقفت مذهولاً أحاول أن أغالب دموعي حتى لا تنهمر. لقد لاحظت أنني بالرغم من أدائي الجيد لم أستطع بعد أن أقبل بين تلك الصفوة وبأقدام ثقيلة كالرصاص وقلب متقل بالهموم تراجعته ذاهباً من حيث أتيت وعاصفة رهيبية من الألم بدأت تهب في داخلي.

«إنني فاشل. لقد كنت دائماً أعرف ذلك. أنا غيبى! لا فائدة!»
وغمرني فيضان من أفكار إدانة النفس والإشفاق على الذات. كنت مستعداً أن أكف عن ذلك السعي السخيف وراء حقل الإرساليات! كل الأفكار السلبية التي جالت في ذهني عبر السنين تجمعت كلها في ذلك

الوقت وتركزت في عقلي مكونة بشدة ذلك الإحساس بالفشل وعدم القيمة .

وبدا لي النظام بأكمله خاطئاً جداً. لقد ذاكرت بكل قوة ربما أكثر من الكثير من زملائي الذين جاءت أسماؤهم في القائمة . وقد علمت بعد ذلك إنى اجتزت الامتحان ولكن في ذلك الوقت كنت أتألم متساءلاً: «لماذا لم يقبلوني؟»

والقيت بنفسى بجانب جدول مياه صغير في داخل فناء الجامعة . وبدأت أفرغ مشاعري المكبوتة بأن أصرخ ألى الله .

«أين أنت يارب؟ ألا تهتم؟» وكنت أعبث في الأرض بإبهامى محاولاً التخفيف من الألم والإحباط وبدأت ألوم الله . «لقد أتيت إلى هنا فقط لأنك دعوتنى . والآن قد خذلتنى . لماذا؟»

ولمدة أسابيع كنت أصارع وأتساءل من هو الله؟ وما هى طبيعته؟ تماماً كأيوب فى القديم كنت أطالب بتفسير . وإذا لم أجد تفسيراً فمن الطبيعى أن أترك الدراسة وأتجه للإرسالية . لا بد أن الأمر هكذا! وشعرت وكأنى حاصرت الله فى ركن حيث لا يمكنه الهرب وهكذا قررت أنه يجب أن أترك الدراسة وأتجنب سنوات طويلة من الدراسة المضنية .

وهكذا بدأت أشعر بالإرتياح لمخططى المرسوم . ولكن الله فجأة جاء من الركن الذى حاصرته فيه فى إحدى الليالى ويكتنى تبيكيتاً غامراً فعندما كنت أصلى أرانى الله أننى سوف أكون بلا ثمر إذا ذهبت لحقل الإرساليات وأنا أحمل بين ضلوعى قلباً لم يتعلم بعد هذا الحق الأساسى وهو أن «الطاعة أفضل من الذبيحة» .

الاستسلام لمشيئة الله

وببطء بدأت أرى أن الله يهتم بمؤهلاتى الروحية أكثر من الشهادات التى سوف أحملها معى. لقد كان يأمرنى أن أطيع. وبقلب متثقل بدأت أحمل نفسى حملاً عائداً مرة أخرى لروتين المذاكرة الطبية القاسى.

وعلى مدى السنين الست التالية، جاهدت وصارعت مع الكتب والمراجع مصمماً على النجاح مهما يكن الثمن. وقد كان يوم الانتصار والغلبة عندما حصلت على شهادة فى الطب وكان سنى وقتها ٢٨ سنة. فبعد سنين طويلة من المذاكرة الشاقة وصلت لهدفى فى النهاية وهو أن أصير مرسلأً طبيباً.

ولمدة سنة، سافرت مع الهيئة متعددة الطوائف (شباب له رسالة Y.W.A.M.) للكرازة فى بلاد مختلفة من العالم وانتهى بى المطاف فى غانا بغرب إفريقيا. وهناك أصبح الباب مفتوحاً للعمل مع حملة الكرازة العالمية (WEC) وكما كان الحال فى (YWAM) هكذا أيضاً فى WEC كان الهدف هو الكرازة لكل أمم العالم المختلفة. ومع زوجتى باربارا بدأنا خدمة طبية متنقلة نواجه فيها يومياً تحديات توصيل الإنجيل للقبائل البدائية الذين هدفهم الأول فى الحياة هو الحصول على الطعام والماء ليبقوا على قيد الحياة. وخلال صراعنا لكى نتواصل معهم، اكتشفنا طريقاً إلى قلوبهم من خلال الطب وشهدنا كنائس كثيرة تبدأ وتنمو حيث لم يكن هناك أى كنائس على الإطلاق.

وبعد ذلك بأربع سنوات رجعنا لنيوزيلندا لنقضى سنة كنا نعتقد أننا سوف نستريح فيها ولكن على العكس وجدت نفسى متورطاً بشدة فى عمل طبي عام حيث كنت أرعى مرضى كثيرين كل يوم وعندما كنت

أقابل مشكلة صحية كنت أصلى سراً طالباً من المسيح أن يرشدني للتشخيص الصحيح والوصفة الدوائية المناسبة ولكن إحباطي الشديد جاء عندما لاحظت أنه بدون تغيير حقيقي في نمط حياة المرضى فسوف يعودون بسرعة وقد عاودهم المرض مرة أخرى.

و ذات يوم جاءتني فرصة أن أشارك متاعبي مع شيوخ الكنيسة التي كنت أذهب إليها ولم يعرضوا على فقط استخدام مبنى الكنيسة بل عرضوا على أيضاً أن يشترك بعض الخدام معي أنا وزوجتي فيما أصبح بعد ذلك مركزاً للمشورة والرعاية الصحية. ولم يمض وقت طويل حتى تطلب العمل الكبير بالمركز أن أستقيل من عملي الخاص وأصبح متفرغاً لهذه الخدمة الطبية. ووصلت هذه الأيام بنا إلى قمة الإشباع عندما قرر الله أن يقطع ما ظننا أنها خدمة حياتنا - ودعانا لنذهب إلى هاواي وأكد لنا ذلك شيوخنا المتحفظون. ووجدنا أنفسنا بعد مرور ١٨ شهراً من بداية خدمتنا هذه نطير في إحدى طائرات الخطوط الجوية النيوزيلاندية متوجهين إلى هونولولو.

آفاق جديدة

قالت مضيئة الطائرة في نهاية الرحلة: «مرحباً بكم في كونا!» وفتحت لنا باب الخروج بينما كانت الموسيقى الخفيفة تنساب في الطائرة. وتمتعت في سري، «كونا هاواي! مستحيل» فالأرض تبدو وكأننا هبطنا على القمر فعندما نظرت بعيني من النافذة رأيت رقعة سوداء كبيرة من الصخور البركانية! وتعاقبت موجات من أشعة الشمس الحارة تومض عبر مهبط الطائرة كما ظهرت في الأفق الجبال أما إلى اليمين من مهبط الطائرة فقد تكسرت أمواج المحيط الهادى على شاطئ

متعرج من الصخور. وكانت زوجتى باربارا تصارع مشاعرها المضطربة بالإضافة إلى طفلنا البالغ من العمر ثلاث سنوات، مايكل، وهو طاقة متوثبة تتحدانا كل لحظة. وحملت طفلنا الآخر البالغ من العمر خمسة أشهر وهممت بالخروج من باب الطائرة.

ولم يخطر ببالي وأنا أخرج من الطائرة فى ذلك اليوم من شهر يناير سنة ١٩٧٦ أننا سوف نبقى أكثر من عقد من السنين فى هذا المكان - هاواى -! لقد أرسلتنا كنيستنا فى بالميرستون نورث. نيوزيلاندا للخدمة لثلاث سنوات حتى يمكننى أن أساعد فى تأسيس برنامج طبي لهيئة YWAM وكان المطلوب هو إقامة وحدة طبية متنقلة يمكن أن تحمل على ظهر سفينة أو تؤخذ لأى مكان فى العالم. ولكننى سرعان ما وجدت أن الله عنده خطة أخرى لحياتى. فبعد عدة محاولات فاشلة للبدء بهذا العمل، تسلمت خطاباً من المجلس المنوط به التصريح لى بالعمل كطبيب فى هاواى يفيد بأنه لكى يصرح لى بالعمل يجب أن أقضى ثلاث سنوات فى إحدى المستشفيات المعتمدة بالولاية وذلك بالإضافة إلى دخول الإمتحانات النهائية مرة أخرى!

شعرت عندئذ بالحيرة والإرتباك فما أنا الآن مع زوجة وطفلين على بعد أميال من الوطن، واثق من قيادة الله ولكنى أجد أن الباب يصفع فى وجهى هكذا ببساطة! ومما زاد الأمور سوءاً أن باربارا كانت مقتنعة بأنى أسبق إرشاد الرب لى ولا أنتظره بما فيه الكفاية لذا واجهتنى برأيها وكان رد فعلها غاضباً وساخطاً فهتفت «حسناً! لنحزم إذن أمتعتنا ونعود أدرجنا للوطن».

لم تكن هاواى هى الفردوس المفقود بالنسبة لنا وأضافنا محاولات YWAM وصراعها من أجل بقائنا فى هذه الأيام الأولى المزيد من

المبررات لقناعة باريارا بأننا أخطأنا بتركنا خدمتنا المشبعة في نيوزيلاندا.

المشابهة

تأرجحت كثيراً في تفكيرى المنقسم إلى فكرتين رئيسيتين: هل سمعت فعلاً صوت الله، أم كان هذا مجرد افتراض؟ هل نعود لبلادنا أو لا يزال لدى الله فكر آخر؟ وإذا اشتد الصراع، بدأت أراجع إرشادى وظروفى ولكن وسط كل الأصوات المتصارعة داخلى، لم أستطع أن أرحزح ذلك الإعتقاد الداخلى الذى شجعنى كثيراً وفى النهاية، صارعت حتى وصلت لقرار بأن أبقى وأواجه المصاعب متمنياً أن تظهر بعض العلامات المشجعة على الطريق لترشدنى.

ولم تظهر هذه العلامات إلا متأخراً جداً. وفى الفترة السابقة لها بدأنا وكأننا فقدنا كل شىء فلم تكن هناك خدمة ولا عمل على عكس انشغالنا الكامل عندما كنا فى نيوزيلاندا. وبالإضافة لهذه المصاعب حدثت حادثة لإبنتنا الأكبر اقترب فيها من الموت فقد كان يلعب مع بعض الأصدقاء عندما سقط من فوق سلم وهو على أرضية خرسانية ولما هرعنا به إلى المستشفى ونحن نخشى حدوث أسوأ الفروض وجدنا لديه شرجاً بالجمجمة وتجمع دموى يخفى عينه اليمنى تماماً ولكن الكثيرين من أصدقاءنا فى هاواى وفى بلادنا كانوا يصلون من أجل مايكل وكان ارتياحنا كبيراً عندما شفى مايكل سريعاً دون أى تأثيرات باقية. وبينما بدأنا فى القيام بمهام غريبة تطلبتها خدمة YWAM المتنامية فى كونا، بدأت بعض العلامات تظهر على الطريق وبدأنا نرى بعضاً من مقاصد الله بدعوته لنا إلى هاواى.

ففى أحد الأيام عندما كنا نتحدث إلى لورين كانجهام المدير الدولى لـ YWAM وزوجته دارلين، شاركناهما بخدمة المشورة المتنامية التى كانت لنا فى نيوزيلاندا وعندما أخبرنا لورين أن الله أرانا بوضوح أن الخدمة الطبية كانت تكمل خدمتنا الرئيسية فى المشورة اقترح أن نصلى من أجل ذلك معاً. وعندما صلينا كان لدى كل واحد منا انطباع قوى أن الله كان يشير إلى خدمة جديدة داخل YWAM. وأرشد الله باربارا ودارلين إلى إشعياء ٥٤: ٢-٣ الذى يدعونا لتوسيع نطاق خدمتنا «أطيلى أطنابك وشددى أوتادك» وبدا أن الله يقول إن الخدمة ستمتد وتتسع أكثر من كل توقعاتنا.

وبعد زيارة العديد من مراكز المشورة فى الولايات المتحدة وجدنا شخصين يمكنهما مساعدتنا وهكذا بدأنا أول مركز مشورة فى كونا فى يناير ١٩٧٧ وهناك قابلنا «لارى» وغيره الكثيرين وبدأ الله يستخدمنا حتى نفتح الأبواب الموصدة فى حياتهم.

وسرعان ما قادنا الله لبدء دورة لتدريب آخرين يحملون الرسالة فى العالم كله وبعد عدة سنوات كثرت الدورات ونمت وأصبحت برنامجاً يمنح شهادات من جامعة «الباسيفيك وآسيا» المسيحية التابعة لـ YWAM وبعد ذلك امتدت لبلاد أخرى كثيرة على هيئة مدارس تابعة لهذه الجامعة.

فى هذا الكتاب سوف أشارك بالحديث عن الأسلوب الكتابى للوصول للشفاء والإكتمال الذى تعلمته على مدار السنين من الدراسة والخدمة هيا ابدأوا معى هذه الرحلة من اكتشاف الذات الحقيقية من خلال ضوء أعظم مراجع الحياة أمانة وأكثرها أهلاً للثقة ... وهو الزيج الإلهى.

الفصل الثانی

« الجدار المائل »

الزئج



في القرن الثامن قبل الميلاد وقت حُكْم عَزَبَا، ملك يهوذا، كانت إسرائيل تنعم بالسّلام والخيرات. ولكن مع هذه الوفرة المادية كان هناك للأسف فقر أخلاقي ينخر في جذور المجتمع وكان ضباب الظلم الاجتماعي القائم يحجب رؤية إسرائيل ويفصلها عن الإرشاد الإلهي الذي كانت تتمتع به. ومن وسط هذا الجو الخانق الذي يتحدى أكثر الأشخاص براً وصلاً، دعى الله عاموس (عاموس ٧: ٧-٨)، الذي كان راعياً وجانى جميز لكي يقيم دعواه على شعبه. وكانت إرسالية عاموس هي أن يفصح ويهاجم الفساد الاجتماعي والأخلاقي ويحذر الناس من دينونة الله الوشيكة. حتى أن اسمه «عاموس» هو مشتق من الفعل العبري الذي يعنى «يَحْمَلُ»^(x) وإذا كان الله في أيام موسى قد استخدم

شكل (١)

(New Scofield Reference Bible P.932) (x)

عصاً ليعلن بها حقه ووصاياه ففى أيام عاموس اختار لنفس الغرض ما يسمى بالزيج - الزيج الإلهى .

مقاييس الله

وهذا الزيج فى أبسط أشكاله هو قمع مقلوب من الرصاص مربوط بخيط فى نهايته قطعة اسطوانية من الخشب لها نفس سمكه . وهو آلة بسيطة يستخدمها البنائون للتأكد من الإستقامة الرأسية للحائط أثناء البناء . فالنهاية الثقيلة (الرصاص) دائماً ما تشير إلى مركز الأرض حيث أنها تنجذب لقوة غير مرئية هى الجاذبية الأرضية (أنظر الشكل رقم ١)

لقد وجد البنائون فى هذه الآلة البسيطة القيمة عوناً لا يقدر بثمن فقد لاحظوا أنه لكى يكون البناء مستقراً وثابتاً يجب أن تستقيم حوائطه ودعاماته مع هز الريح وإذا لم تستقم فالبناء كله يكون معرضاً للسقوط .

ووسط هذه الوفرة التى كانت تعيش فيها إسرائيل كان هناك فساد أخلاقى والله هنا يصور الأمة كحائط غير مستقيم يكاد يسقط فى أى وقت ولكى يظهر الله مدى انحراف هذا الحائط وعدم ثباته ، يدلى بزيج الناموس الإلهى بجانب الحائط حتى يظهر كم ابتعد هذا الحائط عن الإستقامة وأنه فى أى وقت يمكن أن تنهار هذه الأمة ويتشتت الشعب أمام أعداءه كما يتناثر الطوب من الحائط المنهدم .

وهكذا لم يزل الله يدلى بهذا الزيج على حياة كل الذين دعاهم ليكونوا شعبه وهو يفعل ذلك معنا الآن ، نحن أبناء هذا القرن ، حتى نعرف الحق ونهتدى للحياة المتزنة الآمنة .

السؤال الأساسى

إننا نعيش فى عصر لم يعد فيه أحد يعترف بكلمة الله باعتبارها زيجاً يكشف استقامة الحياة إلا أن هذا العصر فى نفس الوقت لا يزال منشغلاً بهذا السؤال الأساسى: «ما هى الحياة وكيف نحياها؟» ويظهر مدى الإهتمام بهذا السؤال من خلال الأعداد من الطلبة الذين تزدهم بهم فصول دراسة علم النفس فى الجامعات وذلك المد المتزايد من الرجال والنساء الذين يجربون الوجودية وما يسمى بالوعى الجديد والمخدرات والسحر والممارسات الروحية الغربية وغيرها من الأنواع الكثيرة للواقع المزيف. وهذا السؤال المحورى يمكن أن ينقسم إلى أربعة أجزاء

أولاً: السؤال الأساسى المتعلق بالأنطولوجيا (أى علم الوجود): «من أنا؟». ولكى نقترب أكثر من الإجابة وتعريفها نحتاج لأن نراجع بعض السمات المختلفة للشخصيات.

التجاوب السلبي

أولاً لنلق نظرة على الشخص الذى يغلف نفسه «بدفاعات شخصية» كما نرى فى (شكل ٢). أولاً ما هو الإنطباع الذى تتركه فىنا رؤيتنا لهذا الإنسان؟ فيما يلى قائمة من الإنطباعات التى قالها بالفعل أشخاص بعد أن رأوا شكل ٢



(شكل ٢)

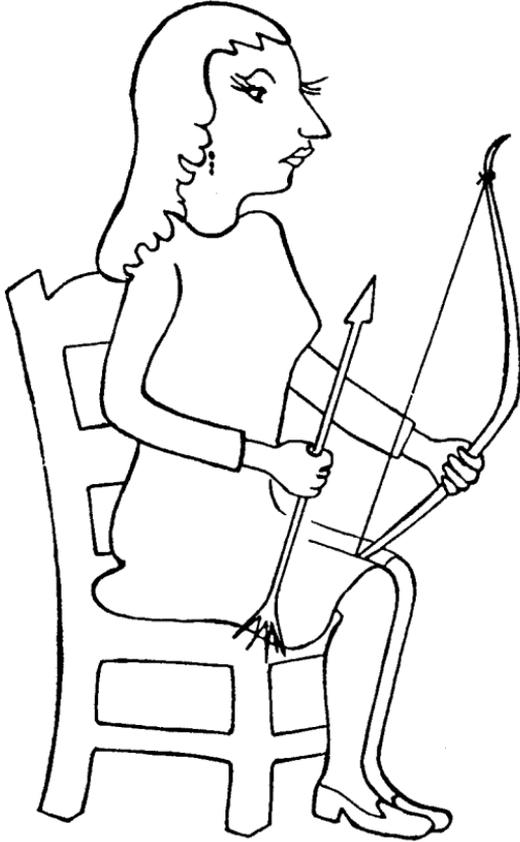
شخص يقف موقف المدافع هَش	شخص خائف
سلبى	أعمى
أخرس وأصمّ	وحيد
مكتئب	ضعيف
محبط	

إن الشخص الذى يغلف نفسه بكل هذه الأسلحة والدفاعات هو شخص يمر بأزمة هويّة فهو يتحاشى الإجابة عن السؤال: «من أنا؟» وقد تكون محاولاته السابقة للتعامل مع هذا السؤال قد باءت كلها بالفشل لذا فهو قد قرر أنه بدلاً من مواجهة هذا السؤال والتعامل مع الألم الذى يسببه، سوف يختفى خلف أسلحته ودفاعاته مبتعداً عن كل ما قد يهدد إحساسه بالأمان.

التجاوب العدائى

وهناك شخصية أخرى من الشخصيات التى تصارع مع هذا السؤال الرئيسى وتمثلها هنا بامرأة تحمل قوساً وسهماً كما فى (شكل ٣). تأمل هذه الصورة وحاول أن تذكر بعض الصفات التى قد ترد بذهنك

عنيفة	تقف موقف النقد دائماً
سلبية	تدافع عن نفسها
مستاءة	لا تشعر بالأمان
وحيدة	خائفة



(شكل ٣)

تمثل هذه السيدة وهي تمسك بقوسها وسهمها اتجاهاً آخر في التعامل مع أزمة الهوية فهي على عكس الأسلوب الدفاعي السلبي تتخذ موقفاً أكثر عنفاً وعدوانية، وهي بموقفها هذا ترسل تحذيراً لكل من يحاول الاقتراب منها بأن عليه أن يبقى على المسافة المناسبة وإلا فسوف يتعرض لسهامها الجارحة. وإذا دققنا في الشكل نجد أنها لم تضع السهم في القوس بعد وهذا يدل على أنها في الواقع لا تريد أن تكون عدوانية ولكنها تضطر لذلك إذا استدعت الظروف.

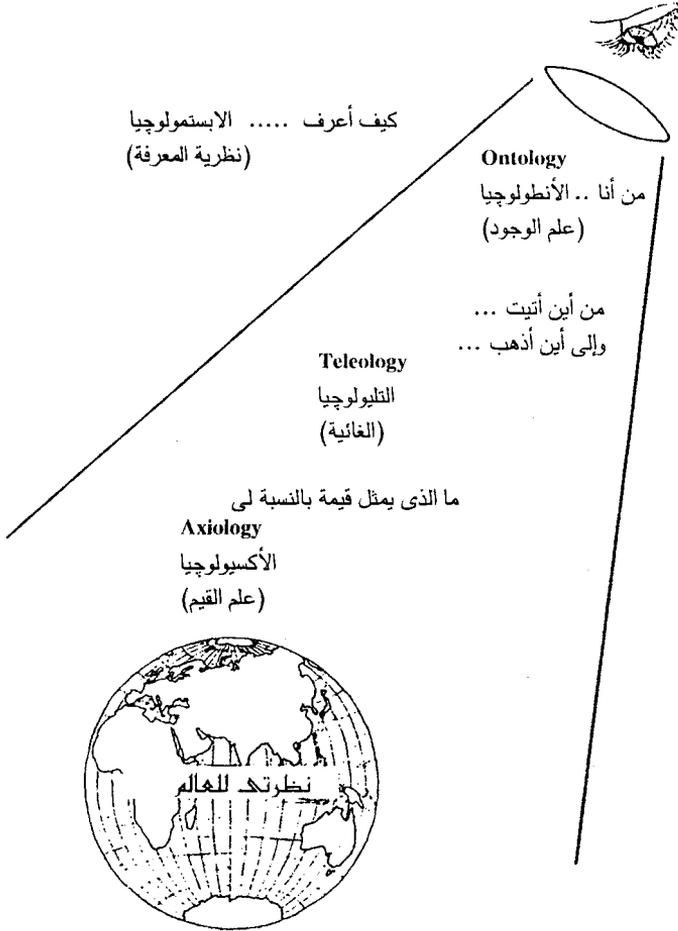
إذا وضعنا الاثنين معاً نستطيع أن نرى من بعض الأوجه كيف يمكن لهاتين الشخصيتين أن تتوافقا. فالمرأة تستطيع أن تطلق أسهمها متى شاءت والرجل الآخر المتسلح على الأقل سيعرف من وراء حصونه أن هناك شخصاً آخر معه يخفف من وحدته. وهكذا يصبح التواصل بينهما هو فقط صوت ارتطام السهم بالدرع الحديدي! دون أن يصاب أحد بأذى!

وللأسف كثيراً ما يصور هذا المثال لأي درجة تتدهور الزيجات والعلاقات في مجتمعاتنا.

أين تبدأ الهوية؟

إن هاتين الصورتين هما مجرد أمثلة لأشخاص لم ينجحوا في الوصول لإجابة السؤال الخاص بهويتهم. كيف تحاول أنت الإجابة عن هذا السؤال الهام؟ ولكي ما نبدأ في حل مشكلة الانطولوجيا الشخصية ونجيب عن هذا السؤال: «من أنا؟»، نحتاج لأن نعود لأصولنا.

الأسئلة الأساسية فى الحياة



(شكل ٤)

إن نظرية الخلق في الكتاب المقدس: «في البدء ... الله ...» (تكوين ١: ١). ثم يسترسل الكتاب المقدس فيكشف عن سر الأصل والنشأة عندما يطلب موسى من الله أن يعرفه بنفسه، وذلك من أجل شعب إسرائيل (خروج ٣: ١٣-١٤ كتاب الحياة). ونرى كيف أجابه الله قائلاً: «أهيه الذى أهيه» (ومعناها أنا الذى هو أنا، أو الكائن الدائم).

ويضيف المسيح ابن الله إلى ذلك فى العهد الجديد بعداً آخرأ يتعلق بشخصه ودوره بالنسبة لنا فيقول

أنا هو الطريق والحق والحياة،
لا أحد يأتى إلى الآب إلا بى» (يوحنا ١٤: ٦)

والآن لنفحص عن قرب ما قد قيل فى هاتين الفقرتين. أولاً: الله يقول إن الهوية كلها تبدأ فيه أى أن هوية كل الخليقة تتبع منه هو. وإذا كنا نريد أن نفهم من نحن يجب أولاً أن نحاول أن نفهم من يكون هو؟ لأنه هو بدايتنا الحقيقية وكياننا كله يصرخ لكى يعود يتواصل ويرتبط به (مزمو ٤٢: ١-٢).

ثانياً: يصف يسوع نفسه بأنه الطريق إلى معرفة الله. إنه صورة الله إلينا لذا فهو يقدمنا لله أبويه وهنا تبدأ الإجابة عن سؤال الحياة الأساسى: «من أنا؟»

مكونات الهوية

لكى نجيب على الأسئلة الخاصة «بما هى الحياة وكيف نحيا فيها»، يجب أن نسأل أنفسنا ثلاثة أسئلة فرعية كما نرى فى (شكل ٤)

١ - من أين أتينا؟

٢ - إلى أين نذهب؟

يتعلق هذان السؤالان بتاريخ الجنس البشرى ومصيره وهو ما يعرف بالتليولوجيا أو الغائية: هما يعبران عن تلك الرغبة الدفينة فى كل منا أن يكون له توجه أو هدف فى الحياة. فإذا كنا دائماً نهدف إلى لا شىء فنحن عادة ما نصيب هذا الهدف! والكتاب المقدس يعبر عن ذلك قائلاً «بدون رؤية يجمع الشعب». (أمثال ٢٩: ١٨) إن فكر الصراع المتغلغل فى مجتمعنا اليوم ينبع إلى حد كبير من فقدان الإحساس بالهدف والاتجاه فى الحياة وذلك عند هؤلاء الذين لم يستطيعوا أن يجدوا إجابة شافية لهذين السؤالين.

٣ - ما الذى يمثل قيمة بالنسبة لى؟

هذا السؤال الثالث يقع تحت عنوان الأكسيولوجيا أو (علم القيم) وهو يعنى دراسة القيمة، فلكل إنسان ما يسمى «بمجموعة القيم» وهى كل ما نستثمر فيه حياتنا ومجهوداتنا ووقتنا وأموالنا فهى الأشياء التى نؤمن أن لها قيمة ولذا نستثمر فيها. وعادة ما تكون هناك هوة بين القيم «الفكرية أو العقلية» والقيم «الشخصية أو القلبية». أما القيم الفكرية فتعبر عن نفسها من خلال ما نقوله وأما القيم القلبية فتعبر عن نفسها من خلال ما نفعله. فمن القلب تنبع توجهات الحياة المحورية وقناعاتها.

كيف نعرف؟

والسؤال الأساسى الذى تنبع منه هذه الأسئلة الثلاثة هو السؤال

«كيف نعرف؟» «ما هي العدسة التي ننظر بها للعالم؟» فنحن نريد أن نحدد ما إذا كانت معلوماتنا حقيقية أم لا - وهذا هو سؤال الأستمولوجيا (أى نظرية المعرفة) نحن كمسيحيين مؤمنين نؤمن أن الله قد أعلن لنا الحقيقة. والمسيح يؤكد أنه هو الحقيقة كما ذكرنا في (يوحنا ١٤: ٦). إن الإجابة عن أسئلة الحياة وكيف نحيها ينبغي أن نبحت عنها في إعلان الله من خلال كلمته المقدسة وابنه يسوع المسيح الكلمة المتجسد وهذا هو الزيج الإلهي.

اكتشف رؤيتك للعالم

وعندما نصل لفهم بعض الإجابات عن أسئلة الوجود فنحن عندئذ نبدأ في اكتشاف رؤيتنا للعالم world view فكل منا رؤيته للعالم وهذه الرؤيا ببساطة تحدد ما نؤمن به ولماذا نؤمن به. وإذا أردنا تعريفاً أكثر شمولاً فرؤية العالم تتضمن ما نعتقده عن أصل وطبيعة ومصير الإنسان والكون بالإضافة إلى دور الإنسان وهدفه في ذلك الكون.

إن استجابة البشر لهذه الأسئلة الرئيسية يختلف ويتباين تبايناً رهيباً، حتى في الفلسفة النظامية. فهي تعتمد كلها على العدسة التي ينظر الإنسان من خلالها إلى العالم وفيما يلي ملخص صغير لبعض الرؤى التي يعتنقها البشر والمرتبطة بالفلسفات المختلفة كما نشأت وظهرت خلال القرون المتعاقبة. والأمثلة على كل رؤية مذكورة فيما يلي توجد في العالم اليوم بكثرة.

الديانات التوحيدية: أب وإله واحد لنا كلنا.

Monotheism

<p>آلهة متعددة لها مناطق سلطان وقوة.</p>	<p>الديانات متعددة الآلهة: Polytheism</p>
<p>عدم وجود آلهة على الإطلاق فليست الآلهة سوى نتاج خيال الإنسان نفسه.</p>	<p>الإلحاد: Atheism</p>
<p>إذا كان هناك إله فيجب أن يكون الإنسان هو هذا الإله. الإنسان هو الله.</p>	<p>الإنسانية الملحدة: Humanestic atheism</p>
<p>الإنسان يصنع إلهه بنفسه وذلك بأن يعظم ويعلى من منطقته الإنسانى ويجعل منه المرجع الوحيد والطريق الواحد لكل الحق.</p>	<p>العقلانية الملحدة: Rationalistic atheism</p>
<p>قفزة غير منطقية إلى ما وراء العقل للوصول إلى معنى الوجود الفردى وهى اعتراف غير مباشر من وجهة نظر عقلانية بأن الإنسان قد فشل فى أن يكون إلهاً.</p>	<p>الوجودية الملحدة: Atheistic existentialism</p>
<p>إنها قفزة الإنسان نحو العالم غير المرئى وغير المحسوس لكى يكتشف هويته هو وعندما يقوم الإنسان بهذه القفزة يجد نفسه وجهاً لوجه أمام إله آخر يسمى نفسه «إله هذا العالم» (يوحنا ١٢: ٣١) أو الشيطان</p>	

وهو شديد المكر والدهاء حتى أن
الكثيرين من رعاياه يخدمونه دون
أن يؤمنوا بوجوده أصلاً.

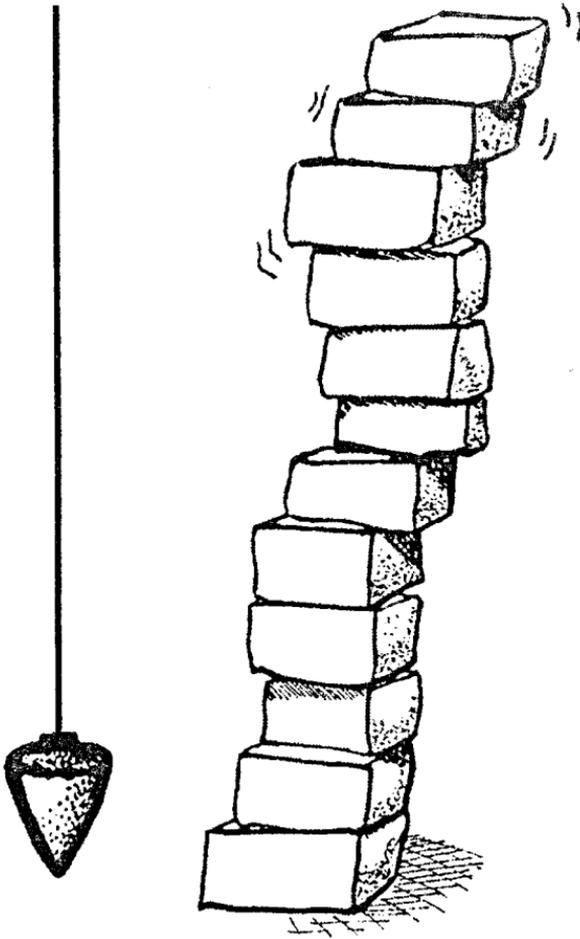
إن كل هذه الرؤى للعالم تصف بحث الإنسان عن إجابات بعيداً
عن الكائن فيما عدا الرؤية الأولى وهي الدين التوحيدى أما بالنسبة
لتعدد الآلهة فهي إضفاء الألوهية لكائنات مخلوقة تؤثر فى حياة
الإنسان مثل الشمس أو الشجر أو الريح.

وفى الإلحاد يقول الإنسان «للكائن» «أنت غير كائن!» ولعله
يجب أن يتبع ذلك بقوله: «الكائن الوحيد هو بالتأكيد أنا» أى الإنسان.
ويعزل عن الله نرى الإنسان يحاول أن يكون إلهاً فى رؤى الإنسانية
الملحدة والعقلانية الملحدة.

أما فى الوجودية، فنرى الإنسان ينتقل بعيداً عن المنطق، ويعزل
نفسه عن الأمور المحورية فى الحياة لينظر بطريقة أخرى محاولاً
تحقيق وجوده الفردى وعندما يستنفذ كل موارده الداخلية لتحقيق الذات
يصبح على بعد خطوة صغيرة من عالم الأرواح لكى يكتشف قوة تأثير
أخرى. ودون أن يلاحظ يجد الإنسان نفسه فى دائرة نفوذ «رئيس هذا
العالم» (٢كورنثوس ٤: ٤) وتنزلق قدماه إلى السحر والشعوذة.

إن هذه الدائرة موضوعة لكى تغوى الإنسان بعيداً عن يدى الله
المحب وتدفعه نحو قيود العبودية للشيطان.

فى داخل قلب كل إنسان فراغ لا يمكن أن يملأه تماماً إلا الله
ويحاول الإنسان أن يملأه بأى طريقة وإلا فسوف يعيش فى فراغ
روحي.



(شكل ٥)

قصد الله

من الدراسة المختصرة السابقة يتضح السبب الذى يجعل الكثيرين من الناس يجدون أنفسهم فى قلب أزمة هوية شديدة يصارعون أمواجهها لكي يصلوا إلى شاطئ الإجابة عن أسئلة الحياة الأساسية. وبمجرد أن نبتعد قليلاً عن ذلك «الكائن» فإننا على الفور نفقد الاتصال بمصدر الحقيقة الذى من خلاله وحده نستطيع أن نعرف «من نكون نحن» .

وهذا بالتحديد ما حدث لإسرائيل وقت النبي عاموس . فعندما اختاروا ألا يكون الله هو مصدر حياتهم، دعا الله عاموس ليدخل المشهد ليقودهم للعودة مرة أخرى إلى الحالة التى كان فيها يهوه هو إلههم وحقه المعطن هو الزيج الذى به تستقيم حياتهم .

لقد ضلت أمة إسرائيل بعيداً جداً عن الله حتى أنه وصفهم بحائط معوج مترنح يمكن أن ينهار فى أى وقت (عاموس ٧: ٧-٨) . (انظر شكل ٥)

إن هذه الصورة لحائط مهتز مترنح وأمامه زيج مدلى باستقامة رأسية متقنة يعكس بكل قوة الفرق بين رؤية للعالم يكون الله مركزها والرؤى الأخرى الخالية من وجوده وبعض من الأمثلة على هذا الفرق هى:

المطلق مقابل النسبى

الناموس مقابل الاستحسان الشخصى

النظام مقابل الفوضى

الحرية مقابل العبودية

ويدون أن يكون الله هو المرجع النهائى فإننا نضل الطريق إلى الحياة وكل ما يمكن أن تعنيه بالنسبة لنا .

الحفاظ على النظرة الصحيحة

منذ عدة سنوات مضت، بينما كنت أخدم في بولندا، تعلمت درساً قيماً عن أهمية أن تكون لى نقطة مرجعية صحيحة وصادقة. فعبر الطريق من مكان إقامتى كانت هناك غابة وحيث أنى من عشاق الطبيعة الخلوية لم يمضى وقت طويل حتى أغرتنى هذه الغابة بأن أتمشى فيها وأنا أصلى وانطلقت فى ذلك الصباح الصيفى المنعش وتنهدت بارتياح عندما رأيت خيوط الشمس تنساب من خلال مظلة فروع الأشجار المتشابكة المورقة فى كل موسم.

وفى كل خطوة كنت أخطوها وأنا أصلى وأتواصل مع الله كنت مأخوذاً بجمال الطبيعة حولى وجمال صانعها العظيم. وبالطبع لم ألق بالألبعض الأمور الثانوية مثل المكان الذى أنا فيه أو إلى أين أنا ذاهب! وهكذا رحلت أسير بطريقة عشوائية بين الشبكة المتقاطعة من الدروب الضيقة فى هذه الغابة وفجأة اكتشفت الحقيقة، لقد ضللت الطريق! وشعرت كم أنا أحمق ولكننى كنت لا أزال أثق بذاكرتى المشوشة وقررت أن أعود من حيث أتيت. وبدأت أختار بطريقة عشوائية الدروب التى بدت مألوفة لى ولكن ارتياكى تضاعف عندما وجدت نفسى أتوغل أكثر دون هدف فى غابة غير معروفة لى. وغمرنى إحساس رهيب باليأس والضياع.

وعندئذ وجدت نفسى فى وسط تلك الغابة لا أستطيع أن أحدد ولا نقطة مرجعية واحدة لتساعدنى على الخروج من هذه المتاهة فكل الأشجار وكل الطرق بدت متشابهة تماماً. ولم يكن هناك أى علامات أتبعها. فكل الأفكار بالاتجاه هنا أو هناك كانت نسبية تماماً بالنظر إلى موقعى الذى لا أعرف أين هو بالضبط فقد كنت تائهاً تماماً!.

ولاحظت وأنا في وسط هذه الحالة المرعبة أن الأمر خرج من يدي تماماً ووصلت لنهاية قدراتي. نظرت لأعلى إلى الرقع الصغيرة من السماء التي بدت من بين الفروع المتشابكة لتلك الأشجار العملاقة وجاءتني هذه الفكرة. «هو يستطيع أن يرى ما لا أراه ويعرف أين أنا بالضبط... لماذا لا أسأله؟» لقد تركت أفضل مصدر للمعلومات وجعلته آخر قائمة المصادر!

وتبعت تشجيع الله لي على المسير وبدأت السير من طريق لآخر وهكذا أصبح الأمر تسلية ممتعة مع أبي السماوي، وهكذا وجدت نفسي وقد قادني الله إلى حافة الغابة ومن هناك استطعت أن أجد طريقي لمكاني وكل ما استطعت أن أفعله وأنا أسير هو أن أحمد الله من أجل أمانته معي.

لقد أعطتني هذه الخبرة الصعبة بصيرة قوية لا تنسى عن العلاقة بين حالتني عندما كنت ضالاً في الغابة وحالة جموع الناس الذين لا يتجهون إلى الله يسألونه أين الطريق إلا في آخر حياتهم أو من يموتون في «أدغال الضياع».

جدران قلبي

بينما يشبهنا الله بجدار إلا أن الجدار ليس هو التحدي بل إن التحدي هو تغيير القلب الذي قد بني حوله هذا الجدار! إن الله يدلي بزيجته مقابل قلب الإنسان وقلب الأمة. وفي سفر الأمثال (أمثال ٤: ٢٣) يحثنا الله: «فوق كل تحفظ احفظ قلبك لأن منه مخارج الحياة». إن ميلنا هو أن نحافظ على أفكارنا وعقولنا، كما لو كانت الحياة

تدور حول ما نتعلمه بأذهاننا. ولكن سفر الأمثال يُرينا أن الحقيقة هي العكس تماماً.

ما هو القلب ؟

إن الكتاب المقدس يستخدم كلمة قلب بطرق مختلفة ففي اللغة العبرية توجد كلمتان تستخدمان للإشارة للقلب «لب» و«لباب» وبمراجعة سياق استخدام هذه الكلمات في الكتاب المقدس نجد أنه في ٢٠٤ مرة ترجمت هذه الكلمة «ذهن أو عقل» وفي ١٩٥ موضع آخر ترجمت هذه الكلمات مع التركيز على «الإرادة» بينما في ١٦٦ مرة استخدمت في إطار الإشارة للمشاعر ولكن أكثر استخدامات هذا اللفظ على الإطلاق ٢٥٧ مرة هو ما يقصد به «الإنسان الباطن ككل» ولعل كلمة «لب» العبرية قريبة من كلمة «لب» العربية وهي تعنى الجوهر الداخلى أو «الشخصية» (x).

أما الكلمة اليونانية المترجمة «قلب» فهي كلمة «Kardia» وهي لاتزال تستخدم في مجال الطب لتشير للقلب وأمراضه cardiac diseases ومن خلال دراستنا المختصرة هذه نجد أن «الشخصية» هي ما يقابل الإنسان الباطن كله، أى النفس والروح معاً.

إن الجوانب القابلة للتغيير فى الإنسان الباطن هي ما يختبره الله بالزيج الإلهى ويجعل كل منا مسئولاً عمّا فى باطن نفسه وما يستثمر فيه حياته.

(x) New Bible dictionary, J.D.Douglas, Editor, (Grand Rapids: Eerdmans, 1962) p.1375.

خاتمة

إن علماء الاجتماع قد تكلموا كثيراً عن المقابلة بين (الطبيعة والتربية) أو كما يقال (الطبع والتطبع).

فجانِب الطبيعة من هذه المقابلة يقول أن الناس يخضعون لما تحدده جيناتهم الوراثية ولا يمكنهم التغيير، أما جانب التربية فيؤكد أننا قد تعلمنا ما نفعله وأن ما تعلمناه هذا يمكنه أن يتغير ويتطور. ومعظم الأفراد في الوقت الحاضر يعلمون ليس فقط أننا يمكننا أن نتغير بل إننا نحتاج بشدة للتغيير حتى يمكننا أن نعيش.

إن تغيير الذهن قد لا يعنى بالضرورة تغيير فى الحياة ولكن تغيير الحياة يعنى بالتأكيد تغيير القلب! وكما يقوم ملاحظ البناء باستخدام الزيج ليحدد ما إذا كان البناء آمناً للسكن فإن الله يستخدم الزيج الإلهى ليقيم بناء حياتنا. ويقدر ما تنحرف حياتنا عن حقه المستقيم بقدر ما نختبر عدم الأمان وعدم الاستقرار والضعف فى مواجهة ضغوط الحياة ومتاعبها. ولكن كلما أعدنا حياتنا إلى الاستقامة مع الزيج الإلهى، نبدأ الرحلة المثيرة الممتعة نحو معرفة هويتنا الحقيقية!

الفصل الثالث

فى مواجهة العواصف

«إنه منافق ... كثير الكذب» هكذا قالت «آن» منفجرة.

كنت أستمتع بهدوء بينما كانت تلك الجدة الوقورة ذات الشعر الفضى والتي مضى على زواجها ثلاثون عاماً تحاول أن تطلق العنان لمشاعرها المكبوتة فطوال العشرين سنة الماضية كان زوجها يخونها. لقد تاب زوجها بالفعل وقرر أن يعيد صحيح حياته ولكن على مدار السنين نمت الشكوك والمخاوف فى قلب تلك السيدة كما ينمو السرطان البطيء والآن أصبحت متأكدة أن زوجها قد عاد مرة أخرى للخيانة الزوجية وإلا لماذا يحتضن كل امرأة تقابله.

وراحت تقول: «إنه يسلم على السيدات ويطيل السلام أكثر من اللازم. بل ووجدته مرات سارحاً فى الخيال.»

وقالت أيضاً كيف إنها عندما واجهته، انفعل وغضب وقال إن الأمر كله لا يعدو أن يكون فى خيالها وأوهامها ولكنها كانت تعرف - تعرف فقط - أن لديه علاقة غرامية وأنه يكذب عليها.

وصليت مع هذه السيدة ووعدها بأن أبحث أزمتها الزوجية هذه بتدقيق أكثر وبعدها تحدثت مع زوجها واثننتين من السيدات اللائى توجهت إليهن تهمة إقامة علاقة معه، بدأت الحقيقة تتضح. فقد كانت

«أن» تصارع عدم قدرتها على الثقة بزوجها منذ أن عرفت أنه يخونها ولأن أولادهما قد كبروا وتركوا البيت كان لديها متسع من الوقت لتكرسه لزوجها وكلما كانت تفكر وتسترجع الأحداث كان الشك يصيبها فترتاب فى أى اتصال لزوجها مع الجنس الآخر.

واتضح وأنا أتحدث إليها كيف أنها قد تعرضت لخداع قاسى وأن مخاوفها من الخيانة قد خيمت كغمامة كثيفة تمنعها من الرؤية السليمة للحقيقة.

إن هذه الدرجة من خداع النفس كانت تحرمها وتحرم علاقتها الزوجية من القوة الكامنة التى يمكن أن تتحقق من خلال تعرفها على هويتها الحقيقية. إن «حديثها المستمر مع نفسها» وتلك الكلمات التى كانت تفكر فيها طوال الوقت كانت بمثابة نبي كذاب يقودها إلى أعماق اليأس وخداع النفس. وعندما اكتشفنا ذلك وأعدنا حياتها للتوافق مرة أخرى مع الزيج الإلهى تحررت هذه السيدة تماماً.

وبالمثل فإننا خلال بحثنا عن القيمة، يجب أن نكون حذرين من أى زيج مزيف أو طرق قد نسلوها.

إنه من الغريب أننا ننخدع بسهولة وبنقاد لطرق فرعية تشتتنا عن الطريق الرئيسى فما يبدو منطقاً سائداً ذى كثير من الأحوال قد يكون فى حقيقة الأمر خداعاً سائداً حيث أن مذهبنا البشرى كثيراً ما يضلنا.

الأنبياء الكذبة

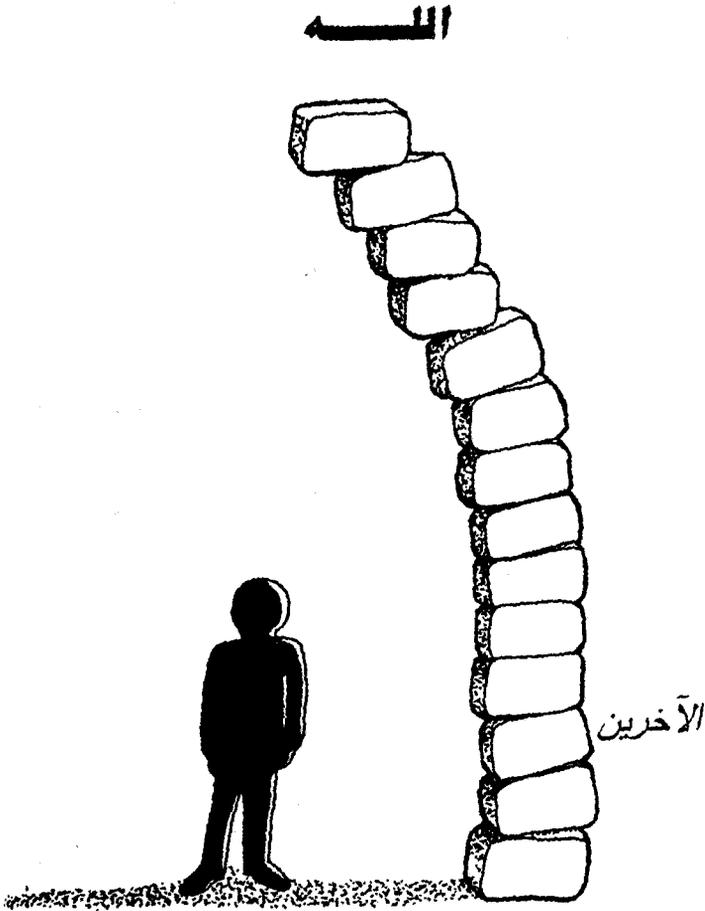
إن الأنبياء الكذبة سواء كانوا أشخاصاً خارجيين أو أفكاراً داخلية يشكلون دائماً خطراً على شعب الله وفى سفر حزقيال

(حزقيال ١٣: ١٥-١٦) يظهر الله غضبه على هؤلاء الذين يعلنون بفخر عن رسائل ونبوات منسوبة إلى الله ولكنها فى الواقع ليست منه. ونتيجة لهذه الأكاذيب بنى بنو إسرائيل حياتهم من جدران ضعيفة متقلقلة بيضاء من الخارج ولكن السوس ينخر فيها من الداخل. وبينما يمتدح الأنبياء الكذبة الشعب على هذا البناء الذى يبدو جميلاً إلا أن الله لا يزال ينبه الناس لخطر العواصف الوشيكة التى سوف تزيل الدهان الأبيض الخارجى وتقوض جدرانهم الهشة.

وفى هذه الصورة من سفر حزقيال نجد شرحاً أكثر تفصيلاً للمبدأ الوارد فى عاموس (عاموس ٧: ٧-٨) بشأن الجدران.

وفى شكل ٦ نرى شخصاً واقفاً وراء حائط هش من الخوف بناه ليحمى به نفسه. ومن الواضح أن هذا الشخص قد اختبر جرحاً داخلياً ولا يريد أن يصير معرضاً للجرح مرة أخرى. ولكنه إذ يحيا خلف هذا السور يجد نفسه غير قادر على الاستمتاع بالصدقات العميقة الدافئة وغالباً ما يشعر بالوحدة بل قد يختبر أيضاً فترات من الاكتئاب الشديد هذا بالإضافة إلى مشاعر الاستياء والمرارة الدفينة بل وحتى الكراهية تجاه الذين أساءوا إليه كيف تعلم هذا الشخص أن يبنى مثل هذا الجدار المائل؟ من أراه الاحتياج له وكيف يبنيه بأن يضع طوبة فوق الأخرى من الصفات السلبية؟

ومراراً وتكراراً رأيت أن الكثير من الأنبياء الكذبة الذين تكلموا باندفاع وعدم حكمة بكلمات لم تخرج أبداً من فم الله وهكذا يمارسون التأثير فى سامعيهم وحثهم إما بخبث أو عن دون قصد أن يبنوا حولهم أسواراً من الخوف والشك وقد يكون ذلك حتى باسم الله. من هم هؤلاء الأنبياء الكذبة وما هى الطرق التى يستخدمونها ليخدعونا؟



(شكل ٦)

الوالدان

إن أول نبوة كاذبة فى حياتنا قد تأتى من والدينا. وحتى أفضل والدين قد يسيئون - للأسف - فهم الله، فلا يتكلمون بحقه ولا يسيرون فى طريقه. وبسبب الأزمة الحالية الناشئة عن الفشل فى تربية الأطفال. فى إطار من تعاليم الكتاب المقدس فإن الحاجة إلى إعادة النظر فى التنشئة الأبوية أصبح أمراً ضرورياً جداً. فعلى سبيل المثال، شبت جولى وهى تسمع أمها تقول لها مراراً وتكراراً: «أنت طفلة شريرة وسيئة!» «إن الله يكرهك!» لذا فلا عجب إن كبرت جولى وهى تكره نفسها وتعانى الاكتئاب العميق لسنوات فقد صدقت هذه الكذبة الفظيعة عن الله وعن نفسها.

وفى حالة أخرى، حاول أحد الآباء حث ابنه على المزيد من الاهتمام بدروسه فكان يهاجمه باستمرار قائلاً له عبارات مثل «انت غبى» و«انت حالة ميثوس منها!» وعندما رأيت هذا الولد كان فى الثلاثينات من عمره وكان يصف باكياً كيف عاش بالفعل الصفات التى كان يصفه بها أبوه فترك المدرسة الثانوية وتعاطى المخدرات والكحوليات لكى يهدئ من الأصوات التى تصرخ داخله مرددة ما قاله أبوه من إدانة واتهام وتحقير. إن الكلمات السلبية أدت إلى فقد ثقته بنفسه على مدى السنين. بينما كان يمكنه أن يتخرج من الجامعة إذا كانت نسبة ذكائه فوق المتوسط.

عندما يتحدث والدين عن تنبؤاتهم بشأن قدرات ومهارات أطفالهم وكذا شكلهم ومستقبلهم فإن الأطفال دائماً ما يقتنعون بما يقوله والديهم حرفياً فالأب والأم هما أهم الأشخاص فى حياتهم. إن الكثيرين من الآباء والأمهات لا يلاحظون أنهم بمثابة الآلهة بالنسبة لأطفالهم،

وأن أطفالهم يأخذون كلماتهم باعتبار أنها الحق النهائية، وهكذا فإن العبارات القاسية والخاطئة هذه يمكن أن تعوق النمو النفسى للطفل وتحرمه من الحياة الطبيعية.

المدرسون

إن بوسع المدرسين إذا أرادوا أن يصابوا نفوس الأطفال بجروح عميقة من خلال الاتهامات الكاذبة أو التعامل معهم بظلم وإجحاف وفى إحدى المرات، عندما كنت أحاضر أمام جمع كبير من التلاميذ فى إحدى المدارس الثانوية عن موضوع الأخلاقيات، عرفت أن بعض المدرسين يتهاونون مع الطلبة أو يدفعونهم أحياناً لتصرفات غير سليمة كالغش والتزوير نظير بعض المال.

الزمناء

إننا نعيش فى عصر غزا فيه التحرر معظم حصون الالتزام والتحفظ فى محاولة للوصول إلى الحرية. ولا يوجد مجال تظهر فيه هذه الحقيقة بقدر ما تظهر فى مجال الجنس. إن المراهقين بصفة خاصة يقعون تحت ضغط رهيب من أقرانهم ليمارسوا الجنس قبل الزواج وليصدقوا الكذبة بأن الممارسة الجنسية هى حق مشروع لأى شاب وفتاة غير متزوجين وطريقة طبيعية جداً. وهكذا أصبحت هناك عبارات جديدة مثل «الجنس الترفيهى»، عبارات معروفة بل ومقبولة اجتماعياً فى المجتمع الغربى. وفى تقرير للأكاديمية القومية للعلوم (x)

(x) الأكاديمية القومية للعلوم National Academy of Sciences ديسمبر ١٠/١٩٨٦.

يظهر تأثير هذا النشاط الإقناعى المدمر بين الأقران . ففى الولايات المتحدة، ٦٤ ٪ من المراهقين الذكور و٤٤ ٪ من الإناث يصبحون نشطين جنسياً بحلول سن الثامنة عشر.

ولكن هؤلاء الداعين لممارسة الجنس لا يقدمون رسالة الممارسات اللأ أخلاقية كاملة فهم مثلاً لا يناقشون نتائج أفعالهم من آلام جسدية ونفسية بسبب عدوى هريز Herpes ولا إمكانية العقم وضعف الخصوية بسبب عدوى كلاميديا Chlamydia ناهيك عن أخطر الجميع وهو فيروس الإيدز القاتل.

ويشير التقرير التالى عن الحالات الجديدة من المصابين بهذه الأمراض التناسلية فى الولايات المتحدة (x):

١٩٨٨	١٩٨٧	١٩٨٦	
٢٥٠-٥٠٠ ألف	٢٥٠-٥٠٠ ألف		الهريز Herpes
٤.٥ مليون	٤.٥ مليون	٤.٥ مليون	كلاميديا Chlamydia
٢٥,٠٢١	٢٠,٦٢٥	١٣,٠٩٧	الإيدز AIDS

(حتى ١٠ أكتوبر ١٩٨٨)

إن الذين يسيئون استخدام الجنس من المراهقين إما أنهم جهلون أو يتجاهلون هذه الحقائق! ويقولون: «كل ما تجده ممتعاً .. افعله» ويشيعون رسالتهم وشعارهم «لا تكن متزمتاً» وبهذا النوع من الضغط النفسى يأسرون غالبية المراهقين.

إننا بحاجة ماسة لأنبياء صادقين من المراهقين ينادون بالحياة الحقيقية الأفضل.

(x) Center For Disease Control, Atlanta, Georgia تقديرات مركز مكافحة الأمراض بآتلانتا جورجيا عن عدوى الهيريز والكلاميديا وعن مدى انتشار وباء الإيدز حتى ١٩٨٨/١٠/١٥.

وسائل الإعلام

ربما تعتبر وسائل الإعلام التى لا تخضع للرقابة فى بعض البلاد من أشد الأنبياء الكذبة شراً وفساداً وخبثاً فهى تضع لنفسها مذبحاً فى كل بيت تقريباً. تجثو أمامه كل الأسرة للعبادة اليومية وتستمع له وتشاهده وهو يعلى من شأن نمط من الحياة تسوده الشهوة وينسج خيوط العنف والجريمة وهو يفعل كل هذا بخبث ولكن بشدة. وتشير هذه الإحصائية التى قام بها د. ويليام دييتز William Diets (*) إلى أن تلميذ الإبتدائى الأمريكى العادى يشاهد حوالى ١٢ ألف حركة عنيفة فى السنة من خلال التليفزيون ويقضى من ١١ إلى ٢٦ ساعة فى الأسبوع أمام هذا الجهاز.

وتشير إحصائيات أخرى إلى أن البرامج التى تذاع فى وقت ذروة المشاهدة تحتوى على متوسط ١٣ مشهد عنف فى الساعة وربما أكثر من ذلك فى أفلام الكارتون وللأسف فإن أخبار الصفحات الأولى من الجرائد عادة ما تكون تمثيلاً حياً للعنف الذى يظهر على الشاشة:

يظهر فى إحدى شوارع مدينة مزدحمة شاب حانق على الحياة، يصارع جروح شديدة من الرفض والإساءة، يرتدى زى رعاة البقر الكامل ذو القبعة الكبيرة والحذاء الجلدى ذو الرقبة والمناخس فى مؤخرته ويتدلى من حقويه بأنافة مسدسان سريعاً الطلقات ويخطو فى مواجهة المرور وبحركة سريعة مبهرة يلتقط المسدسان ويبدأ فى إطلاق النار على السيارات دون تمييز.

(*) د. ويليام دييتز الرئيسى للأكاديمية الأمريكية لطب الأطفال دراسة ميدانية عن الأطفال والتليفزيون.

ويسود الهرج إذ يهرع المارة فى كل اتجاه باحثين عن ساتر فيجرون كالأرانب المذعورة بين السيارات. لىبتعدوا عن مدى إطلاق النار. وارتست على شفاه الشاب ابتسامه رضا عن قدرته على إطلاق سىل من الرصاص من مسدسه المزمجرين ثم قرب فوهتى المسدسين من فمه ونفخ فى كل منهما نفخة قصيرة واثقة ثم أودعهما غمديهما فى فخر! لم يكن هذا مشهداً سينمائياً بل حدث هذا بالفعل فى إحدى المدن الأمريكية الكبيرة منذ عدة سنوات وبالطبع سرعان ما أحاطت قوات البوليس براعى البقر هذا وأفنعوه أن يلقى بأسلحته ثم قبضوا عليه واحتجزوه وبعد ذلك حكم عليه بالسجن مدى الحياة إن العاملین فى وسائل الإعلام لا يعلمون كيف يؤثرون فى المجتمع بقصصهم المبتذلة ويحولون خيالاتهم إلى مأسى واقعية.

ورسائل أخرى كثيرة تنطلق من أقلام هؤلاء الأنبياء الكذبة تدعو إلى تأليه الإنسان وغيرها من آلاف الأكاذيب الأخرى لم ينطق بها الله.

والكثير من أندية الفيديو تتحايل الآن على قوانين الرقابة ممهدة الطريق لكل من يريد أن يسلم إرادته بالكامل لأنبياء الإعلام الكذبة ليبرمجوا له ذهنه وحياته.

الكنيسة وقادتها

والكتاب المقدس يسجل أمثلة عديدة من الأنبياء الكذبة الذين يضللون الشعب فحزقيال (حزقيال ١٣: ٦، ٣) مثلاً يتحدث عن الأنبياء الحمقى الذين لا يسمعون إلا نفوسهم ويقولون الكذب والضلال. قائلين:

«وحى الرب والرب لم يتكلم إليهم ولم يرسلهم». لقد أصبحت بعض الكنائس متناقضة فى إعلانها عن الحق.

اجتمع بعض «المسيحيين» ذات مرة على قمة جبل منتظرين المسيح ليعود ويختطفهم فى موعد محدد يعرفونه وبالطبع لم ينالوا سوى الإحباط وخيبة الأمل.

وغيرهم من «المسيحيين» تبعوا قادتهم إلى نوع من الانتحار الاجتماعى، بأن انغلقتوا على أنفسهم تماماً فى الضلال وآخرين آمنوا بالشفاء بالإيمان ولكنهم لقوا حتفهم بسبب أمراض كان يمكن للطب الحديث أن يعالجها بسهولة. والآن فى السنوات الأخيرة ظهر فى الغرب من ينادون بأعلى صوتهم عبر الأثير منددين بالخطية وكل أنواع النجاسة وبعد ذلك ظهر كيف أنهم كانوا غارقين فيها حتى هاماتهم.

إن الكنيسة على اتساعها قد قدمت للعالم مجموعة متناقضة من الرسائل حتى أننا لا نعجب عندما يرفض الناس أن يسمعو الأنبياء الحقيقيين الذين يعلنون حق الله.

القلب

فى سفر إرميا (١٧: ٩-١٠) نتعرف على أحد أهم مصادر النبوات الكاذبة - عادة ما لا ننتبه إليه والحقيقة هى أن الكثيرين قد ضلوا بسبب صوته «الهادئ الخفيف» وبالرغم من أن القلب عادة ما يوثق به ويعتمد عليه إلا أن الكتاب المقدس يخبرنا كيف أنه أخدع من كل شىء. إن القلب يمكن أن يكون خائناً ومضلاً دون أن ندري بضلاله حتى أن البعض قد يقول: «إذا لم تشعر بالراحة تجاه الأمر فى قلبك، فلا تصدقه».

وهذا الفهم الخاطئ يعطى للقلب مكاناً خطيراً من السلطان وهكذا ينخدع كثيرون.

وكل هؤلاء الأنبياء الكذبة وغيرهم قد يقودونا لبناء جدران يوهموننا بأنها تحمينا من أخطار الحياة وتهديداتها ويقولون إن «بلا جدران. لا أمان ولا حياة على الإطلاق»، ولكننا نحتاج أن نفرق بين الأصوات المضلة لهؤلاء الأنبياء الكذبة وأصوات أنبياء الله الحقيقيين وإلا فسوف تنهدم جدران أمام رياح الأزمات.

العواصف

وتستطرد هذه الفقرة من سفر حزقيال (١٣: ٩-١٦) لتصف عواصف الرياح والأمطار التى تهب على هذا الجدار لتهدمه. ودعونا ننظر لبعض من هذه العواصف التى قد تهب على الجدران التى فى حياتنا.

الموت

المرض

المشاكل الاقتصادية

الطلاق

الخمور

المخدرات

مشاكل العمل

الانحراف

وعندما نرى الصورة التى ترسمها هذه الفقرة متكاملة فإننا نفهم الرسالة المتضمنة. ومثل الكثيرين منا فإن الشخص الذى فى شكل ٦ قد بنى دفاعاته الخاصة والتى تتمثل فى هذا الجدار وبالطبع فإنه بسبب

عدم رؤيته لم يستطع أن يرى ضعفه وعدم قدرته على الدخول فى علاقات محبة عميقة .

فماذا لو سمع هذا الشخص بالإنجيل وصار مؤمناً؟ هل هذا يعنى أن كل شىء يتغير ويختلفى خلف هذا الجدار المائل؟ ليس بالضرورة ولكن هذا يعنى أن الضوء يسطع فى حياته فيستطيع لأول مرة أن يرى نفسه خلف هذا الجدار فيكون رد الفعل الطبيعى الأول هو أن يصرخ لله فى طلب المعونة . ولكن فيما هو مستمر فى الصلاة، تتكون عاصفة وكلما يصلى كلما تشتد العاصفة . وفجأة تسقط طوية من الجدار بجانبه ومع الوقت يتساقط المزيد من الطوب حتى يسقط الحائط تماماً وعندما يحدث هذا يكون رد فعله المباشر هو الحذر ثم الخوف ثم الانهيار الكامل .

ولكن عندما ينقشع التراب، نرى واحداً من شيئين، إما أن نرى وجهاً غاضباً وقبضة متشنجة يلوح بها فى الهواء حانقاً على الله متهماً إياه بالظلم وعدم الأمانة وعدم المحبة وإما أن نرى ركباً راکعة ووجنات تلمع بالدموع النابعة من قلب منكسر وخاضع ذلك القلب الذى لا يرذله الله أبداً . والشخص الأول ذو القبضة الغاضبة عادة ما ينهض ليبنى جداراً أسمك وأعرض وربما يدعمه بالأسمت المسلح . أما الآخر صاحب القلب الوديع فهو يمضى تاركاً وراءه الطوب المتناثر ليبدأ حياة جديدة مخلفاً حياته القديمة المرتبطة بهذا الجدار المائل .

إن العواصف دائماً ما تكون هامة بالنسبة لمن يطلبون الحياة .

ماذا انكشف أمامك من الحق والحياة من خلال العاصفة الأخيرة التى تعرضت لها؟ أم تحتاج للدخول فى عاصفة أخرى حتى تصلك الرسالة وتشعر أنك تحتاج للتغيير؟

المخادع الأكبر

ليس من بين كل الأنبياء الكذبة من هو أكثر خداعاً وتضليلاً من الشيطان نفسه وفى الكتاب المقدس كثيراً ما يوصف بأنه الحية، وفى عاموس (١٩:٥) توضيح لاستراتيجية الشيطان فى جدران شخصياتنا حتى يسلبنا ميراث الحياة. وإذ ندع خيالنا يستوعب ويتخيل قصة عاموس (١٩:٥) قد نستطيع أن نرى التالى:

فى صبيحة أحد الأيام الشتوية، قبيل الفجر عندما كانت الحقول غارقة فى غيم الندى البارد، كان أحد الفلاحين يسير بخطى حثيثة فى طريق ضيق بجانب الشجيرات الصغيرة الوليدة وهو يحاول مغالبة البرودة الشديدة بالمضاعفة من سرعته وقوة خطواته بينما كان عقله يستشرف يوماً طويلاً من العمل لايزال بكامله أمامه. وعندما اجتاز إلى حقل من أشجار الأرز فجأة داهمه شعور بأنه ليس بمفرده، فتوقف وجال ببصره محدقاً فى كل ما حوله وهو يستنفر كل حواسه ويحاول جاهداً أن يلتقط أى صوت قد يكشف له عما يكمن له فى الظلال فوقف صامتاً كتمثال. وبعد برهة وإذ لم يسمع أى شىء تنهد بارتياح وتابع المسير وفجأة ظهر من بين الأشجار أسداً نحيلاً كث الشعر متوجهاً نحوه. وفى الحال استدار الفلاح حول نفسه بينما كانت غدد الأدرنالين تضح كل ما تستطيع ضخه فى دمائه وعاد يسابق الريح من حيث أتى وبعد فترة من الجرى الذى كان أشبه بالطيران أدرك الفلاح أنه قد سبق الأسد، توقف ليلتقط أنفاسه ويتمالك شتات نفسه مما أصابه من زعر شديد.

وبالطبع لم يجرؤ صاحبنا أن يسلك نفس الطريق مرة أخرى بل اختار طريقاً أخرى ليذهب إلى حقله وكان فى هذه المرة مجرى نهر



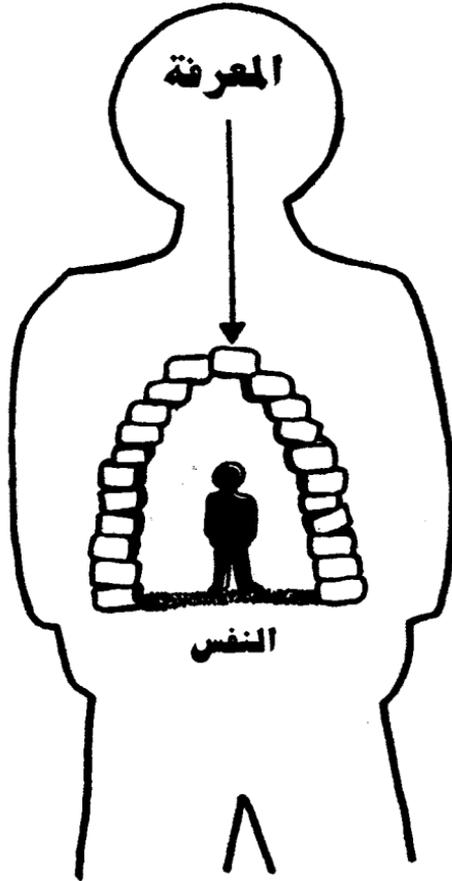
(شكل ٧)

قديم قد جف. وكانت الشمس عندئذ قد صعدت إلى قبة السماء لتهرب من أمامها كل ظلال الفجر فأسرع الفلاح فى طريقه بين الصخور الكبيرة التى أكسبتها المياه استدارة أنيقة. وعندما انعطف فى إحدى منعطفات تلك الطريق الملتوية وجد نفسه وجهاً لوجه أمام دب هائل يعترض الطريق ويزار مهديداً ناشراً مخالبه الأمامية. كانت الصدمة مهولة والفرع شديد إلا أن ذلك الفلاح استطاع أن يحرك قدميه اللتان قد تسمرتا بسبب هول المفاجأة وهرع مسرعاً عائداً وقد تلاشت من ذهنه كل أفكار العمل على الأقل لهذا اليوم! وعندما عاد للمنزل منهكاً تماماً. استند إلى أحد جدران منزله لكى يستعيد توازنه. وبمجرد أن استرخى من توتره، أطلقت حية سامة برأسها من بين شقوق الجدار وبهجمة واحدة غرست أنيابها فى ذراعه!

لقد استطاع الفلاح أن يهرب من الأعداء الخارجيين كالأسد والدب ولكنه وقع فريسة للعدو الذى تسلل خلسة إلى بيته.

فى هذا المثال نرى أن الأسد والدب يمثلان أعداءنا الخارجيين بينما تمثل الحية التى تسللت من الجدار العدو الداخلى الذى يهاجمنا من داخل شخصياتنا.

وكما قلت مسبقاً إن الجدار يمثل الشخصية وهنا لدى العدو الفرصة أن يدخل ويفسد العلاقات، مثل علاقة الزواج والأسرة والعلاقات فى الكنيسة والمجتمع. إن فهمنا لمن نحن، وكيف نقوم بوظائفنا، يساعد شخصياتنا حتى نخدمنا بدلاً من أن تعيقنا شخصياتنا غير المستقرة وتستعبدنا فبعض الشخصيات قد تكون بمثابة الطوب والحجارة المترصة التى تسجن الإنسان خلف جدران قلبه كما يظهر فى شكل ٨.



(شكل ٨)

وبالنسبة للكثير من المؤمنين يوجد الكثير من الحق المأساوى الذى تعبر عنه تلك العبارة المشهورة فى إحدى الكتب الفكاهية والتي تقول «لقد وجدنا العدو، إنه أنفسنا!»

فكلما أصبحت ردود أفعالنا السلبية معتادة تضاف طوية جديدة للجدار بل من الممكن أيضاً أن نصير مجروحين نفسياً جداً لدرجة أننا نعزل جزءاً من حياتنا ببناء أسوار ومتاريس مصممين أن أحداً لن تسنح له الفرصة أن يقترب ويؤذينا مرةً أخرى. إن هذا السور قد يقدم بعض الحماية ولكنه فى نفس الوقت يشلّ جزءاً من الشخصية بحيث تصبح عاجزة عن الحب والثقة والعلاقات المشبعة. وإذا كان الجزء المعزول من الشخصية كبيراً تصبح الأعراض أشد ويصبح من الصعوبة أن نعرف من نحن ولماذا نتجاوب بهذه الطريقة بل إن هذا أيضاً قد يفتح المجال لأن نقع فريسة للخداع المتكرر الذى يأسرنا ويحرمانا من حرية أن نصير أنفسنا وأن نصل إلى ما يجب أن نصل إليه من نضج.

إن الكتاب المقدس يقول إننا إذا عرفنا الحق فالحق يحررنا (يو ٨: ٣٢) فكلما دخل حق أكثر إلى حياتنا أصبحنا أكثر حرية أن نحيا بحسب قصد الله لنا.

خاتمة

فى هذا الفصل رأينا كيف أن الجدران التى نبنيها لنحمى بها أنفسنا قد تكون هى نفسها الجدران التى نسجن أنفسنا داخلها ونفقد بها جوهر حياتنا الحقيقية. هنا يكون السؤال: إذا كنا لن نبني أسواراً

ونعتمد عليها لتعطينا الأمان، كيف إذن نحمل أنفسنا من
العواصف التى قد تعصف ليس فقط بجدراننا وأسوارنا بل
بحياتنا كلها!؟

إن الإجابة على هذا السؤال الهام سوف تتكشف لنا فى الفصول
القادمة.

الفصل الرابع

الحصرم

«الآباء أكلوا الحصرم وأسنان الأبناء ضربت»

فى الفصل السابق عندما تكلمنا عن الخداع والعواصف، رأينا كيف أن الأنبياء الكذبة ينادون بأننا نحتاج لأن نبنى جدراناً تحمينا من عواصف الحياة. ومن بين صفوف الأنبياء الكذبة ذكرنا الآباء والأمهات وتأثيرهم الكبير على توجّهات أبناءهم وبناتهم.

والمثل السابق (جز ١٨: ٢) يتناول نفس العملية من منظور آخر. إن الحصرم يشير إلى خطايا الآباء وتأثير الحموضة الشديدة للحصرم يشير إلى تأثيرات الخطية التى تمتد من جيل لآخر (عدد ١٤: ١٨) ومن خلال النبي حزقيال، يوصى الله إسرائيل أن تتوقف عن استخدام هذا المثل، لأنه قد أصبح عذراً لعدم تحمل المسؤولية الشخصية وبكلمات أخرى لام بنو إسرائيل آباءهم وأجدادهم وألقوا عليهم ذنب خطيتهم هم ولكن الله يحمل كل إنسان وزر ذنوبه ولكى نفهم أكثر ما يقوله الله، سوف نلقى نظرة على بعض الأبحاث العسكرية الأمريكية^(*) التى أجريت على ٢٠٠ طفل من سن الثالثة إلى الثامنة عشر. واستطاع فريق الأخصائيين النفسيين تقييم ما يمكن أن نطلق عليه ظاهرة «غياب الأب» عند الأطفال الذين تغيب آباؤهم بسبب وجودهم فى

(أ) «الأسرة المكسورة، Armand M. Nicholi 11 M.D.

Christianity Today May 25, 1979 p10.

(ب) Archives of General Psychiatry

الجيش ووجدوا أن رد الفعل المبكر عند هؤلاء الأطفال لرحيل الأب يماثل ردود أفعال الأطفال عند وفاة آبائهم واستطاع الفريق حصر بعض الأعراض التى وردت فى الدراسة كالتالى:

- السخط والغضب
- الإنكار وأحلام اليقظة
- محاولات لم الشمل
- شعور بالذنب
- خوف
- تَغْيِيرُ النبض الحيوى
- نكوص (عودة إلى سلوك مقبول بالنسبة لسن أصغر)

وعندما تأملت هذه المعلومات، وجدت نفسى أربط بين ردود الأفعال هذه وبعض من الأعراض المرضية الهامة فى مجتمعنا فإذا افترضنا أن ردود الأفعال هذه لم تتم معالجتها فماذا لو استمر الأطفال يعانون منها حتى البلوغ؟

مثلاً، يرسل الجيش الأمريكى أحياناً الآباء بعيداً فى مهام عسكرية لمدة ستة أشهر دون أن يعود الأب فى إجازات إلا لأيام معدودة وفى بادئ الأمر يشعر الطفل بألم الفراق وبعد ذلك إما أن يكظم هذا الألم ويبقيه داخله أو ينفجر غاضباً وكبت الألم كثيراً ما يعرض الطفل للمرض النفسى أما الانفجار فقد يؤدى للمرض الاجتماعى. فنوبات الغضب العصبى عند الأطفال قد تستبدل فيما بعد بنوبات عنف وجريمة عندما يكبرون.

الغضب ← الجريمة

أما رد الفعل الثانى فى القائمة فهو الإنكار وأحلام اليقظة وقد ينتج هذا أيضاً عندما يصبح ألم الفراق غير محتمل فيلجأ الطفل إلى إنكار حدوث الفراق أصلاً ويتخيل أنه يقابل أباه ويكلمه وينسج فى خياله حوارات وقصصاً لا أساس لها من الواقع وهذا قد يعرض الطفل لنسوع من خداع النفس ولأنواع عديدة من اضطرابات الشخصية.

الإنكار وأحلام اليقظة ← اضطرابات الشخصية

ومن ردود الأفعال الأخرى التى ظهرت عند هؤلاء الأطفال هى محاولات لَمّ الشمل مع الوالد الغائب فيكررون إلقاء الأسئلة على أمهاتهم كالأسطوانة المشروخة «متى يجىء بابا؟» «ألن يأتى هذا العيد؟» إلخ ومهما أوضحت الأم بالتحديد متى يعود الأب إلا أن السؤال الملح لا يلبث أن يتكرر وأخيراً قد تضعف مقاومة الأم وتصاب بالإحباط والانهيار.

ومن الواضح أن هذه المحاولات المستمرة لتحقيق حلم لَمّ الشمل نتيجة طبيعية لافتقار الطفل لعلاقته الهامة بأبيه والشعور بهذا النقص، قد يعيش هؤلاء الأطفال هذا الماضى الحزين مرة أخرى فى علاقاتهم كبالغين، وذلك بأن يتشبثوا بالعلاقات التى تتكون بطريقة غير طبيعية وتصير شخصياتهم مشوهة نتيجة سيطرة حب التملك والأنانية وهذا التشوه نراه واضحاً فى زيجات عديدة عندما تريد الزوجة أن تعرف كل صغيرة وكبيرة فى حياة زوجها أو عندما ينتاب الزوج الشك والقلق من أنه سيفقد زوجته وبدافع الخوف يبدأ فى المطالبة بأن يعرف أدق تفاصيل أنشطتها.

إن جروح الرفض فى الماضى تجعلنا نميل للملكية فى علاقاتنا وذلك على مستويات مختلفة ولكننا عندما تسيطر علينا الملكية فى هذه العلاقة فإننا نخلقها ونضعها بأنانيتنا.

محاولات لمّ الشمل ← حب التملك

أما الإحساس بالذنب من جانب الطفل الذى قد تغيب أباه فقد يكون كاذباً أو قد يكون حقيقياً ربما يلوم الطفل نفسه لهذا الغياب وربما يشعر أنه غير مستحق وأنه أقل من الأطفال الآخرين أو أنه غير محبوب ولا يمكن أن يكون محبوباً. وهذا الشعور بالذنب حمل ثقيل يحمله الطفل على كتفيه وهو يكبر وأنا أؤمن أنه عامل مساعد على حدوث أنواع مختلفة من الاكتئاب.

وشعور الطفل بالذنب قد يزيد ويتعدّد بسبب سلوكه السيء أيضاً بالإضافة إلى عدم مقدرة الأم أن تتحمل العبء وحدها دون وجود الأب الذى يبعث على الأمان والانضباط. فعندما يكون الانضباط غير موجود أو غير كافٍ فإن إحساس الطفل بالذنب لا يزول وسلوكه غير المقبول يزيد.

الشعور بالذنب ← التمرد

وبعد ذلك فإن الطفل المحمّل بالذنب قد يبدأ فى تأديب نفسه بنفسه وقد يؤدى هذا إلى الماسوشية (وهى لذة تعذيب الذات) وعقاب النفس هذا قد يزيل الشعور بالذنب ولكنه يمهد الطريق نحو التمرد. وهكذا نرى هذه المعادلات:

كبت الشعور بالذنب ← اكتئاب

التنفيس عن الشعور بالذنب ← انحراف

ولوحظ أيضاً على أبناء الآباء الغائبين أنهم يعانون من الخوف وهذا يظهر بالتصاقهم وتملكهم لأمهاتهم وكذا صراخهم الشديد والمبالغ فيه عند انفصالهم المؤقت عنهن فبالنسبة لهم تعتبر الأم عنصر الأمان الوحيد الباقي ولذا فهي لا ينبغي أن تغيب عن عيونهم! ومثل هذا الخوف يملأ حياة الناس في كل مكان في العالم المتقدم وغير المتقدم.

والمهدئات والمنومات تستخدم كثيراً جداً في محاولات فاشلة للتعامل مع هذا المدّ المتزايد من العصاب. وابتلع الناس الحبوب بكميات مهولة لكي تساعدهم على النوم أو الصحيان أو أن يأكلوا أكثر أو أقل أو يحصلوا على طاقة أكبر وهكذا. إن الكتاب المقدس يحذر من أن الناس سوف يغشى عليها من الخوف (لو ٢١: ٢٦) ونحن نرى من حولنا كيف أن القلق المستمر والشد العصبي في حياتنا يعرض البشر لأمراض القلب وغيرها من الأمراض الكثيرة.

الخوف ← العصاب

إن تَغْيِيرَ النبض الحيوى يمكن تعريفه بأنه ردود الأفعال داخل أجسامنا الناتجة من كبت الضغط العصبى بشكل مستمر. وقد لاحظ الباحثون أن الأطفال الذين قد وصلوا لمرحلة التحكم فى التبول والتبرز قد يرتدون للخلف وغيرهم من الأطفال الأكبر سناً قد يبدأون فى بلل فراشهم ليلاً مما يحرجهم كثيراً ويعرضهم لتوبيخ أمهاتهم. وأطفال آخرون يبتلعون الطعام بسرعة وبطريقة هى أشبه بالحيوانات. وكل هذه الأمثلة ترىنا كيف أن الضغط المكبوت قد يؤثر فى وظائف الجسم.

وربما بسبب هذا يجد الأطباء اليوم أن نحو ٨٠٪ من مرضاهم يعانون من أمراض تتدخل فيها العوامل النفسية فيما يسمى بالأمراض النفسجسمية Psychosomatic disease وللأسف كثيراً ما تتم معالجة الأعراض فقط دون علاج نمط الحياة الذى أدى إلى هذه الأعراض.

تَغْيِيرُ النَبْضِ الحَيَوِى ← أمراض نفسجسمية

النكوص وهو رد فعل شوهد فى حالة الأطفال موضع الدراسة عندما كانت صدمة الفراق شديدة لدرجة أنهم انسحبوا من الاشتراك فى وظائف الحياة الأساسية كالأكل واللعب والاختلاط بالناس حتى أن بعض الأطفال انزروا فى ركن من أركان المنزل وكَوَّرُوا أجسادهم متخذين وضعا جنينياً وهذا الوضع يعبر عن الخوف الشديد وعدم الأمان وهو يؤدي إلى رغبة فى النكوص إلى وضع أكثر أماناً وهو وضع الجنين داخل رحم الأم. وإذا تكررت هذه الصدمات أو استمرت فإن هؤلاء الأطفال قد يصابوا بالذهان ويعيشون فى عالم من الخيال بدلاً من الواقع المؤلم.

النكوص ← الذهان

وإذا نظرنا لقائمة الأعراض الاجتماعية الواردة فى شكل ٩ نستطيع أن نرى أنها تشمل كل التحديات الرئيسية للنمو الاجتماعى فى عصرنا الحاضر ومن هنا يمكننا أن نستنتج أن الصراعات التى لم تحل فى الطفولة قد تحبس الأشخاص البالغين داخل نمط سلوكى غير سوى وغير ناضج.

عرض اجتماعى

رد فعل طفلى

الغضب	←	الجريمة
الإنكار وأحلام اليقظة	←	اضطرابات الشخصية
محاولات لمّ الشمل	←	حُبّ التملك
الشعور بالذنب	←	كسبت
	←	اكتئاب
	←	تنفيس
	←	انحراف
الخوف	←	العصاب (المرض العصبى)
تَغْيِيرُ النبض الحيوى	←	أمراض نفسجسمية
النكوص	←	الذهان (المرض العقلى)

(شكل ٩)

ويتناول الرسول بولس هذا الأمر عندما يقول: «إن لكم زماناً طويلاً ترضعون اللبن لقد آن الوقت أن تكبروا! إننى أريدكم أن تتركوا اللبن الآن وتتناولوا طعام البالغين» (١كو ٣: ١-٢).

ويعترف الأخصائيون والأطباء النفسيون وكل المعالجين النفسيين أن التحدى الأكبر فى المجتمع اليوم هو مساعدة الأشخاص البالغين الناضجين على أن «ينضجوا» بالفعل! داخلياً وخارجياً. فالطفل الذى يعيش داخل كل بالغ يجب أن يعطى فرصة ويجب أن

نستمع به أحياناً، أما أن نتوجّه ملكاً على حياتنا وسلوكنا فهذا خطأ كبير.

إن هذا البحث العسكرى الذى راجعناه لتونا يتعلق فقط بالأب المتغيب. ولكن دعونا نتخيل لو كان الأب مدمناً للخمر أو مهملاً لأطفاله وأسرته أو لتتخيل أنه كان خائناً ويجاهر بخيانتته وافتقاره للأخلاق فإن تأثير هذا الأب السلبي على حياة أطفاله قد يصبح أكثر إيذاء وربما يعيق نموهم ونضجهم طيلة حياتهم، كما أن نفس التأثير قد يحدث بسبب الافتقار للأمومة الحقيقية وبخاصة فى سن الطفولة المبكرة.

والحصرم إذاً يمثل مشاكل الأبوين وفشلهم وربما خطاياهم التى تترك مذاقاً مرّاً يضر بأطفالهم فى نموهم هم.

والكتاب المقدس يصف هذه العملية بأن آتام الآباء والأبناء تُفقد فى الجيل الثالث والرابع (عدد ١٤: ١٨) وهذا ما نسميه الآن فى علم الأمراض الاجتماعية «الأنماط الأسرية» وهذا الأمر يرجع بنا للخلاف الشهير «هل هو الطبع أم التطبع» «الطبيعة أم التربية»؟ هل المشكلة وراثية أم مكتسبة؟ فإذا كانت مكتسبة فهى يمكن أن تتغير وهنا تكون هناك مسئولية للتغيير.

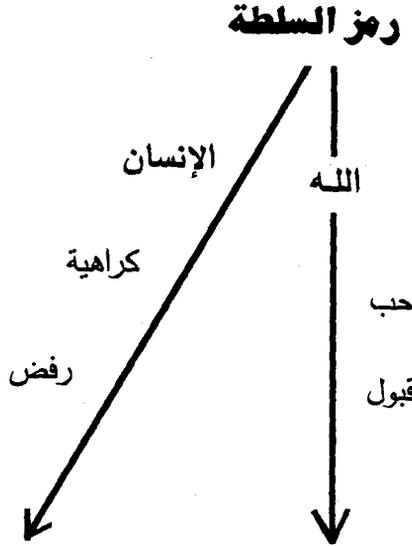
كما أن البحث الذى درسناه يشير أيضاً إلى بعض الأمور التى تستثير بناء الجدران وردود الأفعال للسلوك المؤذى للآباء والأمهات ولكننا نجد الترياق الإلهى لهذا السم المر فى مزمو ١٠٣: ١٧.

«أما رحمة الرب فإلى الدهر والأبد على خائفيه

وعدله على بنى البنين لحافضى عهده وذاكرى وصاياه ليعملوها».

إن الله يريد العنب الحلو ويريد أن يملأ فم الأطفال بالحلاوة . إنه يريد رحمته وخلصه وبره أن يمتدوا من الآباء إلى البنين وإلى بنى البنين . إن هذا هو المثل الذى يعطيه والخطة التى يتبناها! فإذا عاد الآباء والأمهات إلى الله واتبعوا طريقه فسوف يفتحون باب بركاته حتى تدخل حياتهم وحياة من بعدهم .

إن الرفض قد ينتقل من جيل إلى جيل إما عن قصد أو عن غير قصد وإذا عدنا لفكرتنا الأصلية سوف يمكننا أن نرسم الصورة كالتالى :



فى هذا الشكل نرى أنه إذا كان الله هو رمز السلطة بالنسبة لنا فنحن نحصل على الحب والقبول، أما إذا وضعنا الإنسان بدلاً منه فإننا عادة ما نختبر كراهية ورفض، إما مستترة أو ظاهرة .

والفارق الذى يفصل بين «الزيج البشرى» و«الزيج الإلهى» سوف نسميه «العجز فى ميزان المحبة»! فخط الحب والقبول هو الخط الذى يمثل الزيج الإلهى العمودى، وهو يمثل إرادة الله وقصده تجاهنا. أما خط الكراهية والرفض فهو الزيج البشرى الذى يبني حوله الإنسان الخاطئ حياته بدلاً من أن يتبع الزيج الإلهى. وتمثل الزاوية بين الزيجين الإلهى والبشرى مقدار العجز فى المحبة والقبول فى حياة الإنسان. وكلما كانت الزاوية أكبر كان الاحتياج أكبر لذلك النوع من المحبة الذى يعطيه الله وحده ولكى ندرس بعض تأثيرات العجز فى المحبة دعونا نلقى نظرة على بعض الحسابات الكتابية:

أنت - المحبة = ؟

ما هى إجابتك عن هذه المعادلة؟ هل تستطيع الإجابة دون أن تضع تعريفاً ووصفاً واضحاً للحب. لقد أصبح الحب تعبيراً مستهلكاً هذه الأيام فهو يطلق على أى شىء. فأنت تستخدم نفس الكلمة لتعبر عن حبك لله وحبك لقطتك المدللة مثلاً!

لذا دعونا فى هذا السياق نعرف كلمة الحب من الكلمة اليونانية agape وهى تعنى الالتزام القلبى والولاء لشخص ما، شخص تكون مستعداً أن تضع حياتك كلها نتيجة حبك له والتزامك به. هذا هو الحب فى أسمى أشكاله ومعانيه، هذا هو الحب الذى نحتاجه كلنا فى حياتنا وكلما زاد عجز المحبة فى حياة الإنسان أحس أكثر أنه أقرب للصفر أى للاشىء، وهؤلاء الناس يحسون أن قيمة الحياة أصبحت قليلة جداً أو لا قيمة لها على الإطلاق.

أنت - المحبة = صفر

أما عندما تكون محبوباً فهذا يعطيك إحساس بالقيمة في الحياة. إن الأشخاص غير المحبوبين، والذين قد تعرضوا للإساءات واستخدمهم الآخرون للحصول على لذتهم هم، الأشخاص المرفوضون والمنسحقون والذين يصارعون مع إحساس عميق بصغر النفس وتآكل الإحساس بالقيمة.

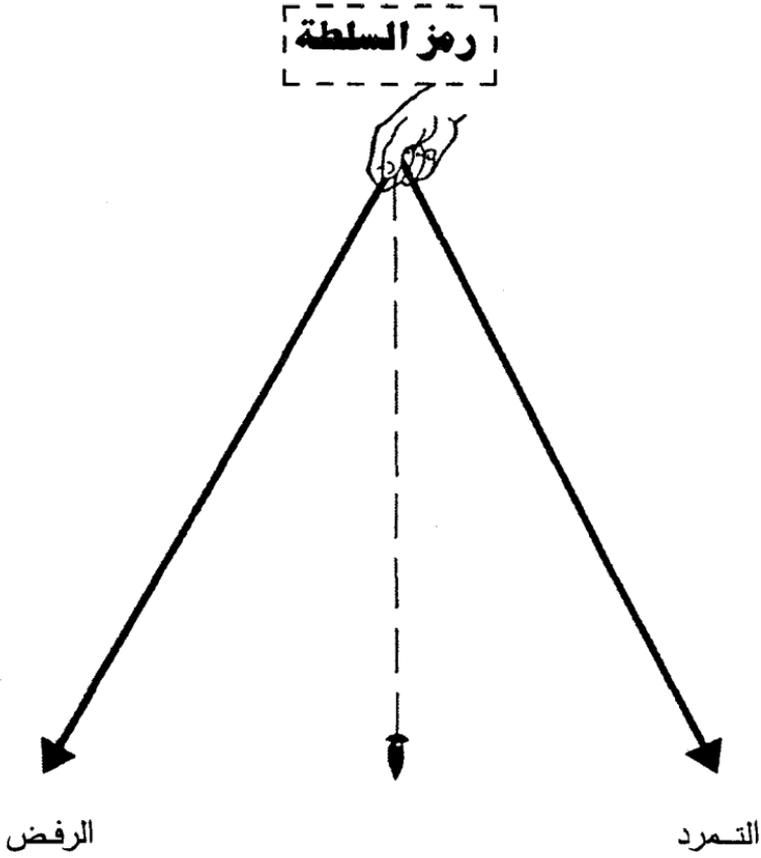
إن الحب عادة ما يستخدم خطأً كمرادف للشهوة. وبينما الشهوة دائماً ما تنطوي على الحصول على اللذة من شخص آخر. فإن الحب هو العكس تماماً فالحب ينطوي على العطاء والمشاركة فالحب هو أن يشارك الإنسان بحياته ليساعد على حصول المحبوب على أقصى الخير. وهكذا فإن شعار الشهوة «أعطني!»، أما شعار الحب فهو «أنا أعطيك». فتكون المعادلة كالتالي:

$$\text{أنت} + \text{الشهوة} = \text{صفر}$$

وعادة ما يحاول الناس تغطية عجز المحبة في حياتهم بسلفيات من بنك الشهوة فعلى سبيل المثال، قد يذهب الابن الذي لم يشعر أنه محبوب من والديه إلى العالم ليملاً له احتياجه من الحب وذلك من خلال علاقات جنسية متعددة أو ربما تعطي البنت غير المحبوبة جسدها لرجل محاولة سد عجز المحبة ولكن كل ما يحصلون عليه في الحالتين هو الشهوة وليس المحبة ويظل عجز الحب قائماً.

إظهار عجز المحبة

كانت «چينا» شابة جميلة ذات شعر بنى جميل وعينين عسلتين فاتنتان لكن عندما جلست أمامي لاحظت حالاً عجزها الواضح أن تنظر



(شكل ١٠)

لأى شخص فى عينيه وكانت دائماً ما تحنى رأسها محدقة فى الأرض والحزن يكسو وجهها تماماً.

وبعدما سمعت «جينا» التعليم الخاص بالزيج الإلهى كانت «جينا» من الأشخاص الكثيرين الذين تقدموا للأمام للصلاة من أجلهم. كانت تجلس على حافة الكرسي وهى تنظر للأرض وشعرها منسدل يغطى وجهها تماماً وبدأت دموعها تتساقط على ركبتيها وكتفيها يهتزان بعنف إذ كانت تجهش ببيكاء لا تستطيع السيطرة عليه وعندما بدأت الكلام جاء صوتها منخفضاً كأنه يأتى من مكان سحيق حتى إنى وجدت صعوبة شديدة فى متابعتها.

بدأت «جينا» تشرح كيف أنها لم تتمتع بأى علاقة مع والديها اللذين كانا شخصين ناجحين فى عملهما ودائماً ما كانا يتوقعان منها أن تحذو حذوهم فى حياة النجاح العملية. وخلال السنين وهى تكبر، لم تحصل على أى تعبير ملموس عن الحب سوى قرصة غريبة فى خدها بين الحين والآخر. أما كل العواطف الجسدية التى كانت تحتاج إليها كانت تحصل عليها من احتضانها لدميتها التى تغمرها بكل الحنان الذى كانت تود أن تشاركه مع والديها وكانت لساعات طويلة تمسك بدميتها حتى أن الدمية بمرور الأيام قد أصبحت متسخة وممزقة.

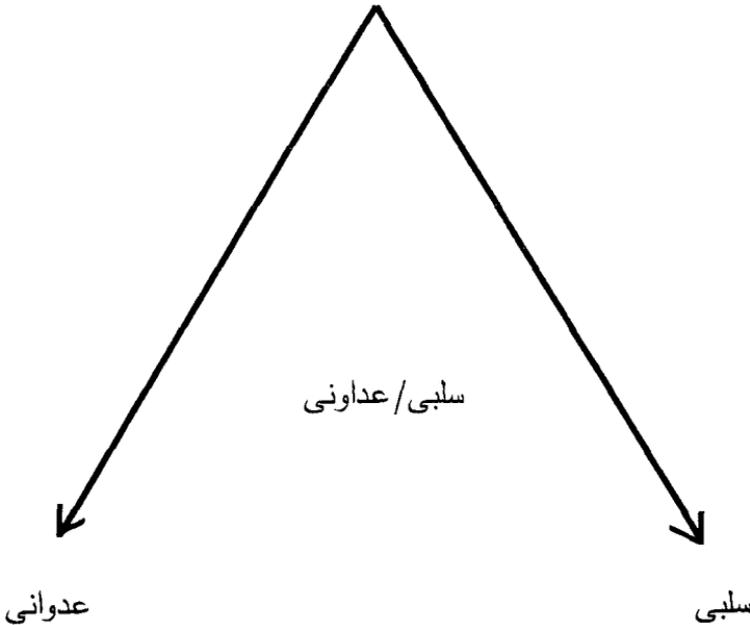
وفى يوم من الأيام دخل والدها حجرتها ومعه أنباء مفزعة. قال: «لقد كنا نتحدث أنا والدتك. إننا نريد أن نشترى لك دمية جديدة ونتخلص من هذه الدمية القديمة المتهالكة». وعندما سمعت «جينا» هذا فرزت وتشبثت بدميتها أكثر قائلة، «لا. لا أريد دمية جديدة!».

وفى ليلة أخرى دخل والد «جينا» حجرتها وهى نائمة وأخذ الدمية القديمة ووضع الدمية الجديدة بدلاً منها فى مكانها وألقى بالقديمة فى

المدفأة وهكذا احترقت صديقتها الوحيدة . وعندما استيقظت «جينا» فى الصباح التالى، اكتشفت هذه المصيبة، لم تستطع «جينا» حتى أن تلمس الدمية الجديدة ولم تكن تريدها أبداً.

لقد زادت هذه الحادثة من درجة اغتراب «جينا» عن والديها . وعندما وصلت «جينا» لسن المراهقة بدأت تبحث عن الحب فى الأماكن الخاطئة وبعد سلسلة من العلاقات، وجدت «جينا» نفسها تسير باندفاع شديد نحو حياة الدعارة . لقد وجدت «جينا» نفسها متروكة ومهملة تبتلعها الوحشة والوحدة . وكان احتياجها لأن تسمع من الله احتياجاً شديداً يائساً .

رمز السلطة



وإذ صلينا معاً منتظرين وطالبين إرشاد الله كشف لي هذا الإعلان: لقد أصبحت «چينا» الدمية الصغيرة التي تبحث عن الحب وعندما قلت لها هذا بدأت تبكى. ثم أعطاني الرب كلاماً آخر لها. «إن الله يريد أن يتبنائك لتصبحي عروسته الصغيرة» إنه سوف يحبك أكثر مما أحببت أنت دميتك».

عندئذ تحولت دموع «چينا» من دموع الألم والمعاناة إلى دموع الفرح والتأثر الشديد من محبة الله ومنذ تلك النقطة بدأت حياتها تأخذ مساراً جديداً.

إننا عندما نحيا حياة من الشهوة محاولين إشباع رغباتنا لا يؤدي ذلك إلا لمزيد من العجز في المحبة وإحساس بعدم القيمة وإذا كانت الحياة بلا قيمة ولا معنى فلماذا نحياها؟

لقد اتبعت «چينا» زيجاً بشرياً شكَّله إحساسها بالرفض الذي أصبح نقطة ارتكاز حياتها فظلت سلبية متوقّعة الرفض دائماً ولكن لنفترض أننا لن نقبل مشاعر الرفض كطريقة للحياة؟ ففي هذه الحالة قد نجد أنفسنا نتبع زيجاً آخرأً بشرياً من التمرد.

وعندما يظهر التمرد يأخذ الشخص الموقف العدواني محاولاً أن يقاوم وينفي الرسالة التي تصل له بفعل الرفض والإحساس بالدونية التي عاش تحتها لوقت طويل ولكن البعض الآخر يتأرجح بين السلبية والعدوانية كما يتأرجح البندول وذلك من موقف لآخر. إذن يوجد لدينا ٣ ردود أفعال محتملة كما نرى في الشكل السابق.

وعندما تصبح ردود الأفعال هذه أنماط سلوك وعادات فإنها تكون الأساس لتكوين بعض التشوّهات في الشخصية. وعندما يحدث هذا فإن

كل تشوه يصبح طوية فى ذلك الجدار الذى نقيمه حول قلوبنا فى
الفصل التالى سوف نستكمل دراسة الصور التى يقدمها لنا سفر عاموس
ونكتشف المزيد من الخدع والمكائد التى تختفى خلف الجدار.

الفصل الخامس

الجدران الدفاعية

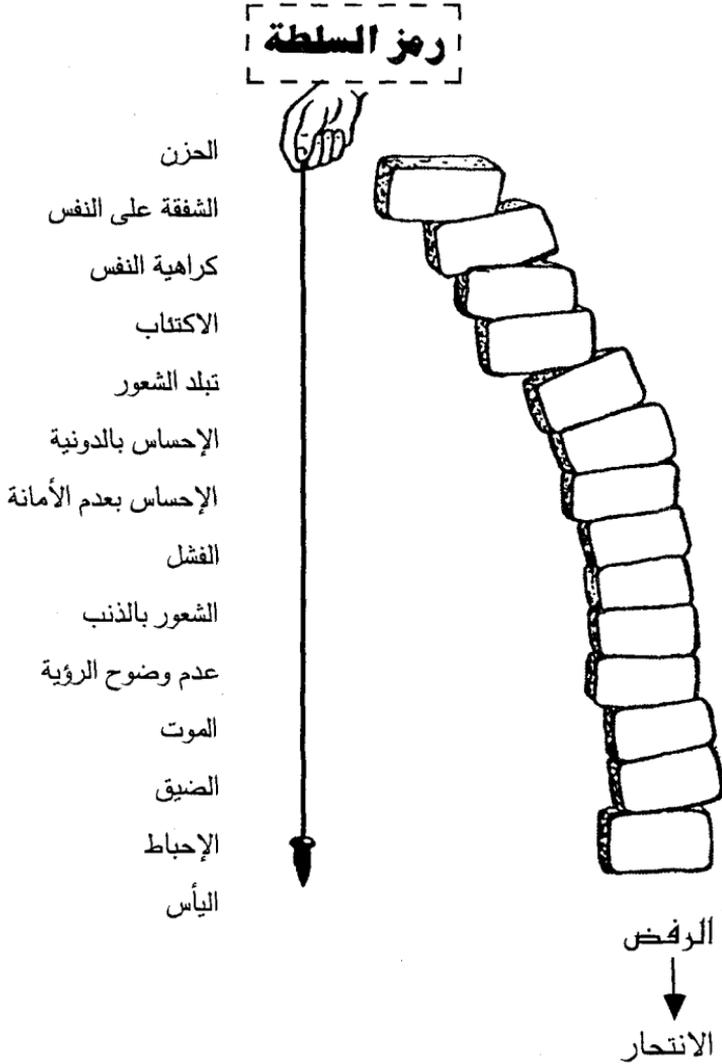
(الرفض)

عندما كنت فى أمستردام أتمشى فى شوارعها عجبت لمنظر الأزقة الصغيرة المتقاطعة والمتشابكة كمتاهة دقيقة التصميم على جوانبها بيوت من كل شكل وحجم. وبينما كنا نتمشى أشار صديقى الهولندى إلى صف من البيوت المائلة بدرجة توحى بالخطورة وكان بعضها يميل ميلاً شديداً ويحتاج للتدخل السريع حيث أن البيوت الملاصقة لها قد سقطت. وفى بعض الأحيان كانت درجة الميل تصل إلى ٦ أقدام بين قمة البناء وقاعدته.

لقد رأينا من قبل كيف أن الله صوّر حالة شعبه كجدار مائل مثل هذه الجدران التى رأيتها فى أمستردام. وفى الشخصية الإنسانية قد يسبب الرفض المتكرر تشوهاً نفسياً شديداً كتشوه هذه الجدران التى رأيتها فى أمستردام. وسوف نستطرد فى فحص هذه التشوهات إذ نستكمل دراستنا هذه طوبة بعد طوبة!

المشاعر

سوف نرّمز بكل وحدة بنائية (طوبة) إلى عقبة تقف أمام نمو شخصياتنا بحسب قصد الله وهى أيضاً طوبة فى الجدار الذى نبنيه



(شكل ١١)

حول قلوبنا ومن بين القائمة التالية من الوحدات البنائية ضع علامة أمام الوحدة التي تمثل حالتك أفضل تمثيل. وهذا سوف يساعدك فيما بعد عندما نتحدث عن مفاتيح وطرق التغيير والفئة الأولى من تشوهات الشخصية تتعلق بالمشاعر وهي جزء من الشخصية له تأثير كبير على حياتنا.

الحنن

يمكننا أن نعرف الحزن بأنه «الكآبة، والأسى». فيكون الإنسان كثيراً محزوناً أو معتماً، وأحياناً ما يلقي هذا الشعور بظلاله على الشخصية ككل كما هو الحال بالنسبة لـ «مارك».

و«مارك» هو رجل طويل القامة نحيف القوام ذو شعر أشقر وعينان زرقاوتان عميقتان لكن هذا المظهر الجذاب كان متسماً بهالة سوداء من الحزن والكآبة. وعندما سنحت لي الفرصة أن أقدم مشورة لهذا الشاب لعدة ساعات عرفت سبب هذه الكآبة الواضحة فعندما كان «مارك» شاباً صغيراً كان عداءً ماهراً حتى أنه كان من الممكن أن يمثل بلده في الأولمبياد. كانت كل دوافع «مارك» موجهة ومركزة نحو هذا الهدف إلى أن تورط في علاقة مع فتاة. وبعدما تزوجا بوقت قصير، كانت عروسه تعترض على الساعات الطويلة التي يقضيها في التدريب وبدأت تضغط عليه لكي يعتزل، واستمرت تحاول معه وتدفعه حتى تخلى عن حلمه القديم لينفذ حياته الزوجية. ولم يمضى وقت طويل حتى اكتشف «مارك» خيانة زوجته. وكانت فجيعة في زوجته وضياح حلم الأولمبياد هما السبب في ذلك الحزن العميق الذي اصطبغت به حياة «مارك».

من الطبيعى أن يحزن الناس لفترة وجيزة بسبب فقدان شريك الحياة فى منتصف العمر مثلاً ولكن عندما يصبح الإنسان غير قادر على ممارسة حياته الطبيعية لفترات تتزايد فى الطول فإنه عندئذ يصبح فى حالة من الكآبة المزمنة .

ومثل هذا الحزن غير الصحى المستمر عادة ما يكون بسبب ضياع الحلم أو إحباط التوقعات الكبيرة فى الحياة وعدم التعامل مع هذه الأمور وتنقية النفس منها وهذا ما يتضح من قصة «مارك» وهكذا حرمه ذلك الحزن القائم والمستمر متعة الحياة وفرحتها .

والكتاب المقدس يصف هذا الحزن برداء النوح (إش ٦١ : ٢) وعلى مدار السنين فى الخدمة قابلت كثيرين من أمثال «مارك» الذين استخدموا حجارة الحزن لبناء جدار حول نفوسهم وهناك أمثلة كثيرة كفتاة صغيرة فقدت عذريتها عن طريق الزنا المحرم أو زوجة فقدت حب زوجها بسبب خيانتها، وشابه أرادت أن تكون طبيبة ولكنها لم تستطع دخول كلية الطب . وفى مثل هذه الحالات، يكون الحزن هو الشعور السائد كرد فعل للصدمات المتلاحقة من الرفض والإحباط التى يتلقاها الشخص من مصدر هام فى حياة الإنسان كالآب أو الزوج .. الخ .

وفى أوقات الحزن الشديد نحتاج أن نلتفت إلى الله . الآب . مصدر التعزية الحقيقية من كل حزن ووجع قلب .

عندما عاد «مارك» لمكتبى، صلينا لكى يرفع الله هذا الحزن . وعندما سلم «مارك» حزنه لله بدأ يختبر إطلاق مشاعره الدفينة وقبيل تعزية الله وشفاءه .

الشفقة على النفس

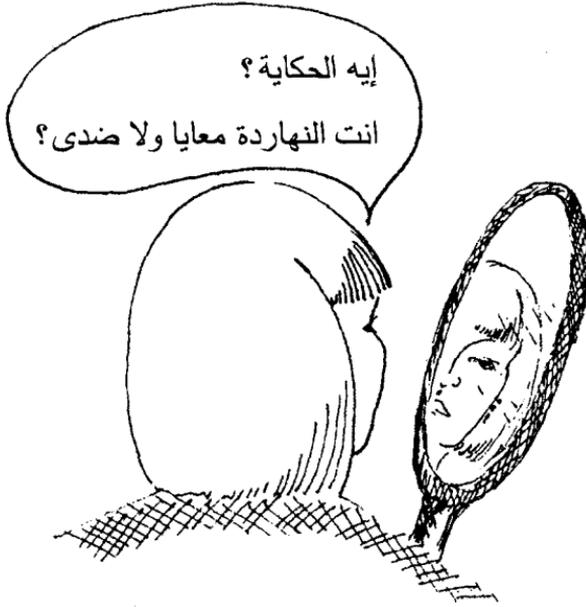
ليست الشفقة على النفس عادة سيئة وحسب بل هي أيضاً خطية عندما نتمادى في الاستغراق فيها يكون من السهل أن نتجرف إلى هذا النمط من التفكير كلما صادفتنا ظروف غير مواتية.

والشخص الذى يمارس الشفقة على النفس هو شخص يواسى نفسه دائماً نتيجة إحباط ما . وعندما يكون الإحباط شديداً يبحث من حوله عن شخص يواسيه، وهو يناور دائماً ويحاول التأثير على الأشخاص لكي يغذوا شفقتهم على نفسه . وسرعان ما يتكون في حياته جب هائل لا قاع له ولا يستطيع أحداً أن يملأه ويصبح هذا الإنسان معاقاً دائماً غير قادر أن يواجه أى صراع، ولا أن يجد حلاً لأى مشكلة . ومثل هذه الشفقة على النفس لا تطهر الرفض فقط بل هي أيضاً تشجع على حدوثه وتزيده . والدواء الذى يقدمه الكتاب المقدس لشفاء الشفقة المزمنة على النفس هو ممارسة الشكر دائماً فالشكر هو التدريب الناجح للتخلص من ذلك الانحصار السلبي في الذات .

كراهية النفس

إن أعداد البشر الذين يصارعون الأفكار السلبية عن ذاتهم في هذا القرن لمذهلة حقاً وهذه الأفكار بالنسبة للبعض قد تكون متفرقة ولكن بالنسبة لآخرين فإن الصراع قد يأخذ شكلاً مزمناً معوقاً .

يمكن تعريف كراهية الذات بأنها رفض النفس كنتيجة لرفض الآخرين . إن مساعدة شخص لكى يتغلب على رفض الذات قد تكون من أعظم التحديات التى تواجه المشير .



إيه الحكاية؟
انت النهاردة معايا ولا ضدى؟

عندما قابلت «أيتز» للمرة الأولى. أعجبت بشخصيتها المبهرة. فقبل أن تحضر إحدى دراستنا عن المشورة التابعة لهيئة (شباب لهم رسالة YWAM) كانت تعمل في خدمة المشورة التأهيلية.

وخلال المدرسة التي استمرت لثلاثة شهور كانت «أيتز» تعيش وسط حوالي ٣٠ دارس ودارسة من حول العالم أتوا لا لكي يتعلموا فنون المشورة فقط بل لكي يكونوا هم أنفسهم شخصيات متكاملة.

جذور كراهية النفس

وبعد مرور عدة أسابيع من الدراسة دخلت «أيتز» فجأة في اكتئاب

شديد. ولم تكن تستطيع أن تنام، ثم بدأت في سماع أصوات ثم انزلت إلى حالة من القلق الحاد. وكانت «أيتزر» تلتقى بشخصية من فريق العمل بصفة منتظمة ولكنها كانت ترفض أن تسمح لأى إنسان أن يتجاوز الجدران التي كانت تخبئ خلفها وبينما كنا نحاول الوصول إليها، بدأت تدريجياً تشارك بالمشاعر والخبرات المؤلمة التي عانت منها فى الطفولة ولأول مرة، بدأت فى التعبير عن الألم الذى كانت تعانیه وهى تعيش خلف هذه الأسوار وقالت «أيتزر» أنها عندما كانت فى سن المراهقة المبكرة كان والدها يرتب لها تدريباً منتظماً على رياضة التنس بواسطة عمها وتدريباً على مدى الأسابيع المتتالية بدأ عمها فى ممارسة الاعتداء الجنىس عليها وكانت المشاعر التي تعانيتها «أيتزر» شديدة جداً ولم تعرف كيف تتعامل معها. لم تكن تستطيع أن تخبر والديها مقتنعة أنهم لن يصدقوها أبداً كما أنها شعرت بالكراهية العميقة نحو عمها وأبيها الذى أرسلها له أصلاً أما أمام نفسها فقد شعرت «أيتزر» بالذنب وبأنها قادرة ولا تستحق سوى الكراهية.

وكان القادة فى المدرسة يصلون ويتشفعون لها بانتظام حتى جاء يوم خلال الخدمة فى الفصل الدراسى تقدمت «أيتزر» للأمام طالبة الصلاة من أجلها. عندئذ تركزت الأنظار عليها وهى تقف صامته أمامنا نقبض يدها وتفتحها وواضح أنها تحارب حرباً داخلية شديدة وفجأة بدأت «أيتزر» تتكلم بصوت منخفض موجهة كلامها للفصل قائلة: «إننى أكره هذا المكان!» «إننى أكرهكم، إن لى مشاعر كراهية نحو الله كما أننى أكره نفسى أيضاً! وأكره والدى!».

وبعد هذا الانفجار، وقفت «أيتزر» صامته تاركة إيانا نستوعب ببطء معانى الكلمات التي قالتها فى صمت مندهش. كان كل شىء صامتاً

فيما عدا صوت بكائها المكتوم. أما بقية الفصل فكان يصلى ويطلب من الله الإرشاد.

مفتاح الإطلاق والحرية

ثم جاءنى شاب يدعى «ديريك» وهو يهمس بشيء شعر أن الله يدفعه أن يفعله وطلب منى مزيداً من التأكيد ولمّا شعرت أن هذا صحيح طلبت منه أن يفعله. وهكذا وقف «ديريك» أمام «أيتز» على مرأى من الفصل كله وقال: «إننى أريد أن أمثل دور والدك وأسألك أن تغفرى لى. هل ستغفرين لى؟»

ورمقته «أيتز» بنظرة باردة لا تكشف أى تجاوب بل وتخفى كل انفعال.

ثم كرر «ديريك» جملته: «هل ستغفرين لى؟!»

فترة صمت. وعندما كرر «ديريك» نفس الطلب للمرة الثالثة ولم تستجب بدأ «ديريك» يبكى، وهو يشعر بانكسار قلب الله على ابنته المجروحة. وفى صمت ثقيل، كان الفصل يصلى حتى شق صوت «أيتز» صمت المكان وهى تقول: «يا أبى إنى أغفر لك» قالت هذا ثم صمتت وتبعث ذلك فترة طويلة من الصمت.

ثم تكلمت مرة أخرى. «يا أبت هل تغفر لى الكراهية التى كنت أضمرها نحوك؟» وعندما كانت تقول هذه الكلمات، تهاوت بين يدى ذلك الطالب الشاب والدموع تتدفق من عينيها تغسل كل الكراهية والمرارة والاستياء التى قد شيدت جداراً سميكاً فى قلبها لسنين طويلة. وبينما راحت «أيتز» تعبر عن غفرانها لأسرتها ولنفسها وقبولها لغفران

الله بدأت كراهيتها لنفسها تتلاشى ومع نهاية الفصل الدراسي كانت كل أعراض معاناتها قد اختفت .

وبعد ذلك كتبت لى «أيتز» هذه الكلمات:

«فى ذلك اليوم الذى قدم لى «ديريك» هذه الخدمة الروحية أمام الفصل أخذنى الله بالروح القدس إلى (إشعياء ٣٨: ١٥-١٦) وأصبح واضحاً تماماً بالنسبة لى أن عدم مقدرتى على النوم كانت بسبب المرارة التى كانت فى قلبى من جهة والذى تلك المرارة التى حاولت إخفائها طول حياتى. لقد أصبحت مخادعة جداً وبالذات فيما يتعلق بمشاعرى حتى أن طريقة تعاملى مع الناس من حولى أصبحت على العكس تماماً مما أشعر به فى داخلى تجاههم. وقال لى الرب أن مفتاح الإطلاق هو الاعتراف الأمين بمشاعرى الحقيقية تجاه الناس والحياة ولهذا عبّرت عما فى داخلى من كراهية فى ذلك اليوم.»

وخلال الشهور التالية واصلت «أيتز» مسيرة التغيير الدرامى الذى حدث فى حياتها عندما بدأت أكثر فأكثر تشعر بمحبة الله ورحمته لها. وعندما عادت لبلدها وبيتها تصالحت مع والدها وبعد ذلك كانت لديها فرص لخدمة الشباب الذين قد تعرضوا للانتهاك من واقع خبرتها.

إن حالات الاعتداء الجنى كحالة «أيتز» قد أصبحت كثيرة هذه الأيام وهى تلعب دوراً كبيراً فى كراهية النفس وكما فى كل شهوة، فإن الاعتداء الجنى يحمل معه احتقاراً وتقليلاً من قيمة الإنسان لا مثيل له ولكن فى حالة الاعتداء الجنى بالذات يتفاقم احتقار النفس لأن الشخص قد تعرض لخيانة أحد أفراد أسرته المقربين له. إن هذه الخبرة شديدة الإيلام وعظيمة الجرح لكرامة الشخص كما أن مشاعر لوم

النفس والكرهية كثيراً ما تظهر وإذا لم تتم مواجهة هذه المشاعر فإنها سوف تؤدى لكرهية النفس.

الاكتئاب

لسنين عديدة ظل الاكتئاب هو المرض النفسى الأول فى الولايات المتحدة وظل يتزايد وبالأخص بين الشباب. ما هو الاكتئاب إذن وما هى علاقته بالزيج الإلهى؟ إن الاكتئاب فى أبسط صورته وأكثرها شيوعاً هو ما يمكن وصفه من ردود الأفعال فى مواجهة الخسارة.

فقد نشعر فى بداية الأمر بفقدان عام للحوية والطاقة فيبدو علينا الحزن والإرهاق. ثم نبدأ فى الانسحاب من الحياة الاجتماعية وحتى من الأصدقاء المقربين ثم يقل النشاط فى العمل وفى البيت ويبدو كل شىء كئيباً لا أمل فيه ولا رجاء وتبدأ الأفكار تقل فى أذهاننا وعندما تأتى هذه الأفكار القليلة فهى دائماً أفكار قاتمة كما نفقد القدرة على التركيز وكثيراً ما تأتى مشاعر الذنب وعدم الاستحقاق وأيضاً تأنيب النفس واحتقارها وعادة ما تكون هناك صعوبة فى النوم.

من الطبيعى أن تكون لدينا بعض مشاعر الاكتئاب من وقت لآخر ولكن عندما تزداد هذه المشاعر فى الكم والتواتر والمدة قد يحتاج الإنسان لمساعدة طبية ومثال بسيط عن ذلك هو السيارة عندما تفقد قوة الدفع فإن الموتور يبدأ فى «التقطيع» ويكون من الواضح أننا نحتاج أن نوقف السيارة ونرفع الغطاء حتى نرى ما الأمر. وبالطبع عندما يبدأ أداء السيارة فى الضعف فإننا نبحث مباشرة عن وجود عطل ما ونحاول أن نصلحه. ولكن عندما يضعف أداءنا ونكتئب، فإننا فى أحيان كثيرة نخرس الرسالة الواضحة التى تريد حالتنا النفسية أن توصلها لنا بأن ندفنها تحت كومة من أدوية الاكتئاب!

ومما نتجاهله كثيراً أن الاكتئاب في أبسط صورته هو رسالة موجهة لنا تقول إن هناك أمراً ما في حياتنا يحتاج لتغيير. قد تستطيع الكيماويات تغيير المشاعر سطحياً ولكنها لن تستطيع أن تلمس الروح وعادة تكون أنماط حياتنا هي التي تحتاج لتغيير حتى لا نقع في انتكاسة جديدة.

وكما أن الفرح هو عرض من أعراض الحياة فالإكتئاب هو عرض يدل على أن هناك شيئاً ما مفقود في الداخل. أحياناً قد يكون المفقود هو مركب كيميائي يحتاج لأن يستبدل وذلك في بعض الأمراض الوراثية العضوية ولكن مثل هذه الأسباب العضوية لا تمثل أكثر من ٥٪ من الأمراض النفسية قد يكون الاكتئاب مزيجاً معقداً من العوامل النفسية والعضوية عندئذ يكون صعب العلاج ولكننا إذا لم نستطع تقييم أسلوب حياة الشخص المكتئب فإننا نخيب أمله ونفقد فرصة في التغيير الحقيقي.

تبدل المشاعر

يمكن تعريف تبدل المشاعر بأنه «عدم وجود عواطف ومشاعر» وتبدل المشاعر هو العدو الأكبر للحياة وهو في الواقع المرحلة الأولى في التسليم الكامل والانسحاب من تحدى الحياة نفسها ويتكلم الكتاب المقدس عن الكثيرين الذين يتعثرون في الإيمان ويتفقدون (رو ١١: ٨) ويمكن لسلسلة من الإحباطات والتراجعات أن تهيب الساحة لهجوم الشيطان الشرير. وبسبب تبدل مشاعر الكنيسة وفشلها في أن تكون نور العالم وملح الأرض أصبح العالم هو الذي يغزو الكنيسة وفشلها في أن تكون نور العالم وملح بعض الأوقات قد يكون من الصعب التفريق بين الكنيسة والعالم.

وفى أحد الأيام عندما دخلت لبیت واحدة من الأخوات تدعى «ليديا» لم أحصل فقط على دراسة سريعة عن كيفية خلق الفوضى لكنى رأيت بعينى ما يمكن أن يحدث عندما يتسلط تبدل الشعور على الإنسان لقد كانت منضدة السفره مليئة بأكداس من الأطباق المتسخة كما أن الكتب والملابس والأحذية كانت ملقاة فى كل مكان وتراكم التراب والغبار على كل الأسطح وفى وسط هذه الفوضى جلست «ليديا» وهى غير مهندمة المظهر إطلاقاً تشاهد التليفزيون! وصرخ زوجها ذاهلاً:

«انظر إنها على هذا الحال منذ أيام ولا يبدو أنها تهتم بأى شىء»
ومثل هذا التبدل فى الشعور ينتج من أفكار ومشاعر الرفض والفشل وشعاره: «ما الفائدة!» «لا فائدة» «سوف يظل الأمر هكذا ولن يتغير».

الذهن

إن هذه الفئة الثانية من الطوب الذى يُشكّل الجدار الذى نبنيه تتعلق أكثر بعملية التفكير والتوجهات الناتجة عنها. استمر فى تحديد الوحدات البنائية التى ترى أنها تشكل جزءاً من السور الذى تبنيه حول حياتك.

الدونية

«لا يوجد إنسان يقول: إننى لست أقل منك وهو يؤمن بما يقول فلو كان يؤمن بها لما قالها. فالكلب الحقيقى لا يقولها للعبة التى على شكل كلب ولا يقولها الدارس النابه للتلميذ البليد أبداً... إن هذه الجملة إن

كانت تدل على شيء فهي تدل على ذلك الشعور المؤرق بالدونية». .
ك. س. لويس «رسائل سكروتيب»

إن الذهن لهو من ملاعب الشيطان النفسية المفضلة إن هذا الشعور الداخلي بالدونية يقيد أذهان كثيرة ويشل حركتها وقدرتها على التفكير السليم. والاستنتاج الخاطئ الذي يصل إليه البعض كنتيجة للرفض المتواصل هو أنهم بالفعل أقل. وبمجرد أن يستنتجوا الأسوأ فإنهم لا يفشلون عادة في اختلاق أسباب تلائم اعتقادهم هذا. كأن يقولوا «لأنى بدينة جداً» أو «لأنى نحيف جداً» أو «لأنى قصير جداً» أو «لأنى طويلة جداً» أو «لأن أنفى كبير جداً» أو «لأنى غبية جداً» وهكذا فالأسباب يمكن أن تكون كثيرة جداً.

لقد انتابني شعور عميق بالدونية كنتيجة لتلك الخبرة المهينة التي مررت بها في المدرسة والتي ذكرتها في الفصل الأول ولأن المدرسة فضحتني أمام الفصل كله بأنى واحد من القلة الذين لا يستطيعون قراءة الساعة فإنى قد استنتجت أنى أقل من باقى التلاميذ ولكى أقل من فرص تعرضى للمهانة، بدأت فى الانسحاب من معظم أنواع المشاركة فى الفصل. ومرت سنوات كثيرة قبل أن أكتشف لماذا فضلت هذه السلبية ولماذا كنت أشعر بالتهديد الشديد كلما كانت المشاركة فى الفصل لا مفر منها.

إننا كثيراً ما نسمح لأنفسنا أن نقتنع بالدونية لأى سبب وهكذا نكون فريسة سهلة لتخويف وتهديد العدو. إن الدونية وعدم الإيمان هما أعضاء فى فريق واحد هدفه تدمير ثقتنا. فهما معاً يقضيان على الانتصارات التى كان من الممكن أن نحصل عليها بالإيمان.

عدم الأمان

إن عدم الأمان هو السمة المميزة لمجتمع اليوم وهو ناتج عن عوامل عديدة منها ذلك الانتشار الوبائى لتفكك العائلات، والعائلات غير السوية. وعدم الأمان هو نتيجة مباشرة لنقص المحبة ورسائل الرفض التى نستقبلها فى الطفولة وعلى العكس فإن الإحساس بالأمان يتعلق مباشرة بالمحبة. وقد أظهرت الأبحاث أن الأطفال الذين نشأوا فى بيئات تفتقر للمحبة عادة ما يشعرون بإحساس دفين بعدم الأمان ومن بين الأمثلة على ذلك، الحمل غير المرغوب فيه، أو جنس الطفل غير المرغوب فيه أو الوالدان المنشغلان أكثر من اللازم بحياتهم أو الوالدان السلطويان المتشددان المفتقران للدفع غير القادرين على إعطاء الحب والتشجيع. وهذه فقط أمثلة قليلة مما قد يؤدي لعدم الأمان فى حياة الإنسان.

ال فشل

«انت فاشل» «لا فائدة منك» «انت غير نافع»

إن هذه الرسائل المتكررة تذكرنى بالطريقة التى كان والد أحد أصدقاء طفولتى يتكلم بها معه. ومن أهم الصراعات التى يعانى منها الأشخاص الذين يختبرون الرفض هو إيمانهم وإحساسهم العميق بعدم استحقاتهم وبعدم كفايتهم كأنما هناك صوت داخلى يقول باستمرار: «أنا سيئ. سوف لا أصل لشيء. وكل ما أفعله خطأ».

وكثير من الناس كانوا أسرى لقهر الخوف من الفشل وعندما يفشلون بالفعل يبدو وكأنهم غير قادرين على الوقوف على أرجلهم مرة

أخرى ولا يتعلمون من الخبرات السيئة بل إنهم ينهارون إذ أنهم «مبرمجون» مسبقاً أن يصدّقوا الكلمات التي قيلت لهم وهم أطفال.

إن للكلمة قوة هائلة أن تبيننا أو تهدمنا ولكوننا قد فشلنا في شيء ما ونحن أطفال قد يؤدي ذلك لأن يطلق علينا «فاشلون» وهذه الوصمة قد تنمو معنا وتثبت بمرور الأيام تلك البرمجة السلبية فنفشل فعلاً وكلما فشلنا ازداد اقتناعنا بفشلنا. ثم نبدأ في وضع أنفسنا بعيداً عن نعمة الله.

الذنب

هل يعد الشعور بالذنب ضعفاً رهيباً أم هو ميزة قيمة؟ هل علينا أن نبتناه أم نرفضه ونردله؟ والتوضيح التالي قد يعطينا رؤية للإجابة عن هذا السؤال.

تخيل أنك تستقل سيارة بين الحقول الجميلة وفي الخلفية جبال جميلة شامخة يغطي الجليد قممها وفجأة وبينما أنت تستمتع بهذا الجمال يلفت انتباهك ضوء أحمر صغير يومض في «تابلوه» السيارة ولكنك تستمر في القيادة متجاهلاً هذا الضوء متمنياً أن يتوقف وبعد قطع بضعة أميال يستمر الضوء في الوميض ويتزايد شعورك بالضيق. وفي النهاية لا تحتمله ومن فرط الإحباط تتناول مطرقة من درج الآلات وتحطم ذلك الضوء الأحمر وتواصل القيادة مستمتعاً بتلك الطبيعة الخلابة الممتدة أمامك. ولكن فجأة يتوقف محرك السيارة تماماً.

إن الضوء الأحمر يمثل مقياس الشعور بالذنب وهو جهاز إنذار داخلي مصمم بحيث يحميننا من المعاناة والموت وهو يمكن أن يومض

فى أى وقت من الليل أو النهار وغالباً ما يكون ذلك ليلاً حيث تقل الضوضاء والتشويش وتضعف الدفاعات بسبب الإرهاق وعندئذ يكون لنا الخيار إما أن نخرس هذا الصوت بأن نكبتة أو نحاول صرف انتباهنا لشيء آخر أو نفرغ إحساسنا بالضيق فى شخص آخر أو نستجيب للرسالة التى يقولها فننتوقف و«نركن السيارة» لنفحص حياتنا وأنماط سلوكنا .

لقد حاولت نظريات علم النفس الفرويدى أن تكبت الشعور بالذنب بأن تخفض من حساسية هذا المقياس الداخلى فقد اعتقد فرويد أن الأنا العليا والرسائل التى توجهها للأنا أو الأنا السفلى هى فى الأغلب مثاليات والدية قاهرة لا يستطيع أحد أن يفى بمتطلباتها ويرتفع إلى مستواها وهذه الفكرة قد لوئت كثير من المفاهيم العامة مؤدية إلى مجتمع ملئ بالأشخاص الذين إما يصارعون الاكتئاب أو التمرد على الشعور المكبوت بالذنب. ولكن إذا ما استقبلت رسالة الشعور بالذنب بدقة وتم استيعابها والعمل بمقتضاها يمكن أن تعود الحياة إلى اتزانها ويستمتع بها الإنسان. وهذه هى القيمة العظيمة للشعور بالذنب عندما يكون حقيقياً ويتم التجاوب معه وفهمه بنضوج وعندئذ يصبح الشعور بالذنب علامة إرشادية هامة فى طريق الحياة .

الروح

أما الفئة الأخيرة من وحدات نمو الشخصية فهى تتعلق بذلك الجزء من الإنسان الخاص بالعالم الروحى غير المنظور. ومن الحركات الجديدة التى جلبت إلى المقدمة مفهوم أن الإنسان هو كائن روحى، حركة العصر الجديد بما تتكلم عنه من الوعى الجديد والفكر الجديد.

والطب في مفهومه الكلى يبحث عن موارد روحية للقوة والشفاء وتستخدم الدكتورة اليزابيث لوبكر - روس المشهورة عالمياً بأنها مرجع موثوق به في مجال الموت والاحتضار، ما يعزف بالوسطاء لكي تزيد من معلوماتها في هذا المجال وإن كان هذا الأسلوب كثيراً ما يكون مضللاً إلا أنه يعكس جوفاً روحياً حقيقياً.

وأخيراً وصلت روح الإنسان إلى بؤرة جديدة من الاهتمام بعد حقب طويلة من الجدل والشك العقلاني. والكتاب المقدس الذي هو أقدم وثيقة وأكثرها مصداقية بشأن روح الإنسان يقرر التالي:

«إن روح الإنسان (ذلك الجزء من شخصية الإنسان النابع مباشرة من الله) هو السراج الإلهي الذي يفحص كل ما هو داخل الإنسان»
(أم ٢٠: ٢٧).

ويعد تشبيه السراج ملائماً ومفيداً في هذا السياق. فعندما يلتصق الإنسان بزيج الرفض والتمرد بدلاً من الزيج الإلهي يبدأ في أن يعيش في وضعه المائل المتأرجح وتتأثر بذلك روحه.

عندما عملت أنا وزوجتي كطبيين مرسلين في غرب أفريقيا اكتشفنا حالة لم تستطع أدويتنا أن تعالجها. وهي أن كثير من الشباب في أوج الحياة يرقدون ويموتون دون سبب يمكن تمييزه وبناء على طلبنا قام المترجم الذي يساعدنا ببحث الكثير من خلفيات هؤلاء الشباب ووجد أنه في كل حالة من هذه الحالات قام أحد الأطباء السحرة بوضع لعنة على هؤلاء الشباب ليموتوا دون سبب مفهوم.

وما حدث في هذا الوقت بالنسبة لأرواحهم يمكن أن يوصف في إطار السراج والشعلة الداخلية. وكلما قبل أحد هؤلاء الشباب وصدق

مصيره خبا لهب الشمعة تدريجياً وسرى الموت فى كيانه وفى النهاية مات بالفعل وانطفأت الشمعة وهذا التشبيه يشير إلى ثلاث وحدات متعاقبة من جدار الرفض

تخيو ...

تموت تدريجياً ...

تنظفي !

وقد لاحظت عملية مماثلة فى مرضى المستشفيات. فبعضهم يرفض أن يموت بينما يمر آخرون فى تلك السلسلة المذكورة سابقاً دون أدنى صراع. ورأيت مراراً وتكراراً أن الشخص إذا ما قبل الرفض أكثر من مرة فإنه يقتنع بأنه مرفوض وسرعان ما تؤكد المشاعر هذه الأفكار حتى تصبح فى النهاية مرتبطة بالروح وهكذا يخبو الرجاء ... ويبدأ

الإحباط ولشرح هذه الطوية دعنى أقص عليك قصة. فى يوم من الأيام وضع العدو (إبليس) لافتة فى إحدى المحلات ليبيع بعض أدواته، وكان أعلى سعر ملصق على أداة غريبة الشكل، وعندما سئل ماذا تكون؟ أجاب الشيطان إنها «الإحباط» وهى أقوى أدواتى. فإنى أستخدمها مع الإنسان كثيراً حتى أتى به إلى ...

اليأس واستطرد الشيطان وهو يضحك فى حبور بينما يكشف شيئاً فشيئاً عن مؤامراته. «بمجرد أن يقع الإنسان فى اليأس يصبح ضعيفاً

جداً أمامي! بل يصبح سجيناً وعبداً لي. كم أحب أن أقود المسيحيين إلى اليأس بشأن خدمتهم وعائلاتهم وأمورهم المادية بل وكل حياتهم وبدفعة صغيرة في الوقت المناسب تنهار معارضتهم لمملكتي إلى الأبد».

وفي كتابه الخالد «سياحة المسيحي» يصف يوحنا بنيان وصفاً حياً مصيبة المسيحي وصاحب الرجاء عندما يسقطان في بالوعة اليأس العملاقة عندئذ يصبح السائحان أسرى لهذا العملاق في جب مظلم كرية الرائحة وبعد أن يضربهم ضرباً مؤلماً ينصحهم بأن يقتلوا أنفسهم. فيقول أحدهم يائساً: «لماذا نختر الحياة ونحن نرى كيف أنها مليئة بالمرارة؟»

أسباب اليأس

في وقت متأخر من إحدى الليالي كنت أتثائب وأنا في طريقي لسريرى عندما رن جرس الهاتف. وجاء الصوت على الطرف الآخر فزعا: «بروس تعال سريعا» «ديون» في السجن». عندما سمعت ذلك استيقظت كل حواسي فجأة وأنا في حالة من الدهشة وعدم التصديق. فديون لم يكن فقط عضواً في الكنيسة المحلية بل كان صديقاً عزيزاً لي أيضاً. وبسرعة وفزع ارتديت ما صادفني من ملابس وتأهبت للإسراع إلى قسم البوليس. كل هذا وعقلي يحاول جاهداً أن يفهم الموقف ولم أستطع إلا أن أعتقد أن هناك خطأ ما.

وبعد ما قابلت بعض قادة الكنيسة في قسم البوليس أبلغوني بملاحظات القبض على «ديون». على مدار السنوات الماضية كانت

زوجة «ديون» قد أفضت لى بوجود بعض ميول الجنسية المثلية عند «ديون». وما حدث مؤخراً هو أن شرطيان قد ضبطا «ديون» فى مكان عام ووجهوا له تهمة محاولة ارتكاب جنحة (فى المكان الذى حدث فيه ذلك كانت ممارسة الجنسية المثلية تعد جنحة) واستطعنا الإفراج عن «ديون» فى تلك الليلة وعندما خرج إلينا وهو منهار من الأسى والضعف ورأسه مدلاة وبدا لنا رجلاً محطماً تماماً واليأس والقنوط باديان بكل وضوح على وجهه.

وفى الأسبوع التالى بدأ اثنان منّا يلتقيان بـ «ديون» بصفة منتظمة وبسبب إدانته لنفسه والإذلال الذى حدث له بسبب القبض عليه متلبساً بهذا الفعل الفاضح انزلق «ديون» إلى بالوعة اليأس والاكتئاب وزاد الأمر سوءاً أن نشرت صحيفة محلية قصة مبالغ فيها تصف الواقعة. كل هذا أدى به لأن يغرق لقاع اليأس ويصبح كل ما يفكر فيه هو الانتحار.

وتوالت الأيام ونحن (صديقى وأنا) نذهب لمنزل «ديون» لنجلس ونصلى معه. فى البداية شعرنا أننا كأصدقاء أيوب الذين لم يعرفوا ما يقولونه أو كيف يبدؤون فظلوا صامتين لسبعة أيام وهم حزاني تعاطفاً وتضامناً مع أيوب.

ولكننا على عكس أصدقاء أيوب، عندما فتحنا أفواهنا لتتكلم كانت لدينا قضية واضحة نتكلم عنها وهى الخطية والتوبة. لقد أصبحت خطية «ديون» على رؤوس الأشهاد. ولكن معركتنا الكبرى كانت مع ذلك الإحساس العميق بالخوف وتأنيب الضمير الذى لا يتوقف لقد كان مقتنعاً أنه ارتكب الخطية التى لا تغتفر وأنها فقط مسألة مرور وقت قبل أن يفتح الجحيم أبوابه ليستقبله لعذاب أبدى.

وحيث أننا لم نستطع أن نقنعه بالكلام أن يتخلى عن موقفه الراغب في الانتحار لجأنا بقوة للصلاة المكثفة معه وفي أحد الأيام في الصباح بينما نداوم على صراعنا في الصلاة جاءنا بعض التشجيع. فبعدما صلينا مع «ديون» لمدة ساعة لاحظنا أنه بدأ يبكي بطريقة مختلفة فلم تكن هذه دموع الشفقة على النفس كما كانت من قبل ولكنها دموع الراحة وفجأة بدا لنا أنه يرى نفسه لأول مرة في ضوء جديد وأخيراً بكى قائلاً:

«يا أبا الآب (يا بابا)» وبعد هذا الوقت بدأ الله في رحمته ونعمته يلتقي به ويعيد إضرام فتيلة روحه المدخنة فكانت هذه بداية عودة «ديون» من حياة الشهوة والشذوذ إلى حياة المحبة والحق. وبعد هذا اليوم، كان علينا أن نساعد أن يجتاز آلام عميقة خلال الشهور التالية ولكن النصر الأكبر كان قد تحقق بالفعل وكلما كان إيمانه للشهوة يخفت ويتوارى كانت علاقة حبه لله تنمو وتتقوى كل يوم فقد بدأ يستمتع بقضاء الوقت في الصلاة والتأمل في كلمة الله.

ثم أعطاه الله إعلاناً. فقبل ذلك الوقت كان يخدم الله بدافع من الواجب كما يخدم العبد سيده بدلاً من أن يخدمه بدافع الحب والتكريس كما يحدث بين الابن وأبيه. لقد كانت علاقته بالله من قبل علاقة باردة مبنية على معتقدات فكرية ولاهوتية فقط. فقد كان مثقفاً لاهوتياً ومهماً في تعليم ما كان يعرفه ولكن لم تكن لديه أى عاطفة حب دافئة نحو الله. وخلال الشهور التي تلت بدأنا نرى استعادة هذا الرجل لحيوية علاقته بالله إذ اكتشف اختبارياً أبا الآب.

خاتمة

إن اتباع زيغ إنسانى من الرفض لهو إعاقة جسمية للحياة، وإذا سمح الإنسان لنفسه بهذا فهو قد يفقد حتى حياته نفسها. والشخص الأكثر عنفاً قد يقاوم القبول السلبي للرفض ويتبنى رد فعل آخر بأن يتبنى زيغاً إنسانياً آخر من التمرد. فالمقاومة الشديدة لزيغ الرفض قد تفتح الباب لقبول التمرد فيتأرجح البندول من أقصى اليمين لأقصى اليسار متجاوزاً الخط العمودى المستقيم الذى يمثله الزيغ الإلهى. وفى الفصل التالى سوف ننظر عن قرب إلى هذه المشكلة.

نقطة توقف

راجع الوحدات البنائية (الطوب) الذى وضعت أمامه علامة معتبراً أنه يشير لما تعانى منه.

تأمل متذكراً الظروف والملابس التى أدت إلى إضافة هذا الطوب إلى جدرانك.

هل لا يزال تأثيرها فاعلاً فى حياتك فى بعض الأحيان؟

ماذا يمكنك أن تفعل لتزيل هذه التشوهات؟

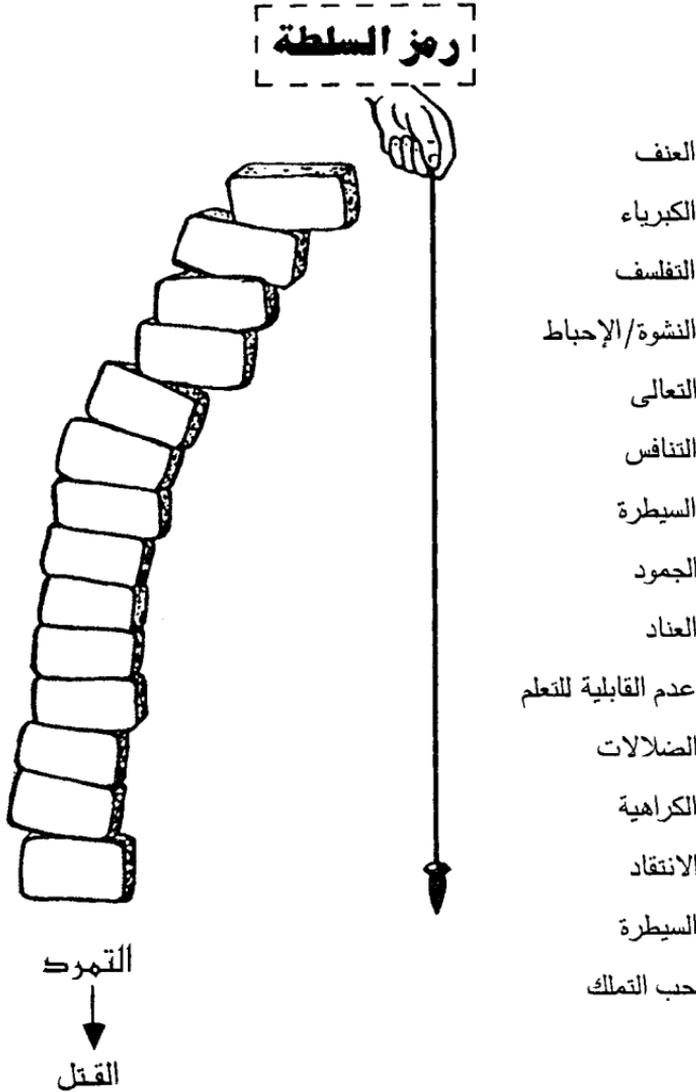
الفصل السادس

الجدران الدفاعية (التمرد)

يعتبر «عيدى أمين» حاكم أوغندا السابق مثلاً كلاسيكياً معاصراً للشخصية المتمردة في أكثر صورها تطرفاً ولكونه ينتمي للنوبيين وهى جماعة عرقية تعيش على الترحال من مكان لمكان فقد شب «عيدى أمين» وهو يتنقل من مكان لآخر مع أمه دون أن يعرف له أباً. وفى أوغندا كان النوبيون هؤلاء يعدّون أدنى طبقات المجتمع لذا فقد كانت الرسالة التى يستقبلها «عيدى أمين» منذ طفولته هى الرفض والاحتقار.

وعندما التحق هذا الشاب بالجيش وارتقى فى سلم الرتب العسكرية نفى عن نفسه بقوة رسالة الرفض التى كان يتلقاها طوال حياته وبدأ فى أن ينبع زيجاً من التمرد فأصابته عقدة التفوق إذ كان يغالى فى تعويض النقص الذى عاناه من نشأته الفقيرة وتعليمه المتواضع لذا فقد أصبح جندياً متشدداً جداً يكافح بلا هوادة ويستخدم أى وسيلة للوصول إلى طموحاته وأطماعه السياسية فقد كان «عيدى أمين» مسئولاً عن تعذيب وقتل ما يزيد على مائة ألف شخص من شعبه منذ سنة ١٩٧١ متشبهاً فى ذلك ببطله ومثله الأعلى «أدولف هتلر».

لقد كان عنف «عيدى أمين» ظاهراً بشكل خاص فى الطريقة السادية التى كان يعذب بها أعداءه قبل أن يلقى بهم إلى التماسيح



(شكل ١٢)

الجائعة. كما أن قبضته القوية وتسلطه الشديد كانا واضحين في تصميمه على النجاح بالقوة الغاشمة والمكر والحيلة والخداع.

وبالإضافة إلى ذلك لم يعرف غرور «عیدی أمين» واعتداده بنفسه أي حد وفي مرات كثيرة كتب رسائل لملكة إنجلترا يعرض عليها أن يساعدها بحل المشاكل الاقتصادية والسياسية التي تعاني منها المملكة المتحدة بل لقد دعا نفسه ليكون مستشاراً للملكة وناصحاً لها! لقد كان «عیدی أمين» يقف دائماً موقف المدافع عن سلطته وسطوته حتى أنه لم يكن يستطع احتمال أي إنسان يشك في قدرته. لذا فقد كان يحكم «بالفرمانات» ولم تكن عقوبة من يعارضه أقل من الموت فكانت هذه هي الطريقة الوحيدة التي يعرفها لكي يخرس كل من يتشكك في قوته وسلطانه ولقد قال «عیدی أمين» ذات مرة: «إنني أعتبر نفسي أقوى شخصية في العالم» فاضحاً ضلالات العظمة التي كان عقله ممتلئاً بها وكذا روح التسلط والتحكم والعناد والعجرفة.

المشاعر

سوف ندرس الآن جدار التمرد طوية طوية كما فعلنا في الدراسة السابقة لجدار الرفض، ضع علامة أمام الوحدات التي ترى أنها موجودة في حياتك وسوف نبدأ بالوحدات الخاصة بالمشاعر.

العنف

عندما كنت أقدم مشورة لرجل في منتصف العمر في اليابان طفا على السطح موضوع علاقته بأبيه. وفجأة هب قافزاً من مقعده

وصرخ بصوت كاد يخرق طبلة أذنى وهوى بقبضته على المنضدة حتى كاد يكسرها إلى نصفين كما يفعل لاعبو الكاراتيه. فمجرد الكلام عن أبيه سبب له ألماً عميقاً ظهر فى صورة هذا العنف الشديد ولم يؤد الغضب فقط إلى طمس ألمه الداخلى بل عرقل أيضاً نمو شخصية هذا الرجل.

١٦

١٦

ويمكن التعبير عن الغضب بصورة بناءة، ولكن هذا العنف غير المكبوح قد يكون خطيراً جداً. وعادة ما ينشأ الغضب عن الألم، وإذا كان الألم مستمراً فإن الغضب أيضاً يكون مستمراً.

والشخص الذى يعانى من مشكلة مزمنة من اضطراب المزاج عادة ما يكون فريسة لصراع داخلى غير محسوم أو جرح غائر عميق. وعندما لا يجد الغضب متنفساً مقبولاً فإنه يتسرب إلى الأعماق وتتكون حلقة مفرغة من الكبت المبالغ فيه والانفجار وفقدان السيطرة. ومع هؤلاء الأشخاص قد تتراكم مشاعر كثيرة فيصبح الاكتئاب العميق أو الغضب المتفجر أحد طريقتين وحيدتين للتعبير عن هذا الألم الشديد. وعندما يتم كبت المشاعر المؤلمة بطريقة مستمرة ومزمنة فإنها قد تظهر على السطح فى صورة مرض نفسى أو اضطراب نفسجسمى Psychosomatic.

الكبرياء

إن هذا التشوه يمكن تعريفه فى أفضل صورة بأن يكون المرء متعالياً عزوفاً عن الآخرين، عاكساً نوعاً من الزهو الشخصى والانحصار فى الذات. والشخص المتكبر عادة ما يعانى الوحدة رغم أنه

يخسر إمكانية تكوين صداقات بسبب سلوكه المتعجرف وتعليقاته المقللة من قيمة الآخرين. وعادة ما يشعر المتعاملون معه بأنهم لا ينالون حقهم من التقدير وأنهم صغار وذلك من خلال اعتداده الشديد بنفسه. ويتعاطف شعور هذا الشخص بقيمته وحقه على حساب الآخرين مما يؤدي إلى خسارته لرفقة هؤلاء الأشخاص وصداقتهم.

التفلسف (الخرقة)

يمكن أن تسمى هذه الطوبية أيضاً «التفلسف الكاذب» وهو ما يحاول الأشخاص المتكبرون الوصول إليه دائماً. والأصل اللاتيني للكلمة الإنجليزية المترجمة تفلسف يعنى الجدل الكاذب الذى يهدف أصلاً للخداع لذا فإن التفلسف يهدف أساساً إلى التضليل وتجريد الشخص أو الأمر من بساطته الأصلية. كما أنه يعنى أيضاً الغش والتزييف والاصطناع.

وكثيرون ممن أقدم لهم المشورة ويبدون أنهم متحذلقون سرعان ما أكتشف زيفهم. من الخارج يظهرون متماسكين وسلسين ومسيطرين على أمورهم تماماً ويشيعون جواً من الاستقلالية والثقة بالنفس ولكن تحت هذا السطح اللامع المصقول أكتشف أنهم يعانون من عدم الأمان والدونية والمخاوف من أمر آخر.

إن الكبرياء وهذا النوع من الفلسفة الكاذبة عادة ما يؤدي لنشوء حواجز تمنع من إقامة العلاقات الدافئة المحبة.

إن الانطباعات الأولى عن الأفراد كثيراً ما تعطينا إحساساً داخلياً إما إيجابياً أو سلبياً بشأنهم. من أين تأتي هذه الأحاسيس الداخلية؟ وهل

يمكن الاعتماد عليها؟ دعنى أشرح كيف تعمل هذه الأحاسيس من وجهة نظرى.

عادة عندما نقابل شخصاً لأول مرة فإننا - فى رأى - نعود بسرعة البرق إلى الأرشيف الموجود فى المخ لنبحث فى الماضى عن شخص مماثل لهذا الذى نقابله. ويعتمد إحساسنا الداخلى بالشخص الجديد على ما قد اختبرناه مع شبيهه القديم وهل كانت تجربتنا معه تتميز بالدفء والصدقة أم كانت باردة ومؤلمة. وإذا كانت الذكريات سلبية فإننا عادة ما نميل إلى تجاهل وتحاشى هذا الشخص وهكذا تفشل هذه العلاقة أما إذا كانت الذكريات إيجابية فإننا نتحرك بسهولة نحو توطيد هذه العلاقة الجديدة. ولكن الذى نفشل فيه عادةً هو أن أصعب علاقة يمكن عملها هى أكثر علاقة نريد أن نتحاشاها. ولكننا إذا أرغمنا أنفسنا أن نستكشفها فإننا نجد أن هذه العلاقة تحمل فى داخلها فرصاً عظيمة للشفاء والنمو.

وعندما يفشل الكمبيوتر الداخلى لعقولنا فهو عادة ما يفشل فى التمييز بين الأشخاص الذين يطلون من الماضى والأشخاص الموجودين فى الحاضر. وللأسف فإننا عادة ما نأخذ برأى هذا الكمبيوتر كما لو كان هو كل الحق. ولكن هذا المثال يوضح لنا كيف أنه يمكن أن يخطئ. لذا فعلينا باستمرار أن نطور ونعيد تفسير وتحديث البرامج القديمة لئلا نعيش أسرى الماضى.

الانشراح والإحباط

فى سنة ١٩٧٣ قال «جوشوا لوجان» المخرج والمنتج الموهوب

فى المسرح الأمريكى هذه الكلمات: «إن الاكتئاب لهو أمر مفزع أما الانسراح - الذى هو توأمه غير المتماثل - فهو أكثر صعوبة. فبالرغم من أنه يبدو جذاباً للوهلة الأولى إلا أنه عندما يتزايد يعرض الإنسان لخطر أكبر من خطر السقوط فى أعماق الاكتئاب».

لقد قال لوجان هذه الكلمات قبل أن تقول الجمعية الأمريكية للطب النفسى كلمتها فى المؤتمر الخاص بالاكتئاب وتعرض تاريخ هذا الشخص الذى عانى لثلاثين سنة من نوبات الاكتئاب والهوس المتبادلة.

«ولعل فى تراثنا المصرى. عملاق آخر عانى من نفس الألم وهو صلاح جاهين الشاعر والرسّام. فقد كان طاقة متفجرة من الإبداع لكنه كان يتردد بين الاكتئاب العميق والنشوة الغامرة وذلك يظهر فى أشعاره وبالأخص الرباعيات. فى إحدى الرباعيات يقول:

دخل الربيع يضحك لقناني حزين
نده الربيع على اسمى لم قلت مين
حط الربيع أزهاره جنبى وراح
وايش تعمل الأزهار للميتين ... عجبى
وفى رباعية أخرى يقول:

كرباج سعادة وقلبي بييه انجلد
رمح كأنه حصان ولف البلد
ورجع على آخر الليل وقاللى
ليه مكسوف تقول إنك سعيد يا ولد ... عجبى

وهكذا ظل يعانى الاختناق بين برائن الاكتئاب وسياط النشوة المؤلمة حتى رحل عن الدنيا» (المترجم).

وعندما يصادف الإنسان صراعات أو ضغوطاً فإن مزاجه بالطبع يتغير بين الارتفاع والانخفاض. فالأزمات فى مسار الحياة تشبه «المطب» على الطريق فكما يتحرك زنبرك السيارة لأعلى ولأسفل ليمتص الصدمة هكذا تتراوح مشاعرنا بين الارتفاع والانخفاض.

وهذا طبيعى فكما أن السيارة بعد ذلك تستوى على الطريق وتكمل المسير فإننا عادة أيضاً ما نعود لحالتنا الطبيعية ونكمل الحياة ما لم تكن الضغوط أكبر من قدرتنا على الاحتمال. أما إذا وصلت الضغوط لدرجة قصوى فإننا إما أن ننكسر فنقع فى حفرة الاكتئاب أو ننفجر فننطلق فى سماء الهوس أو نظل نتأرجح بين الاثنين بطريقة مؤلمة. وهذا التردد المزاجى قد يكون شديداً لدرجة أنه قد يخرج مشاعرنا عن عقالها فيما يسمى بالذهان أو المرض العقلى. لهذا كله فإن الراحة وحل الصراع الداخلى هى أمور وقائية شديدة الأهمية.

الذهن

إن الفئة الثانية التى أريد أن أتحدث عنها تتعلق بعملية التفكير والتوجهات الناتجة عنها. استمر فى تحديد الوحدات التى تمثل حالتك بوضع علامة.

التعالى

إن هذا الأمر كثيراً ما نراه فى الأوساط العلمية والأكاديمية والتى فى كثير من الأحيان قد أصبحت نظاماً.

وكثيراً ما لا يتعامل أولئك الذين يحملون مؤهلات عليا مع من هم

دونهم في الرتبة إلا لأمر محددة وفي إطار ضيق جداً إن كان هناك أى اتصال على الإطلاق ولكن عندما يتعامل الناس دائماً بهذا الأسلوب المتعالى فإن هذا غالباً ما يعكس محاولاتهم الدائمة للتعويض عن شعور دفين بالدونية فعندما ينقصون من قدرنا فهم يشعرون بالارتفاع.

إن هذا الجو من التفرد والتميز الذي يحب أن يشيعه البعض ليس سوى محاولة للتغطية والتعويض عن شعور مؤلم ومكبوت بالدونية وصغر النفس. وهذه المشاعر قد تكون قد تثبتت في أذهاننا لسنين طويلة نتيجة لتصرفات الآباء والأمهات الذين يسيئون إلى أبنائهم أو اضطهاد الزملاء واحتقارهم وهذه الطوية من التعالى كثيراً ما تعزل الشخص وتحرمه من التمتع والحفاظ على علاقات مشبعة في حياته.

التنافس

كان جراهام يبدو للوهلة الأولى في ريعان العمر وكل شيء في حياته على ما يرام ولكن عندما جلس معي في مكتبي وتأمل السنين التي قضاها والمجهود والطاقة التي بذلها في الأعمال المتعلقة بالكنيسة بدأ في البكاء فلقد بدأ يلاحظ وهو مجهد وعلى شفا الانهيار التام أنه كان يتنافس على حب الناس وربما الله أيضاً كل أيام حياته. كيف وصل جراهام لذلك الوضع؟ ما الذي عرّضه لهذا الأسلوب في الحياة؟ لقد نشأ هذا الشاب، مثله مثل كثيرين غيره، في بيئة لا تقبل ولا تشجع إلا من يكون أداؤه حسناً. فقد كان حب والديه المشروط دائماً ما يتطلب الحصول على مستويات خاصة والحفاظ عليها كالدرجات العليا في المدرسة والأداء الأمثل في الرياضة وغيرها من مجالات الحياة. وبالرغم من ذلك فحتى عندما كان يقوم بأفضل أداء فإنه كان يحصل

على أقل تشجيع أو لا تشجيع على الإطلاق ولكن حظه من النقد واللوم كان دائماً وثيراً والتشجيع عندما كان يقدّم نادراً فللتأكيد فقط على أنه كان يمكنه أن يؤدي أداءً أفضل ومراراً وتكراراً قيل له: «لا أقبل أن يكون لدى ولد يعود للبيت بهذه الدرجات!» والرسالة المتضمنة فى هذا الكلام هو أنه إن لم يؤد أداءً أفضل سوف يكون مرفوضاً. ولكن هذا النوع من الحب المشروط يؤدي إلى إقامة أهداف لا يمكن الوصول إليها ومقاييس لا يمكن إرضائها فى أذهان الأطفال وبسبب مثل هذه التنشئة فإن كثيراً من البالغين اليوم يقومون بأداء وظائفهم للحصول على الحب والتشجيع وإثبات الذات. حتى خدمة الإنسان لله يمكن أن تكون محاولات مستميتة للفوز بحبة الله المقدمة مجاناً وليس علينا سوى أن نقبلها.

منذ بضعة سنوات مضت، بدأ الله يظهر لى أهمية تشجيعى لأولادى مايكل ويونيل، فى أوقات لم يكونوا يفعلون فيها شيئاً سوى أنهم يتصرفون بطبيعتهم. فعندما كنت أراهم يجلسون على الأرض يلعبون بالمكعبات، لعبتهم المفضلة عندما كانوا أطفالاً، أو عندما كنت أراهم يقرأون كتاباً أو مجلة كنت أضع ذراعى حول أكتافهم وأعبر لهم عن حبى وتقديرى لهم. وعلى مدار السنين واصلت فعل هذا.

وأعتقد أنهم كانوا يكبرون وينضجون كانت تصلهم رسالة أن والدهم يحبهم لشخصهم وليس لما يفعلونه.

التسلط

يتزايد هذه الأيام عدد الزوجات اللاتى لا يلعبن فقط أدواراً رئيسية

في حياتهم الزوجية بل يتسلطن على العلاقة بكاملها. وهذا النمط في الزواج الحالي يثير اهتمام وقلق علماء الاجتماع.

ما الذي يسبب هذا التحول الكبير في الأسرة؟ إن هذا التسلط ينشأ من الإحساس بعدم الأمان الذي ينشأ بدوره من العجز في الحب. فالأزواج إما أن يكونوا قد نسوا أو لم يعرفوا أبداً كيف يحبون زوجاتهم وعادة ما يشتهونهم غير مفرقين بين الشهوة والحب. إن تعبير الشهوة والحب قد استخدموا كثيراً وكأنهما مترادفين مع أنهما في الحقيقة أقرب إلى أن يكونا متضادين. فعلاقة الشهوة تترك الزوجة وهي تشعر بأنها تستخدم وبالتالي لا تشعر بالأمان وبالتالي ينشأ الإحباط وربما البرود الجنسي ولتجنب حدوث هذا، قد تحاول الزوجة التأثير على زوجها لكي تحصل منه على الحب الذي تفتقر إليه. وهذه التحركات التي تهدف إلى السيطرة قد تؤدي في النهاية إلى تدمير العلاقة بالكامل وهذا بالتحديد ما يحدث في كثير من الأسر هذه الأيام.

الجمود

أن تكون جامداً فهذا يعني: ألا تكون مرناً بل صلباً غير مستعد لتقديم أي تنازلات. وهذا التشوه في الشخصية كان واضحاً جداً في أحد الشبان في الفصل الذي كنت أدرسه. فخلال وقت المناقشة بعد إحدى محاضراتي وقف هذا الشاب وبدأ في فصاحة شديدة يوضح وجهة نظره. وعلق الحاضرون بعض التعليقات ولكن البعض الآخر أظهروا صراحة عدم موافقتهم على آرائه. وجلست في هدوء أتابع ما يحدث، وسمحت للمناقشة أن تستمر ولاحظت كيف أنه كان متشبثاً بآرائه بجمود شديد مهما قال الآخرون وفي النهاية رفع صوته وقال جملته

الأخيرة واندفع خارجاً من الغرفة ولأن كل كيانه كان مشبعاً بآرائه لم يستطع تحمل أن يكون مخطئاً وكان قبوله لفكرة أن آراءه مضادة لآراء الآخرين يعنى أن يرى نفسه مخطئاً وهذا يقلل من قيمته ومكانته من وجهة نظره .

ومناً من يضع ثقته فى نظام ما كالبيت أو الوظيفة أو الدراسة وتسبب له فكرة التغيير رد فعل مبالغ فيه . ولكن هذا التصلب كثيراً ما يقف عقبة أمام نمونا . ونستطيع أن نرى هذا التشوه فى الزوج الذى يعبر عن ضيقه وتصلبه عندما تغير زوجته مكان كرسيه المفضل بعد تنظيف حجرة المعيشة . ماذا تكون ردود أفعالنا عندما تتغير الأمور المفضلة فى حياتنا؟ هل نستمد هويتنا مما يحيط بنا من أمور وأنظمة؟

العناد

يحكى الكتاب المقدس قصة حمار عنيد (عدد ٢٢: ٢٢، ٢٣) ولكن فى النهاية أثبت صاحب الحمار بلعام أنه أكثر عنداً من حماره فقد سرج الرجل حماره فى الصباح الباكر وتأهب للانطلاق فى رحلة طويلة ولم يمضى وقت طويل فى المسير حتى توقف الحمار . وهنا نفذ صبر الرجل وضرب الحمار بعصبية محاولاً أن يعيده مرة أخرى للطريق ولكن على العكس اندفع الحمار وارتطم بحائط من الصخور وهشم قدم سيده ثم ضرب السيد الحمار مرة أخرى ولم يكن يعلم أن الحمار كان يطيع أمر الملاك الواقف على الطريق مستلاً سيفه . لذا فقد حاد الحمار عن الطريق ثلاث مرات لكى يحمى صاحبه من سيف الملاك ولكن هذا صاحب العنيد كان يضربه على ذلك .

وفى النهاية عندما خر الحمار وسقط صاحبه من فوقه هدده صاحبه بأنه سوف يقتله عندئذ انفتحت عيناه ورأى ملاك الرب واقفاً أمامه وسيفه لايزال مسلولاً.

إن عناد الإنسان الشديد كما يظهر فى تلك القصة هو أحد التحديات الكبيرة والمعارك النارية التى يخوضها الله ليتمم خلاصه فى الإنسان.

والعناد عادة ما ينشأ أيضاً من عدم الأمان فى موقف جديد والنتيجة هى الفشل فى الثقة بالله وطاعته . والعناد قد ينشأ أيضاً من العادة التى تترسخ على مدار زمن طويل وبالذات الأنماط السلوكية تجاه رموز السلطة الذين أساءوا استخدام سلطاتهم ومواقعهم .

عدم القابلية للتعلم

إن بعض الناس يجدون صعوبة فى الاعتراف بأنهم قد تعلموا شيئاً جديداً فهم يعتقدون أنهم إذا اعترفوا بذلك فهذا يعنى تقليلاً من شأنهم حيث أن الكثير من كراماتهم الشخصية متعلق بما يعرفون . فبدلاً من أن يتكيفوا مع التحديات فى الحياة ويزدادوا حكمة من تعلم أشياء جديدة فإنهم يدفعون بأنفسهم إلى أزمة هوية .

وفى تاريخ الكنيسة نرى أن الكثير من الانقسامات كانت بسبب هذا التصلف وعدم قابلية التعلم والوداعة . إن الكتاب المقدس لا يقول إننا نتحد عندما نتفق كلنا عقائدياً ولكنه يقول إن لا شىء يمكن أن يفصلنا عن محبة المسيح فالمحبة وليس العلم هو الذى يسهل لنا أن نتعلم من بعضنا البعض . ومن خلال الحب نستطيع أن نشارك

بعضنا البعض بالحق وهكذا ننمو لذلك الذى هو الرأس المسيح كلى العلم
والمعرفة .

الروح

إن الفئة الأخيرة تتعلق بالروح، ذلك الجزء من الإنسان الذى به
يتواصل مع العالم الروحى غير المنظور. استمر فى تحديد الوحدات التى
تجد أنها تختص بك .

الضلالات

عندما يصير الخداع مُزماً قد يتحول إلى ضلالة. لقد وجدت سيدة
فى منتصف العمر صعوبة بالغة فى أن تغفر لزوجها الذى كان قد
خانها مرة واحدة فكانت كلما لاحظت عليه إعجاباً بسيدة جميلة أو
أى نزوة عاطفية تروح تنسج القصص والحكايات فى ذهنها معتقدة
أن له علاقة مشبوهة وبالرغم من أنها لم تجد أى دليل ثابت على
أى من أفكارها هذه إلا أن زوجها كاد ينهار تماماً تحت وطأة هذا
الشك المستمر. وإذا لم نصح هذه الضلالات فقد تتطور إلى درجة
ضلالات الشك الذهانية حيث يحتاج المرء عندئذ إلى علاج
متخصص .

المرارة والكراهية

إن الكراهية تتولد فى قلوبنا عندما نفشل فى الغفران عندما

نتعرض للإهانة أو الجرح بكلمة أو تصرف أو رد فعل فإننا نواجه الاختيار إما أن نغفر أو أن نكره . وإذا غفرنا فإننا عندئذ نكون مستحقين غفران الله لخطايانا . ولكن إذا سمحنا بالكرهية أن تدخل قلوبنا فإننا نضع عقبة أمام غفران الله ونفتح الباب أمام المرارة لكي تستوطن داخلنا .

إن الكتاب المقدس يريدنا أن نكون حذرين لئلا يطلع أصل مرارة في أى واحد منا ويتنجس به كثيرون (عب ١٢: ١٥) . وإذا سمحنا للمرارة بالدخول إلى قلوبنا فإنها تكون كالعشب الضار الذي له جذر قوى مزروع داخلنا وبمجرد ما أن نسمح لهذا الجذر أن يزرع فإنه سرعان ما ينتشر ليسيطر على القلب بالكامل بل ويلوث الذهن والروح والجسد جميعاً .

واذكر أننا تعبنا وعرقنا في حديقة منزلنا في هاواي لكي نقضى على أحد أنواع الحشائش الضارة سبب لنا مضايقة شديدة فإذا استطعنا اقتلاع الحشائش عندما يكون طولها حوالي ٣ سنتيمترات فإنها لا تسبب مشكلة ولكن عندما يتكبر الجذر ليكبر قليلاً فإننا نحتاج لمعول لكي نقتلعه من الأرض .

إن غفراننا لبعضنا البعض هو جوهر المحبة وعدم الغفران هو أن نحمل داخلنا المرارة وقسوة القلب . إن المرارة قد دمّرت زيجات وأسراً بل ومجتمعات كثيرة ولا نريدها أن تدمرنا نحن أيضاً .

إن المرارة يمكنها أيضاً أن تعرضنا لاضطرابات جسدية ونفسية لا يمكن علاجها بنجاح قبل أن نستأصل أصل المرارة بالغفران .

الانتقاد

إن توجّه الانتقاد يؤدى إلى عدم الرضا الذى يطرد أمامه كل تقدير أو عرفان. وعندما يحدث هذا فإن تركيزنا ينقلب على ذواتنا وندغمس فى الشفقة على النفس. وقد نحاول أن ندافع عن حبنا للنقد على أنه «نقد بناء» ولكنه العكس تماماً لأنه يحتوى على أصل مدمر. وعندما نكون كثيرى الانتقاد فهذا أمر سلبي وقد يدمر الآخرين. لذا فيجب أن نتعلم أن نلاحظ الفرق بين «التفكير النقدي» الذى يجعلنا ثاقبي البصيرة وبين «الروح المنتقدة» التى تقلل من قيمة الآخرين.

السيطرة وحب التملك

إن هاتين الطويتين فى الجدار المبنى حول القلب تتصلان ببعضهما بصلة وثيقة. لأن إحداها تؤدى للأخرى. فنحن قد نلجأ للسيطرة والتحكم كرد فعل لعدم الأمان والشعور بالألم فى محاولة أن تكون لنا اليد العليا فى الأمور فكلما زادت السيطرة فإنها تتحول إلى صفة حب التملك فى الشخصية وتجعلنا نريد أن نحيا حياة الآخرين بدلاً منهم وهذا التشوه يصير سلاحاً مميتاً يقتل كل العلاقات لأنه يخنق الشخصية الفردية.

المناوره

سوف نركز على طوبه ربما تكون من أقوى ما يتكون منه الجدار. فالمناوره هى جانب مدمر من جوانب الشخصية يمكن أن يشابه المحبة ولكنه فى نفس الوقت يعوقها ويدمرها. ولهذا السبب فإن

المناوره هى عامل رئيسى فى صراعات الزوجية وتداعى العلاقات الأسرية .

والمناوره هى محاولة التأثير على الأشخاص أو الظروف من خلال وسائل خادعة وغير مباشرة ويصف قاموس ويسترن المناورة بأنها الخداع بمعنى:

التغريير: انتظار الفرصة للانقضاض .

الإغراء: الأمور الجذابة المصيرة فى النهاية .

الخبث: التقدم ببطء لكى تتمكن قبل أن تفصح عن وجودك .
إنه إحداه الأثر التدريجى ولكنه متراكم .

والمناوره بطبيعتها تنطوى على عدم الأمانة ولكن المحبة على النقيض من ذلك تعمل على أساس الأمانة والمصارحة والشخص المناور غير أمين وذلك لأنه لأنه يحيا سلسلة من الخدع والحيل والتمثيل حتى يصعب على المرء عادة أن يحدد ما هى حقيقة الشخص بالفعل .

والشخص المناور دائماً ما يقوم بالأعيب مع الحياة ولكن الشخص المحب يشعر بحرية وراحة مع نفسه فهو يستطيع أن يكون حقيقياً ومنفتحاً على الآخرين بكل إخلاص .

والجانب الثانى من المناورات هو أن يكون الشخص غير واع بما يجرى حوله فالشخص المناور غالباً ما تكون رؤيته تلسكوبية، حيث يرى فقط ما يريد أن يراه ويسمع ما يريد أن يسمعه حتى ولو كان الموقف واضحاً لا لبس فيه فإن الشخص المناور قد يبدو غير مستوعب أى جزء منه لأنه مركز كل انتباهه على مكسبه الشخصى فقط وهكذا يصير ضميره شديد العتامة فلا يرى .

وعلى العكس من ذلك نجد الشخص المحب قادر أن تكون له اهتمامات مختلفة ومتنوعة ويتلقى معلوماته من مصادر متنوعة حوله دون أن يكون محبوساً فى اهتماماته الضيقة بل يكون مسترخياً وقادراً أن يستمتع بالطبيعة والموسيقى والفن والجمال الذى فى العالم.

أما الجانب الثالث من المناورة فهو **حب السيطرة** فالشخص المناور يحيا وكأنه لاعب شطرنج هدفه الأوحد هو هزيمة منافسه لذا فهو يبحث عن السيطرة بأى ثمن وينظر للحياة باعتبارها دور شطرنج يجب أن يكسبه وعلى العكس فإن الشخص المحب لا يحتاج لهذه السيطرة ولكنه يستمتع بحرية التعبير لذا فهو قادر أن يسترخى.

والجانب الرابع من المناورة هو **عدم الثقة** فى العلاقات، فالمناور يجد صعوبة بالغة فى أن يثق بالآخرين وبالتالي فى أن يثق بنفسه فهو دائماً يفكر كيف تكون له اليد العليا والسيطرة فى العلاقة. أما الشخص المحب فهو يستمتع بالعلاقات إذ يثق بالآخرين بحرية.

وللأسف فإن أغلب الزيجات هذه الأيام هى زيجات مبنية على المناورة والرغبة فى التأثير فى الآخر فالرجل يتزوج لكى يحصل على الحب من زوجته والمرأة تتزوج لتحصل على الحب والأمان وكل منهما يناور وهكذا يبنى الزواج على أسس هشة.

ما هو الحب ؟

ما هو التعريف الكتابى للحب؟ إن الحب هو إنشاء علاقة مبنية على العطاء أما المناورة فهى علاقة مبنية على الأخذ.

لأنه هكذا أحب الله العالم حتى حصل علينا؟ لا!

بل «هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد» (يو ٣: ١٦). إن مفهومنا عن الحب قد تشوه بحيث أصبح الدافع للحب هو الأخذ وليس العطاء فأصبح لسان حالنا: «إننى أحتاج أن أحصل على زوجة» أو «أريد زوجاً» ولكن ليس هذا هو الدافع الذى أراده الله للزواج ولا هو الدافع المتوافق مع الزيج الإلهى لعلاقات المحبة. إن الحب كثيراً ما يشيع فى المجتمع ووسائل الإعلام تقذفنا يومياً بحمم مشتعلة تحت اسم الحب وهى لا ترقى إلا لأن تكون شهوة خالصة.

أنواع المناورين

توجد أربعة أنواع من المناورين أريد أن أتكلم عنهم:

١- المناور الإيجابى: وهدفه هو الحفاظ على السيطرة بأى ثمن وهو يتحاشى مواجهة ضعفاته ويعلى من شأن نقاط القوة فيه محاولاً دائماً أن يكون فى المقدمة وفى علاقاته دائماً ما يقدم نفسه على أنه الشخص القوى المهيمن على الجميع كلما استطاع.

٢- المناور السلبي: هو شخص أكثر صعوبة فى تحديده لأن تعبيره عن المناورة ليس واضحاً صريحاً. وهدفه ليس السيطرة ولكن الدفاع. فهو يلعب دور الشخص عديم الحيلة، المحتاج والذى يستخدم الشفقة على النفس لكى يكسب من خلال الظهور بمظهر الخاسر والضعيف. ويلعبه لدور الضعيف يناور للحصول على الحب والشفقة من الآخرين.

وفى يوم من الأيام رأيت هذين النوعين بوضوح عندما زرت مع أسترى بعض الأصدقاء. لقد أخذنا معنا كلبتنا المدللة شيبا وبينما كنا منشغلين بتحية أصدقائنا فوجئنا بسماع صوت زمجرة عميقة من خلفنا وعندما التفتنا وجدنا كلبتنا واقفة وسيقانها مشدودة ورأسها وذيلها مرفوعان وشعرها الذهبى منتصباً فى غضب وترقب وأمامها يرقد كلب أصدقائنا الأسود الكبير، صورة واضحة من الخضوع - إذ يرقد على ظهره رافعاً أرجله الأربعة إلى فوق ومدلياً لسانه الوردى وبعد لحظات قليلة انتهى الموقف العصيب وقضى الكلبان بقية الوقت يلعبان ويطاردان بعضهما البعض.

والواضح أن شيبا لعبت الدور الإيجابى بينما لعب الكلب الآخر الدور السلبي فى هذه المواجهة.

٣- **الشخص المنافس**: هو النوع الثالث من المناورين وهو شخص أكثر قدرة على تغيير المواقف فهو يستطيع لعب الدور الإيجابى والدور السلبي معاً بحسب ما تقتضى الظروف، وهدفه دائماً هو الفوز لذا فإنه يستخدم مهاراته فى المناورة وكل الآخرين فى نظره ليسوا سوى منافسين.

٤- **أما المناور غير المبالى**: فهو يتميز بأنه لا يحب أياً من الوضعين السلبي ولا الإيجابى فهو لا يعبأ بأى شىء ولكنه عندما يقول بأنه يهتم فإنه يناور مع نفسه بشكل خبيث إذ يخدع نفسه ويهرب من مواجهة مشاعره الحقيقية. فهو يهتم وما يجرى حوله

يعنيه لكنه ينكر ذلك ويكبت مشاعره مناوراً بذلك مع نفسه . وكل هذا يتم باسم الحب وهو ما يدمر العلاقات بطريقة خبيثة ولكنها شديدة القوة في نفس الوقت .

إن المناورين لا يستريحون أبداً وكأنما حياتهم هي دور طويل من الشطرنج لذا فهم يتعرضون للضغوط والشد العصبي وهم يطاردون ذلك الهدف المراوغ دائماً .

وإننا إذ نتبع الزيج البشرى من الرفض إلى نهايته يصبح واضحاً أن النهاية الحتمية لرفض النفس هي الانتحار الذى تزداد نسبته بشكل مخيف وعلى الجانب الآخر نجد أن الزيج البشرى من التمرد قد يدفع فى النهاية إلى القتل حيث نفرغ غضبنا على شخص آخر بدلاً من أنفسنا .

الخيار الوحيد

عند اتباعنا الزيج البشرى قد نشعر أن الخيارات من الرفض أو التمرد محدودة للغاية . هل هناك خيار آخر؟ نعم . يوجد الزيج الإلهى الحقيقى ولكن انتظر قليلاً! يجب أن تدرك ما ينطوى عليه هذا الاختيار حيث أن قبولنا للزيج الإلهى هرباً من الانتحار أو القتل يجب أن يتضمن قبولنا أن نصلب . «ويا له من خيار!»

وماذا نعنى بالصلب؟ إن الصلب فى جوهره هو أننا إذا اخترنا أن نتبع الزيج الإلهى علينا أن نقبل صليب المسيح أى أننا يجب أن نصلب الجسد مع الأهواء والشهوات الدنسة التى تدفعنا من أحد طرفى النقيض إلى الآخر دون رحمة .

إننا يجب أن نكون مستعدين يومياً لأن نظهر أنفسنا من الشهوات العتيقة ونتبع الحياة الجديدة حياة الحق والحب ونميت الأناية والانحصار فى الذات والشهوة والطمع على الصليب لكى يحيا المسيح فينا. «من يجد حياته يفقدها ومن يخسر حياته يجدها» (مت ١٠: ٣٩).

فى الفصل التالى، سوف نرى كيف أن الجدران التى نبنيتها تكون صورة للشخصية وسوف نفحص كيف أن تأثيرات هذه الجدران على الأفراد والأسر والمجتمع هى تأثيرات بالغة الشدة وبعيدة المدى.

تعال جانباً

ارجع الآن إلى الوحدات البنائية (الطوب) الذى وضعت أمامه علامة باعتباره متصلاً بحياتك وتساءل كيف بنيت هذا الطوب وصنعت منه جدراناً حول قلبك؟ هل تستطيع تتبع الأصول؟ تأمل الظروف التى أدت إلى بناء هذه الجدران.

هل لاتزال تؤثر عليك حتى الآن؟

الفصل السابع

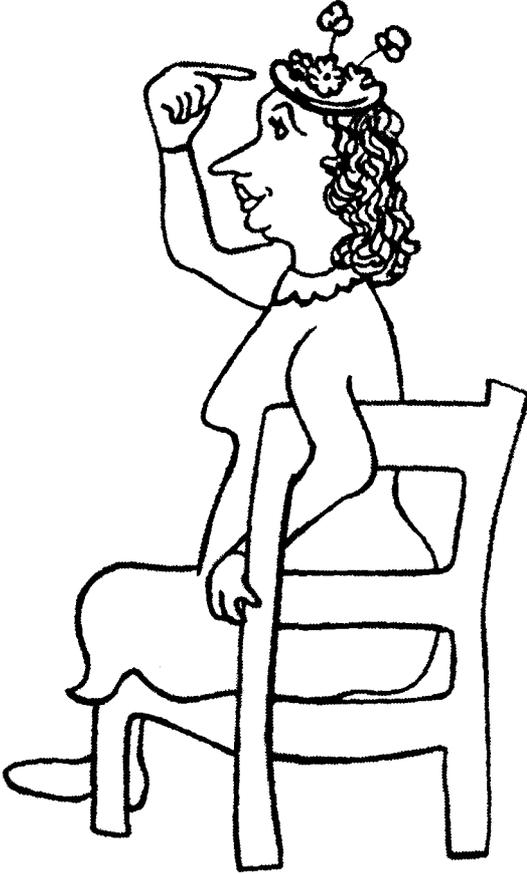
أنماط مختلفة من الشخصيات

قد يكون اكتشافنا للجدران التي نبنيها وما تتكون منه اكتشافاً مُحزناً، وبالأخص عندما نتأمل كيف ظلت هذه الجدران تأسرنا لمدة طويلة. وهذه الجدران بالطبع هي رموز ليس فقط لدفاعاتنا بل أيضاً لأنواع شخصياتنا التي تبدأ في الظهور منطلقة إما من الرفض أو التمرد.

وفي هذا الفصل سوف ندرس أربعة أنواع من الشخصيات ونحاول فهم كيف ولماذا تصير هكذا. وهذه بالطبع ليست الأنواع الوحيدة ولكن هي شخصيات شائعة حولنا.

عندما نبحث تكوين الشخصية نجد أن هناك جوانب موروثية وأخرى مكتسبة والخلاف الذي ذكرناه من قبل بين دعاة الطبع ودعاة التّطبع يؤكد أنه ليس من السهل وضع خط فاصل صريح بين ما هو ثابت في الشخصية وما هو متغير. ولكن الكتاب المقدس يعطينا بعض الإرشادات.

وفي هذه الدراسة نحن بصدد البحث عن جوانب الشخصية المكتسبة أو المتغيرة المشار إليها في أفسس ٤: ١٣ حيث يتحدث بولس الرسول عن الحاجة للنضج والنمو إلى قياس قامة المسيح.



المسيحي المطيع

(شكل ١٣)

المسيحي المطيع

إن مثل تلك الشخصية تستخدم زيغ الرفض كنقطة ارتكاز في حياتها وهكذا تلجأ هذه الحياة المسيحية المذعنة إلى رموز السلطة البارزين لتملأ احتياجاتها دائماً ولعل العبارات التالية تساعدنا أكثر على فهمها:

- «سوف أساعدك في أى شيء تطلبه»
- «سوف أخدمك في أى وقت»
- «سوف أكون وفياً لك»
- «سوف أشجعك على الدوام»
- «إننى أصلى من أجلك بانتظام وإخلاص»

ولسان حالها يقول لرمز السلطة:

- «لاحظ وجودى!»
- «شجعنى»
- «كن ظريفاً معى»
- «اسمعنى»
- «اهتم بى»
- «كن قريباً منى عندما أحتاجك»
- «لا تخذلى وترفضنى»

إن الأشخاص المطيعين بهذه الطريقة يمكن أن يكونوا خدماً ومساعدين رائعين وعادة ما يكونون شديدي الحساسية والاهتمام

بالآخرين لذا فالعمل فى المشورة والخدمة كثيراً ما يبدو مشجعاً بالنسبة لهم.

إن تعبير المسيحي المطيع يمكن أن يتلخص فى نوعين رئيسيين من ردود الأفعال تعبر عنهما عبارتى:

«إننى مستعد أن أفعل أى شىء تريده!»

«من فضلك .. أحببنى»

إن الشخصية المُذعنة هذه يمكن أن تشكل خطراً كبيراً لنفسها وللآخرين؛ فاحتياجات هؤلاء الأشخاص للتشجيع والحب يجب أن تلبى حتى ولو على حساب الحق والمبادئ. إنهم يميلون إلى المراوغة ومحاولة إرضاء الناس ولكون هذا السلوك نابعاً عن رغبة غير متزنة للحصول على العطف والتشجيع فإن السلوك اللا أخلاقى والنجاسة هى فخ مستعد دائماً لأن يوقع بهم. فلو خيب أحد رموز السلطة رجاءهم فيه، سواء فى الواقع أو فى خيالهم، فإنهم يغوصون فى أعماق الإحساس بالرفض والاكنتاب وكلما حدث ذلك أكثر زاد انسحابهم وقلت قدرتهم على الثقة فى العلاقات المستقبلية. والكثير من قادتنا الروحيين وقعوا فى شباك هذه الشخصية المذعنة سواء فى أنفسهم أو فى آخرين.

ومن الأمثلة القديمة لهذه الشخصية: والتي نجدها فى سفر صموئيل الأول (١ صم ١٥: ٢٤) شخصية شاول. فبعد الانتصار فى المعركة، تجاهل شاول وصايا الله التى أعطها لتحرير عماليق ساعياً بذلك للحصول على رضا الناس والمجد الذى من البشر حتى أنه بنى نصباً لنفسه على جبل الكرمل. ولأن شاول خشى الناس فقد سعى فى طلب التشجيع والمساندة منهم ولم يخشى الرب فلم يطعه. إن هذا

الإذعان للناس أدى إلى خسارته لملكه تماماً من خلال تدهور تدريجي حزين لشخصيته وقيادته .

وعندما تقابل الشخصية المذعنة كثيراً من المعوقات فإنها قد تتحول لنوع آخر من الشخصيات سوف ندرسه فيما يلي .

شخصية (لا أستطيع)

«لم يعد أحد يهتم بى»

«لا أحد يهتم بأن يقول لى ماذا يحدث»

«لا أحد يعطينى جزءاً من وقته»

«لا أحد يزورنى»

«لا أحد يهتم بالصلاة معى عندما أكون مكتئباً أو مريضاً»

«لا أحد يحبنى»

هذه بعض من العبارات التى نسمعها كلما قابلنا أى واحد من أصحاب شخصية «لا أستطيع» والصراع الأكبر لدى هذه الشخصية يكمن فى الرغبة فى الشعور بأنها مرغوبة أو نافعة . فقد نسمع هؤلاء أيضاً يقولون عبارات مثل:

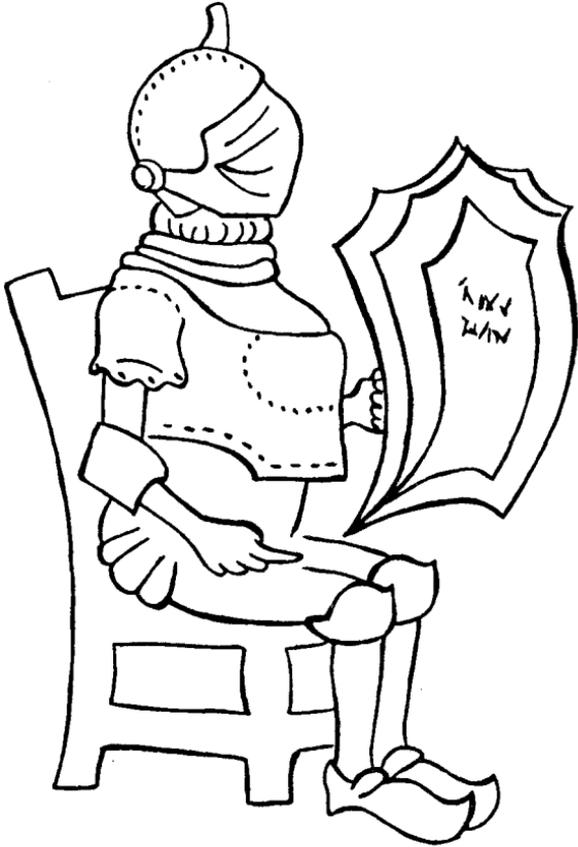
«لا فائدة من المحاولة»

«أنا فشلت كثيراً»

«أنا أعلم أنى فاشل»

«لن أستطيع عمل ذلك أبداً»

«سأظل هكذا طول عمرى»



المؤمن السلبي
(شخصية ماقدرش)

(شكل ١٤)

«لن أستطيع أن أستمِر هكذا أكثر من ذلك»

«أنا منسحب!»

«أنا يئست»

«يارب لماذا لا تجعل الأمور حسنة فتريحني؟»

إن هذه الصورة السلبية ليست نادرة الوجود في مجتمع اليوم
والرسالتان الرئيسيتان اللتان ترسلهما هذه الشخصية لمن حولها هما

«لا أحد يحبني»

«لذا فأنا منسحب!»

وفى أحد الأيام انفتح باب عيادة المشورة ليدخل منه رجل يجر
رجليه جراً كشيخ عجوز. كان يبدو وجهه شاباً لكن ظهره كان منحنيّاً
كعجوز أعياه ثقل العمر الذي يحمله. دخل وصوت جر رجليه على
السجادة يتبعه وهو يجول بعينه في أرجاء الغرفة.

كان يجاهد بصوت هامس ليجيب على أسئلتى إما بنعم أو بلا ولم
يظهر عليه أى رد فعل لأى شيء أقوله حتى أنه كان يشبه محاربي
العصور الوسطى الذين يلبسون حلة حديدية تغلفهم تماماً حتى أنك لا
تستطيع أن تميز بسهولة إن كان هناك إنساناً داخل الحلة أم لا. لذا فلم
أستطع أن أخترق دفاعاته. وبعد جلسة مشورة طويلة ممتدة بدأت
أكتشف أن هذا الرجل كان بلا رجاء تماماً. فلسنين طويلة، كان هذا
الإنسان يعاني صراعاً داخلياً مع الشعور بالذنب بسبب الانغماس في
الشهوة.

وعندما أتى طالباً المساعدة كان قد أصبح منسحباً جداً ومكتئباً

حتى بدا أننا لن نستطيع أن نفعل له شيئاً. لقد أصبحت أزمته مزمنه. ولكى يحيا فى العالم الحقيقى كان على هذا الشاب أن يهرب إلى عالم من الخيال فى صورة ذهان وجدانى Mamic-depressive Psychosis وهذا ما جعل الحق الكتابى يظهر أمامى بصورة درامية «أجرة الخطية هى موت» (رو ٦: ٢٣).

أما «سوزان» فبسبب مرض أصابها فى الطفولة فقد أصبحت معوقة إعاقة بسيطة وكلما كانت ترجع بذاكرتها للوراء كانت تتذكر دائماً أن أقرانها كانوا يعايرونها لذا فكانت دائماً تحاول التعويض من خلال إرضاء والديها ومعلميها وزملائها لكى تحصل على الحب والتشجيع الذى تحتاج إليه ولكون «سوزان» فتاة جميلة وجذابة فقد تزوجت فى سن مبكرة وأنجبت ستة أطفال على التوالى.

وسرعان ما أصبح جهادها لإرضاء زوجها وأسرتها عبئاً ثقيلاً وصراعاً حقيقياً فبدلاً من التشجيع كانت تتلقى نقداً لاذعاً فمهما فعلت لم تكن تستطيع أن ترضى زوجها أبداً فالطعام مطهو أكثر من اللازم والملابس فهى غير مرتبة بعناية، والمنزل يحتاج لترتيب أفضل، وهكذا لم يحظ أى شىء تفعله بالقبول. وكان زوجها يتجاهل كل مجهوداتها لإرضائه.

وتدرجياً وعلى مدار السنين استسلمت «سوزان» للتلفزيون فكانت تجلس أمامه بالساعات تاركة أعمال المنزل لزوجها. فحيث أن رغبتها فى الإرضاء نالت الرفض فقد انسحبت وتغيرت شخصيتها من الشخصية المطيعة المدعنة إلى الشخصية السلبية.

ومن الأمثلة التى توضح هذه الشخصية أيضاً موسى الذى ولد وتربى فى جو من الرفض لأهله وشعبه. هرب بحياته من هذا المناخ

الرافض . وبعد أربعين سنة دعاه الله ليقود هذا الشعب للتححرر من العبودية فكان رد موسى تقليدياً بالنسبة لهذا النوع من الشخصيات فقال للرب، «لا أستطيع!» (خر ٤: ١٠، ١٣).

إن المرجع أو الزيج للشخصية السلبية هو زيج الرفض كما هو الحال بالنسبة للشخصية المدعنة ولكن الفرق بينهما هو أن الشخصية المدعنة المطيعة تحاول الاقتراب من رموز السلطة أما الشخصية السلبية فتبتعد بعيداً رافضة المساعدة وذلك لأنها قد عانت الكثير من الألم والجروح على يد رموز السلطة: كالأبوين والمدرسين والقادة وغيرهم. وهكذا فإن ثقتهم في الآخرين تزول تدريجياً ولأنهم لا يستطيعون حتى مجرد قبول فكرة احتمال تعرضهم لخبرة مؤلمة جديدة فإنهم ينسحبون إلى داخل قوقعتهم السميكة كما تفعل السلحفاة عندما تشعر بقرب الخطر وكلما كانت الجروح التي تلقوها عميقة ومؤلمة كان خروجهم من قوقعة السلبية أصعب فيكون شعارهم عندئذ، «سوف لا أسمح لنفسى بأن أروح مرة أخرى!»

والآن ننتقل من الناحية السلبية من الرفض إلى الناحية القسوى الأخرى وهي التمرد فندرس صورتين آخرتين من الشخصية والنموذج الأول من يتميز بمزيد من العنف فى التعامل مع رموز السلطة.

الشخصية «المنافسة»

إن هذه الشخصية هي أكثر الشخصيات تمشياً مع هذا العصر الذى يتميز بالإعلاء من شأن الإنسان وقدراته وبمبدأ الحصول على الحب والقبول من خلال الاستحقاق والأداء الأفضل. ولعل هذا التوجه وهذه



المسيحي المنافس

(شكل ١٥)

البرمجة هي الأكثر شيوعاً في الثقافة الغربية وقد بدأت في غزو الثقافات الأخرى والعبارات التي نسمعها عادة من هؤلاء الأشخاص هي:

- «أنا أستطيع أن أعمل هذا العمل أفضل من أى شخص آخر منكم»
- «أنا أعرف كل شيء، فقط اسألني».
- «دعني أشرح لك كيف تعملها».
- «أنا الشخص الذى تبحث عنه».
- «لا تضيع وقتك فى الأجازات».
- «لا تكن عاطفياً».
- «كن متماسكاً لا تظهر ضعفك».

وعلى الجانب الآخر فهذا الشخص يحتاج للتشجيع وينتظر تجاوباً يشبع احتياجه للمحبة، لذا فهو يرسل الرسائل التالية إما لفظياً أو بدون كلام:

- «لاحظوا كيف أقوم بعملى جيداً».
 - «لاحظوا مواهبى ومهاراتى الممتازة».
 - «انظروا كيف انه لا يمكن الاستغناء عني».
 - «امتدحوا عملى وامتدحونى».
 - «قولوا لى إنى كامل فتسعدونى اليوم كله».
 - «لا تقولوا لى أبداً إنى فاشل».
- والرسالة الرئيسية التى تريد هذه الشخصية أن توصلها للجميع هي «أنا رائع. ليس أمامكم خيار إلا أن تحبونى».

إن هذه الشخصيات قد تبرمجت فى الخفاء من خلال سنين الطفولة الأولى على أنه لكى تكون محبوباً وتنال القبول والتشجيع يجب أن تؤدى أداءً ممتازاً وتجاهد باستمرار لكى تؤدى بشكل أفضل .

والخادم الكارز غير الناضج هو صورة تقليدية لهذه الشخصية . فهو يذهب لمدينة ما مندفعاً بطاقة تبدو فوق بشرية ويصر أن يعامل معاملة «متميزة» فيرتاد أفخم الفنادق ويأكل فى أعظم المطاعم ويتوقع أن تقوم الكنيسة بدفع كل هذه الفواتير ويعطى وعظائم حارة تلهب الحماس ولكنه عندما يغادر المكان تهدأ الزوبعة وتبدأ الرؤية فى الوضوح نكتشف الحقيقة؛ وهى أنه ترك وراءه طابوراً طويلاً من الخدام المتألمين بجروح مؤلمة نتيجة تشغيله لهم ومناوراتهم للحصول على أكثر مما يستحق وما تقدر عليه الكنيسة . إن مثل هذه الشخصيات التنافسية تستخدم الأشخاص لتحقيق مشاريع فالأشخاص فى نظرهم لا أهمية لهم لكن الأهمية كلها للمشروعات . وهؤلاء الأشخاص قد يظهرون فى حياتهم ذلك النمط التقليدى من النجاح المبالغ فيه ويعانون من الاكتئاب والضعف فى الفترات التى تمر بين إنجاز وآخر أو بين ارتفاع فى معدل النجاح وآخر .

تخيل معى عداءً يجرى فى السباق يحاول أن يجرى كل السباق بأقصى سرعة وفى نهاية كل مسافة من الجرى بأقصى سرعة يجد نفسه يسبق كل الآخرين بمسافة طويلة لكنه يسقط من شدة الإعياء على الأرض وبعدها يستعيد قوته يعيد الكرة مرة أخرى حتى بعد قطع عدة مسافات من هذا النوع يبدأ فى الخوار ويسبقه العداءون الآخرون . وبعد أن كان الأول صار الأخير . وهكذا يغلبه الإرهاق واليأس والإحباط إذ يصارع لينهى السباق .

إن المسيحي المنافس يشبه هذا الكارز غير الناضج أو العداء المتهور في أنه عرضة للإصابة بالمرض النفسى أو العضوى نتيجة للإرهاق الشديد والاستنفاد. وعادة ما يحدث في وسط عواصف حياة وخدمة هذا الشخص أمور سلبية كثيرة كانهيار الأسرة أو الضيقات المادية. إن الله يحاول أن يجذب انتباهه ويمسك به وهو منطلق دون وعى في مضمار الإنجيل وربما يوقعه أرضاً ليمنعه من أن يحرق نفسه من الإجهاد ويقول له: «ممكن لو سمحت أن تقف وتسمعنى؟!»، وهذا لا يعنى أبداً اتهام الله بأنه قد يسبب المرض أو المصاعب ولكنه بالتأكيد قد يستخدم هذه الأمور للخير في حياة كثيرين.

والمثال الكتابى لهذه الشخصية التنافسية هو شخصية يعقوب (تك من ٢٧-٣٠) المعروف بأنه «الماكر» فها هو يعقوب يخدع أخيه عيسو ليأخذ منه بكوريته ثم يكذب على أبيه المسنّ الضرير لينال منه بركة البكورية ثم يضطر يعقوب أن يهرب من وجه أخيه الغاضب المصمم على قتله. ولم تحمل السنوات العشر التى قضاهما فى حاران إلا أقل القليل من البهجة ليعقوب، حتى لاقى من يجاريه فى مكره واحتياله وهو خاله لابان. وأخيراً وبعد سنين طويلة وصل لنهاية المطاف ولم يستطع أن يكمل بهذه الطريقة ففى الطريق للقاء أخيه عيسو كانت ذروة صراعه مع الله فى لقاء عاصف مع ملاك الرب الذى صارعه حتى طلوع الفجر وفى النهاية صار يعقوب معوقاً إعاقه ظاهرة ولكنه فى الداخل صار إنساناً جديداً فقد كان قبلاً مراوغاً وممثلاً، أما الآن فقد أصبح اسمه إسرائيل أى «من جاهد مع الله».

لقد تربى «بيل» بين أبوين كانا يقدمان له الحب والتشجيع فقط عندما كان يودى أداء حسناً فى المدرسة أو فى مضمار الرياضة وبعد

أن صار «بيل» مسيحياً مؤمناً انتقل هذا البرنامج الدفين لعلاقته مع والديه ليسيطر على علاقته بالله فأصبح «بيل» راعياً مستغرقاً فى عمل الرب بشكل مرضى أثر على صحته وعلى أسرته فلقد كان «بيل» يجاهد ليؤدى أفضل لكى يحصل على حب الله وتشجيعه أكثر. وفى قمة اكتتابه فى إحدى المرات سقط فى الخطية الجنسية مع إحدى العاملات فى الحقل المسيحى وكانت من نوع الشخصية المذعنة التى كانت ترجو أن تملأ احتياجها من الحب عن طريق إرضائه.

وهذه بعض صفات الشخصية التنافسية :

- لقد تعلموا منذ الطفولة العمل على أن يظهرُوا بشكل أفضل ويؤدوا أداء أفضل.
- لقد كانوا يحصلون على التشجيع والحب فقط عندما يؤدون أداءً طيباً.
- يخافون الفشل جداً.
- دائماً ما يريدون المديح ولكن يجدون صعوبة فى قبوله.
- ينبع إحساسهم بالقيمة مما يقوله الناس عنهم.
- يصرعون لكى يقبلوا حقيقة أنهم محبوبون.
- لا يحتملون النقد.
- دائماً ما يقفون موقف المدافع.
- من الصعب عليهم أن يكونوا تلقائيين.
- دائماً ما يريدون أن يعرفوا القواعد والقوانين.
- لا يرضون أن يقبلوا هدية دون أن يردوها.

- دائماً ما يجاهدون لكي يعملوا شيئاً.
- صراعهم الرئيسي هو أن يستطيعوا أن يعيشوا دون العمل والإنجاز.
- من الصعب عليهم الحفاظ على أى علاقات حميمة.

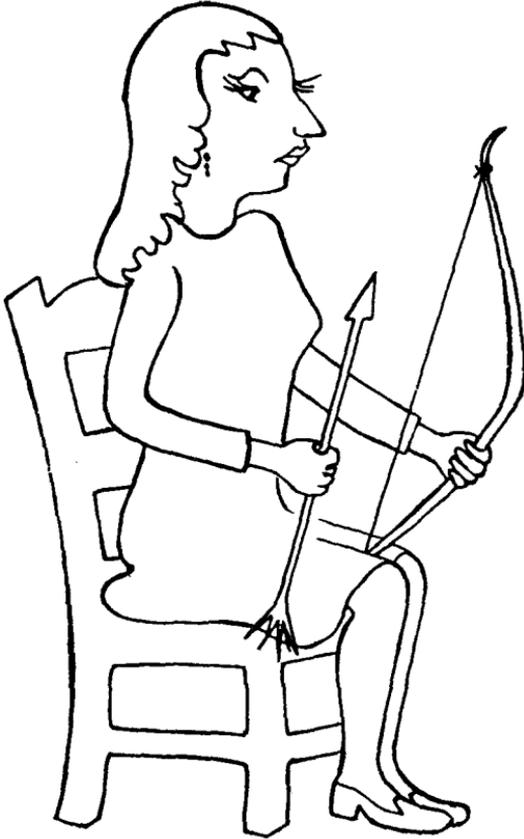
المسيحي الناقد

إن هناك شخصية أخرى تظهر حول زيج التمرد الذى يتحرك فيه الشخص بعيداً عن رمز السلطة بطريقة عنيفة ومن هؤلاء الأشخاص من تسمعه يقول:

- «هل ترى كيف أقوم بعملى بإتقان!».
- «دعنى أريك كيف تعمل هذا».
- «أنا عارف أنى على صواب».
- «فقط اسمعنى».
- «أنا المستول».

وعلى الجانب الآخر نسمع هذا الشخص الناقد يوجه عبارات نقد قاسية للآخرين مثل:

- «لن تتغير طول عمرك».
- «لا فائدة منك - أنت هكذا دائماً».
- «انت غبى بالضبط مثل هذا الكلام الغبى الذى تقوله».
- «عمرك ما تعمل حاجة صح؟!».
- «دايماً تفسد كل حاجة».
- «انت السبب».



المسيحي الناقد

(شكل ١٦)

والرسالة التي يوجهونها دائماً هي: «أنا غير مستحق للحب ولا أنت أيضاً!»

والشخصية الناقدة يمكن أن تظهر بوضوح في مثال الشخصية غير الناضجة التي تأتي كل يوم للكنيسة وهي تحمل جعبة محملة بالسهام ومستعدة بالقوس المشدود ثم تبدأ في قذف السهام على الشعب بكل دقة وفاعلية بما في ذلك الراعي الذي يقضى بقية الأسبوع يحاول أن ينتزع السهام ويضمّد جروح شعبه حتى أنه يحتاج هو أيضاً للرعاية إذ لم تكن عظامه ترقى «للمستوى» المطلوب!

وبالتأكيد تحصل الشخصية الناقدة على ردود أفعال عنيفة أحياناً لانتقاداتها ولكنها تعتبر أن هذا «الاضطهاد» هو جزء من دعوتها وتتأكد عندئذ أن سهامها أصابت المكان الصحيح.

وراء السلوك الظاهري لتلك الشخصية توجد بعض الافتراضات القوية. أولاً، لقد فقدت الإيمان بالحب فبعد أن أوذيت مرات عديدة في علاقات عديدة، فقدت الأمل في الحب ووصلت إلى الاستنتاج بأنها غير محبوبة بل ولا تستحق الحب وبدلاً من أن تتعامل مع هذه الجروح بأن تنسحب داخل دفاعاتها كالشخصية السلبية كان رد فعلها عنيفاً لهاجمت الآخرين لكي تثبت لهم أنهم أيضاً غير مستحقين للمحبة لأنها تؤمن بشدة أن الآخرين أيضاً يجب أن يشاركوها معاناتها!

رَبَّتْ والدة «جون» ابنها تماماً كما رباها والداها إذ كانا يستخدمان الرفض كنوع من التأديب. فكان «جون» يعرف الخطأ من الصواب عندما كان يختبر الاغتراب عن أمه والحرمان من حنانها وذلك كعقاب لارتكابه أمراً لا يرضيها. ونتيجة لذلك تكونت لدى «جون» صورة سيئة عن نفسه وبدأ الصراع في حياته مع الإحساس بالدونية. إن استخدام

الرفض والإهمال لتأديب الأطفال يؤدي لمعاناة نفسية شديدة بالنسبة للطفل حيث أن رسالة الرفض التي يرسلها الوالدان للطفل تدمر أى إحساس لديه بقيمة نفسه، وبالتالي تفقده أى دافع للحياة. إن التأديب يجب دائماً أن يكون مقترناً بالحب فلو كان هذا هو ما حدث مع «جون» لما شعر بكل هذا الألم من العقاب.

إن يهوذا الذى خان المسيح هو أفضل صورة للشخصية الناقدة فبسبب انتقاده وموقفه السلبي من المسيح والتلاميذ لم يدن فقط المرأة التى دهنت قدمى المسيح بالطيب، بل لام المسيح أيضاً لأنه سمح لها بهذا. وفى حالة يهوذا أدت به روحه الناقدة إلى خيانة المسيح ابن الله الحى. كما أن المرارة وكراهية النفس التى تملكته دفعت به فى النهاية لأن يقتل نفسه.

خاتمة

عندما نراجع الشخصيات الأربع التى درسناها من المفيد أن نربطها بالأنواع الأربعة من المناورات التى ناقشناها فى الفصل الخامس.

- ١- الشخصية المذئبة ترتبط بالمناور السلبي.
- ٢- الشخصية السلبية ترتبط بالمناور غير المبالي.
- ٣- الشخصية المنافسة ترتبط بالمناور المنافس.
- ٤- الشخصية الناقدة ترتبط بالمناور المهاجم.

عندما تحاول أن تعرف لأى من صور الشخصية تنتمى، ربما يكون من المفيد ملاحظة أنك لست محدوداً بصورة واحدة من الصور!

فأنا مثلاً لاحظت أن شخصيتي كانت في البداية مذعنة جداً ثم بعد ذلك اكتسبت بعض السمات التنافسية لكي أحاول التعايش مع نقص المحبة الذي كنت أعانى منه. لقد كان مفيداً بالنسبة لى أن أرى طريقتين فى الحصول على المعرفة وأن ألاحظ أن الله لم يكمل بعد عمله فى!

إن هذه الصور الأربعة تعكس صراعاً مستمراً والحياة فى هذه الأنماط عادة ما تكون مصابة بأحد الاضطرابات الكثيرة الناتجة عن الضغط المتوالى وهى اضطرابات لا تصيب الناس فقط بالوهن بل قد تدمر حياتهم تماماً وهذه الاضطرابات تتراوح ما بين نوعيات عديدة من الأمراض الجلدية إلى أمراض القلب الخطيرة ونزيف المخ.

إن الكثير من المشاكل الجسدية قد تكون تحذيرات من الجسم للإشارة إلى مشاكل نفسية أكثر عمقاً فى داخل بنيان الشخصية.

حتى الآن مازلنا ننظر إلى جدران قلوبنا والطوب الذى نستخدمه لبنائها. وفى هذا الفصل التقينا بأربع شخصيات مألوفة أصبحوا بنائين مهرة للأسوار! والآن سوف نذهب أعمق خلف هذه الأسوار لكي نرى تلك الأشياء التى تنمو وتتربى ببطء وخبث ثم تطل برأسها سواء فى الكنيسة أو فى العالم اليوم.

تعال جانباً

لأى شخصية من الشخصيات التالية ترى أنك تنتمى؟
تتبع مصادر نمو هذه الشخصية فى حياتك.

تأمل مناطق الضعف فى شخصيتك وكون استراتيجية للتغيير.
تخيل ما يمكنك أن تفعله لكى تستبدل ضعفك بقوة.

الفصل الثامن

خلف الأسوار

«تقول الإحصائيات أن عدد من يموتون بسبب التخمة يفوق عدد ضحايا المجاعات. فأغلب الناس في الواقع يحفرون قبورهم بأسنانهم!»
جاءت هذه الكلمات على لسان أحد أساتذة الطب في بداية محاضرة عن السمنة وقد تركت في ذهني انطباعاً لن يمحي. وخلال سنوات عملي كطبيب في العالمين المتقدم والنامي عادة ما كنت أتأمل هذه الكلمات فأجد نفسي أومئ بالموافقة.

إن الشهوة في شكلها الظاهر والخفي، تؤدي لضرر بالغ، وذلك منذ بداية حياة الإنسان. لقد بدأت الحية مع حواء بالثمرة المحرمة ومنذ ذلك الوقت والتاريخ يعيد نفس المشهد مرات ومرات على مدار القرون. والآن دعونا نمنع النظر من خلال ثقب في الجدار لنرى كيف أن قادة إسرائيل أكملوا هذا التقليد الإنساني العتيق.

سار النبي بخطوات متتالفة يضرب بقدمه بعض الأحجار المتناثرة بجانب أسوار الهيكل وهو يقطع الطريق خلال الدار الخارجية مخلفاً وراءه سحباً ضئيلة من الغبار خلف كل خطوة. وعلى بعد من المشهد تعالي نباح كلب ضال كاسراً للحظات الصمت الثقيل المحيط بكتل العجارة الهائلة المتراسة التي تشكل جدران الهيكل. رفع النبي رأسه

المنحنية وشمل الجدار بنظرة ماسحة وقال لنفسه يوجد شيء ما مختلف هل سيسقط الجدار أم قد انتزعت إحدى الكتل؟ فأسرع الخطى حتى وصل للسور ووجد نفسه ينظر من خلال فتحة فيه. وزاد فضوله حتى التصق وجهه تماماً بالحجارة الدافئة بفعل حرارة الشمس وأمعن النظر من الفتحة. وفجأة ارتد للوراء كأنما لدغه عقرب! وموجات الذهول تجرى فى جسده وقد شلته الصدمة تماماً. ما الذى رآه فراعته لهذا الحد حتى هرب الدم من عروقه؟ يجيبنا حزقيال النبى أنه رأى قادة إسرائيل وهم مختبئون خلف هذا الجدار يمارسون الزنى الروحى (حز ٨: ٦-١٢) ويعبدون صوراً لإلهة الكنعانيين. لقد تخلوا تماماً عن الدين الحقيقى لشعب الله وانغمسوا فى أعمال تمرد وشهوة.

إن الرؤية العامة التى يقدمها يوحنا الرسول للشهوة فى ١٥: ٢-١٧ هى أكثر الرؤى تبصراً بالحقيقة فهو يقول إن الشهوة التى فى العالم هى شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة. وهنا تصور شهوة الجسد وشهوة العيون فى صورة انغماس مدمر فى الخطية. إن شهوة العيون تشير إلى الرغبة العارمة التى تدخل الذهن من بوابة النظر وكما ترتبط شهوة العيون بالتجربة فإن شهوة الجسد هى الاستسلام الفعلى للرغبة وأخيراً الوقوع فى تأثيرها الشرير وتحت سيطرتها الخائفة.

الشهوة

كيف يقع الكثيرون منا فى شباك الشهوة ويصيرون عبيداً لعادات شهوانية تخرجهم عن مسار حياتهم الطبيعى بل وتدمر حياتهم وصحتهم. دعونا نرجع لحزقيال لنتلصص خلف جدران قلب الإنسان الجدران التى نمارس وراءها خطايانا السرية وزنانا. إننا نبني هذه

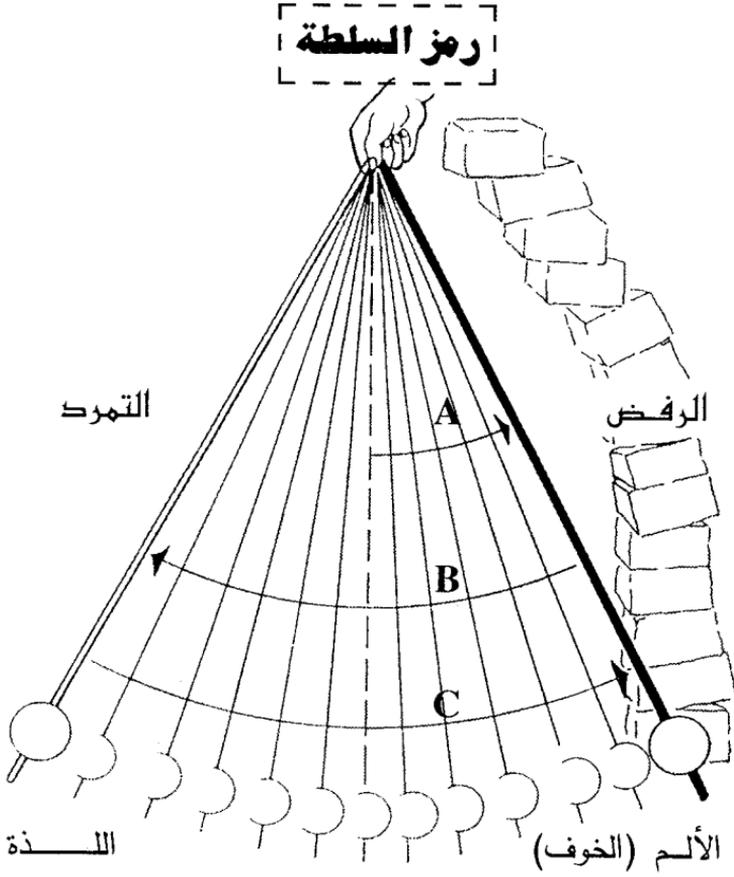
الجدران الدفاعية لنحمي أنفسنا من الأعداء الذين قد يجرحوننا. وهؤلاء الأعداء سواء كانوا حقيقيين أو متخيلين يؤثرون بقوة في تجاوبنا وتفاعلنا مع الحياة ولكن دعونا نسأل مرة أخرى ما الذى يجرى خلف هذه الأسوار؟ وللإجابة على هذا السؤال لندرس هذا المثال التوضيحي.

فى شكل ١٧ الخط (A) يمثّل زيج الرفض من أحد رموز السلطة وهو مدلى كزيج مائل يميل بكل شىء فى حياة الشخص والمشاعر المباشرة التى يجب على الشخص أن يتعامل معها عندما يختبر هذا الرفض هى مشاعر الألم الداخلى الذى أراه كثيراً فى مرضاى وأعتبره تحدياً أكبر من الألم الطبيعى الذى أراه فى الأمراض الجسدية. وربما يوجد عدد أكبر من المرضى يعانون من الألم النفسى أكثر من الألم الطبيعى. ولكن بدا لى أن ليس هناك سوى القليل الذى أستطيع أن أفعله للتخفيف من هذا الألم والمعاناة الداخلية. وفى بحثى عن إجابة بدأت أسأل بعض الأسئلة لمرضاى الذين كانوا فى حالة واضحة من الألم النفسى. عرفت أن الكثير من السيدات والبنات يقودهن هذا الألم الداخلى نحو الثلاثة! أو علبة البسكويت مثلاً.

وبعد قليل بدأت أنماط مشابهة من السلوك تتضح أمامى ثم انفتح أمامى بعد جديد وفى كل مرة كنت أسأل كيف استطاعوا التعايش مع الألم الداخلى كانت الإجابات كالتالى:

- «أكل أكثر».
- «أشرب خموراً أكثر».
- «أصرف فلوس أكثر».
- «أعمل علاقة جنسية».
- «أمارس العادة السرية».

التأرجح الهروبى



B. الهرب

C. العودة

A. الرفض من رمز السلطة

(شكل ١٧)

وفي كل حالة، كان مرضاى يحاولون الهرب من الألم وتسكينه بالانغماس في أحد أنواع اللذة. لذا سميت هذا السلوك التآرجح الهروي كما هو في شكل ١٧ لكن الشيء الذي لم يكن مرضاى يقبلونه هو أن اللذة دائماً وقتية، وأنهم كلما اتجهوا ناحية الهروب سوف يعودون مرة أخرى عائدين للألم لكي يعيدوا الكرة مرة أخرى. في شكل ١٧، يمثل الخط (B) التآرجح بعيداً عن الألم نحو اللذة والخط (C) يمثل العودة للألم وبداية دورة جديدة.

كانت هذه العملية واضحة جداً أمامي ذات يوم في سيدة في منتصف العمر أتت لمكتبي طلباً للمساعدة، وكانت أول كلماتها هي الشكوى من زيادة وزنها، وبالطبع بعد أن نظرت إليها نظرة عابرة لم أكن بحاجة لأي إقناع بحقيقة هذه المشكلة. وعندما أكملت حديثها مباشرة طالبة وصفة سحرية تعيد لها قوامها السابق كان عليّ أن أشرح لها أنها تحتاج أن تحدثني عن نفسها وعن أسرتها أكثر.

وسرعان ما اكتشفت أن زوجها كان مدمناً للخمر وأن حياته سببت لها الكثير من الحزن والأسى والعار وواضح أن كلاً من هذه السيدة وزوجها قد اختبرا الكثير من الألم في حياتهما والفرق الوحيد هو في الاختيار الذي اختاره كل منهما كمهرب من الألم.

وحيث أن اختيار السيدة سبب لها ألماً إضافياً أصبحت في حاجة للمزيد من الأكل لتخفيف الألم المتزايد وهكذا تفاقمت مشكلتها وأيضاً أصيب زوجها بالمرض بسبب الكحول وسقطت الأسرة لأعماق أبعد من الفقر ولعل هذه الحالة تمثل بوضوح ما قاله يوحنا الرسول عن شهوة الجسد وشهوة العيون.

فقد الشهية العصابى

إن هذا المرض يمثل حالة أخرى من حالات التآرجح الهروبى، وهو مرض طبى يوجد بالأخص فى الشابات اللاتى قد يلجأن لعدم الأكل كرد فعل عصابى لصدمة نفسية شديدة حتى أنهن يدفعن بأنفسهن نحو سوء التغذية وربما الموت. ومعظم هذه الحالات تصيب بنات يتصف والديهن بالثراء والسعى المحموم وراء النجاح ويطالبون أولادهم بمطالب شديدة ومستويات عليا من الأداء عادة ما تكون أكبر من إمكاناتهم وقدراتهم.

وعندما يربط الوالدان بين إعطاء الحب لبناتهم وبين تحقيقهن المتوقع منهن فإنهن عادة ما يصارعن بضراوة ورعب لكى يحققن المستوى المطلوب مدفوعين دائماً بالإحساس بالذنب لكونهن لم يحققن توقعات الوالدين وهكذا يعشن بإحساس داخلى مزمن من الفراغ والألم ثم يهرعن إلى البحث عن اللذة عن طريق الأكل ولكن عندما تنتهى اللذة المؤقتة، يتملكهن الخوف من السمنة وبالتالي مزيد من الرفض. وعادة ما يلجأن للذهاب لمكان سرى حيث يقينون أنفسهن أو ربما يتناولن مليونات. ولكى يهربن من الانتقاد فإن هؤلاء الشابات يعيشون حياة من الخداع والأكل بشراسة فى السر والقىء فى السر أيضاً والإنكار وللأسف، أن ٢٠٪ من هؤلاء الفتيات يمتن من سوء التغذية ومضاعفاته وفى ٢٠٪ أخرى تجد الفتيات صعوبة فى الخروج من دائرة مفرغة من الألم واللذة الوقتية تدفعها رغبة عارمة فى الحصول على القبول.

شهيات غير محكومة

أما بالنسبة لحالتى أنا فقد أدمنت نوعين من اللذة أثناء الطفولة

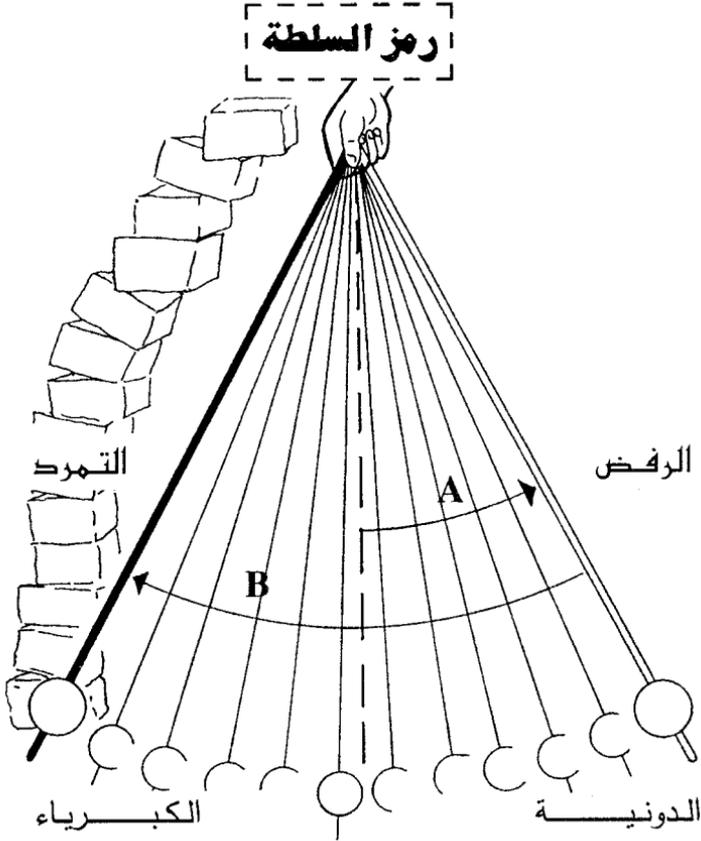
وذلك فى محاولة للهرب من الألم الناتج عن سخرية مدرستى فى البداية كان الأكل فإذا لم أتناول كفايتى من الطعام فى الوقت المناسب أصبح عصبياً جداً وعندما كنت أتناول الطعام كنت أزدرده بسرعة كالحىوان .

أما الراحة الزائفة الأخرى التى كنت ألجأ إليها كالمسكنات هى الهروب إلى عالم الخيال وأحلام اليقظة وكنت أستخدم بعض القصص الشهوانية القذرة التى كان التلاميذ ينداولونها فى المدرسة لكى أصنع منها عالمى الخيالى الخاص الذى كنت أبحث فيه عن الراحة والسعادة .
وكالعادة فإن اللذة كانت دائماً وقتية ولكنى سرعان ما أصبح ذهنى كصفيحة القمامة . وعندما صرت مسيحياً مؤمناً أصبحت هاتين المنطقتين من حياتى هما مساحة معركتى الكبرى للتغيير فقد تعلمت فيما بعد أن الطعام والجنس هما مهربان شائعان ومرتبطان ببعضهما البعض .

وكما أن لدينا شهية للأكل وللخمور فإن هناك أيضاً شهوة للجنس والإباحية الجنسية، والنجاسة، والجنسية المثلية، كلها قد أصبحت متفشية هذه الأيام، حتى بالرغم من تهديد الإيدز ولكون الشهوة قد أصبحت بهذا القدر من الشىوع يفشل الكثير من الأزواج فى تعلم معنى الحب الحقيقى .

والكتاب المقدس يرينا أن الشهوة تطالب وتفرض نفسها، أما الحب فيضحى وينكر ذاته لتحقيق احتياجات الآخر. الشهوة تريد التملك بأى ثمن أما الحب فيعطى مهما كان الثمن . وعادة ما تغطى الشهوة الفجة قصيرة الأجل على الأهداف طويلة المدى للعلاقات الأكثر سمواً وحساسية والأدوية سواء كانت موصوفة أو مستخدمة بطرق غير

التأرجح الهجومى



B. الهجوم بدافع الألم

A. الرفض من أحد رموز السلطة

(شكل ١٨)

شرعية (المخدرات) أصبحت تجارة البلائين وكثيرون اليوم يعيشون تحت تأثير الإدمان المغيب للعقل سواء لأدوية موصوفة أو المخدرات التي تباع في الشارع. وكثير من المراهقين يلقون بحياتهم وشبابهم تحت عجلات قطار لا يرحم من الشهوة الكيميائية والبيولوجية هرباً من ألم نفسي لا قبل لهم باحتماله.

اللذة والألم

قام الدكتور «ريتشارد سولومان» وهو أستاذ علم النفس في جامعة بنسلفانيا ببحث للمعهد القومي للصحة النفسية عنوان «تكلفة اللذة وفوائد الألم» وفيه يشرح كيف أن المثير غير المشروط عادة ما يسبب ظواهر ثلاثة رئيسية وهي:

خبرة ممتعة

سلوك إدماني

وألم عند التوقف (السحب)

وقد سمي نظريته «نظرية عملية التضاد للتحفيز المكتسب» وهي تعطي تفسيراً معقولاً للسلوكيات الإدمانية التي تسببها إما أحداث مؤلمة أو مفرحة.

واشتملت تجاربه على العمل على إدمان المخدرات والعلاقات الاجتماعية والشهوات الحسية والمثيرات الكريهة^(x) ومن بين الاستنتاجات التي خلص إليها ما يلي:

(x) Richard L. Solomon "The Opponent - Process Theory of Acquired Motivation" American Psychologist Aug. 1980 PP. 691-712.

- ١- عندما يحدث إدمان لأحد أنواع اللذة فإنه عادة ما يتوقف عن طريق ألم مضاد.
- ٢- وهذا الألم المضاد هو ألم بطيء فى مجيئه وفى ذهابه أيضاً.
- ٣- وعملية التضاد هذه تزداد قوة باستخدام فواصل زمنية مناسبة.
- ٤- اللذة المتكررة تفقد قوتها تدريجياً وتجعل الإنسان عرضة لمصادر جديدة من المعاناة.

وعلى سبيل المثال، يعانى المصاب بالإسراف فى الطعام من بعض أمراض السمنة كما أن المنغمس فى الجنس يصاب بمرض تناسلى ويضع هذا البحث أهمية إضافية لموضوع اللذة/الألم الذى ناقشناه فكلما ازداد إدماننا زادت المعاناة التى قد نواجهها. ويسلم «سولومان» بالطبيعة الأخلاقية الكتابية الخاصة بالتعفف فى كل الأمور (٢كو ٩: ٢٥).

وكثير من المشيرين يمهدون طريق التوبة عن اللذة الخاطئة لكنهم يفشلون فى التعامل مع الألم المتبقى الذى إذا لم يخفف يظل الشخص يعانى من ألم أكثر شدة وربما يعود للذة القديمة أو يستبدلها بأخرى. وهذا يفسر بعض الشىء كيف أنه من السهل جداً العودة لنمط الحياة الأول.

كيف نتعامل إذاً مع هذا الألم دون اللجوء للذة المؤقتة؟ سوف نجد الجواب فى الصفحات التالية.

تعظم المعيشة

فى (١ يوحنا ٢: ١٥-١٦) نجد عنصراً آخر وهو تعظم المعيشة وهو

يوصف بأنه من العالم وبالتالي فهو ليس من الآب. فى جنة عدن استخدم إبليس مزيجاً من الشهوة والكبرياء لينهى الحياة الطاهرة بضربة الخطية القاضية وأثبت آدم وحواء بأنهما ضعيفا الإرادة أمام التأثير الخادع للشهوة والكبرياء ومنذ ذلك الحين والإنسان يعانى من هذا التأثير إذ أن صبغة الكبرياء والشهوة قد لطخت كل صفحات التاريخ الإنسانى كما يقول الكتاب إن «قبل الكسر الكبرياء» (أم ١٦: ١٨).

وعندما ننظر لشكل ١٨ نرى أن الخط (A) يمثل نتيجة الرفض من أحد رموز السلطة. والآن بدلاً من كون المشاعر هى أرض المعركة نجد أن الذهن هو الذى يواجه هجمات أفكار الدونية وصغر النفس. فمعظمنا قد صارع هذه الأفكار فى وقت من الأوقات، لكن لكل واحد رد فعل مختلف فالشخص الأكثر سلبية يقتنع ويقبل أفكار الدونية ويحاول أن يفعل أقصى ما يستطيع إزاء الظروف المحيطة به. أما الشخص العنيف بطبعه فهو يعمل على إثبات ذاته ولا يكتفى بأن يبرهن أنه ليس أقل من الآخرين بل يحاول إثبات أنه أفضل من الجميع وهذا ما يمثله التآرجح الهجومى المرموز له بالخط (B) فى شكل ١٨.

وهذا التوجه هو ما يظهر واضحاً فى واحدة من أقوى الحركات الفلسفية فى عالمنا المعاصر وهى النزعة الإنسانية العلمانية الملحدة Atheistic/Secular humanism التى ترفض الله فى تعبير مبالغ فيه من الكبرياء بل وتضع مكانه الإنسان وعندما يواجه الإنسان محدوديته وضعفه الشديد يحاول التعويض بأن يتحرك بالتآرجح الهجومى محاولاً إثبات ألوهيته. فى البداية تنادى هذه الفلسفة بالمزيد من المعاملة الإنسانية للشعوب ولكن يتولد الإحباط عندما تتماهى هذه الفلسفة الإنسانية لتصبح فلسفة «الإنسان الخارق أو السوبرمان» إذ يصبح

الإنسان مُنتجاً أو سلعة يجب أن تكون على أعلى مستوى من الكمال بأى ثمن وتكون للإنسان قيمة فقط عندما يعمل بكفاءة تامة وإتقان دون أن تشوبه أى شبهة ضعف أو قصور.

وقد نتج عن هذا الاتجاه فى التفكير كثير من القضايا مثل «موت الرحمة» (أى الحكم على المريض الميئوس من شفاؤه بالموت رحمة به) والإجهاض الاختيارى وبنوك الحيوانات المنوية وكل هذه هى أساليب منطقية لخدمة هذا الهدف وهو إقصاء المعوق والضعيف عن حلبة الحياة لكى تستمر السلالة الأقوى وهو نسخة حديثة أكثر جاذبية من قانون الغابة القديم المعروف «بالبقاء للأصلح».

ولكون الإنسانية العلمانية تتخلل نسيج المجتمع الغربى وتحاول على استحياء غزو مجتمعاتنا الشرقية بدعوى مساندة ركب الحضارة نجد فى الغرب الكثيرين ممن ألقوا على جانبى هذا السباق المحموم نحو ما يسمى بالإنسان الأفضل فنرى زيجات محطمة وأسرى مبعثرة وأمراض ونفوس كسيرة مما يشكل ظاهرة تشهد عن هذا السقوط الذى يتبع الكبرياء.

أشخاص محطون

إن أحد أمثلة التمرد الجماعى على هذه الفلسفة هى جماعة الهيبيز التى ظهرت فى الستينات الذين تأرجحوا نحو ما اعتقدوا أنه نمط حياة أسمرى من أجل رفاهية البشر فاتخذوا مفهوماً خاصاً للفردية والإنسانية ولكن للأسف اضمحلت هذه الحركة لتصبح فقط رخصة تبرر تعاطى المخدرات والانحلال الجنىسى والإسراف فى الطعام والكثير من الشباب

الذين اندفعوا نحو الحرية انتهى بهم الحال لقيود أشد وأعمق. ودعوني أشاركم بهذا المثال الحى عن هذين الشخصين.

عندما التقيت لأول مرة «بيتر» و«تريش» كانا يعيشان معاً فى بيت بنياه على جزع شجرة كبيرة. كانت «تريش» ترفل فى ثوب حمل فضفاض إذ كانت حبلى بطفلهما الأول وكان بيتر ذو شعر طويل مسترسل على كتفيه ولحية وكان يرتدى أيضاً ما يشبه العباءة القذرة المليئة بالهباب والطين ورائحة كريهة نفاذة تنبعث منه ولم يمضى وقت طويل بعد هذا اللقاء حتى جاء بيتر ليقابلنى فى عيادة المشورة.

عندما دخل «بيتر» إلى مكتبى الخافت الإضاءة، جلس متقاطع الساقين على أرضية الحجره مملماً عبائته بين ساقيه ووضع بجانبه حقيبة قماشية متسخة وبدت فى عينيه نظرة زجاجية تفضح أنه تحت تأثير مخدر خفيف. وكان «بيتر» يعود من وقت لآخر لحقيبته القماشية ويخرج منها وحدات صغيرة من عيش الغراب ويمضغها بصوت مزعج. وعرفت بعد ذلك إن هذا هو ما يسميه الهيبيز «عيش الغراب السحري» ويزرعونه على روث البقر وله تأثير قوى حتى أنه يماثل عقار الهلوسة LSD وهذا يفسر نظرته الزجاجية والصعوبة الشديدة التى كنت أجدها فى التواصل معه!

وعندما كنت أسأله السؤال تلو الآخر، كانت إجابات «بيتر» تبدو «فلسفية» كانت الرائحة فى الغرفة كريهة جداً حتى أن «باربارا» عندما رافقتنى فى الجلسة كانت تعانى من الغثيان فوضعت منديلها على أنفها طوال الجلسة واعترفت فيما بعد أنها لم تفهم أى كلمة مما قاله «بيتر» وكأنه قادم من كوكب آخر. وبالطبع فلا عجب أننا لم نحرز أى تقدم

فى هذا اليوم ولكن على مدى الشهور التالية استطاعت «باربارا» أن تقترب أكثر من «تريش» التى من خلالها عرفت قصة «بيتر» أيضاً.

كان «بيتر» متزوجاً يبلغ من العمر عشرون عاماً ويعمل بالقوات الجوية وقد أرسلوه لجزيرة جامه. وكانت وظيفته هى معاينة الجو استعداداً لقدم قاذفة القنابل الشهيرة B-52 وإبلاغ الطيارين بالأحوال الجوية التى سوف يواجهونها عند قيامهم بمهمات القصف الجوى فى فيتنام. لقد كان «بيتر» معارضاً للحرب من البداية فعندما طلق زوجته ولم تعد هناك أى روابط عائلية، هجر القوات الجوية تماماً وبدأ فى اتباع طريق الهيبيز الطويل الصعب الذى قاده إلى جنوب شرق آسيا ثم إلى هاواى وكان غارقاً لرأسه فى الفلسفات الشرقية والمخدرات. لقد أصاع «بيتر» بعضاً من أفضل سنى حياته هائماً على وجهه فى جزيرة هاواى.

وعندما تقابل مع «تريش»، تلك الفتاة الوحيدة الضائعة دعاها لتشاركه حياته ولكن فى الوقت الذى قابلناهما فيه كانا قد وصلنا لنهاية المطاف معاً ووصلت حياتهما الفوضوية إلى نقطة النهاية.

والمثير للدهشة والإعجاب معاً أن الله بالفعل تدخل وأنقذ حياتهما من هذا النمط المستحيل، والفلسفة العقيمة، والآن هما زوجان سعيدان وعاد «بيتر الجديد» مرة أخرى للدراسة الجامعية لكى يصبح مدرساً ناجحاً وقصة هذين الزوجين تكرر نفسها أكثر من مرة فى حياة شباب بائس يلقى بكل التقاليد جانباً فى تمرده على المجتمع ليجد نفسه تحت رحمة تقاليد جديدة أكثر تدميراً. تجنح بهم إلى حياة جوفاء من الشهوة والفلسفات العاطلة.

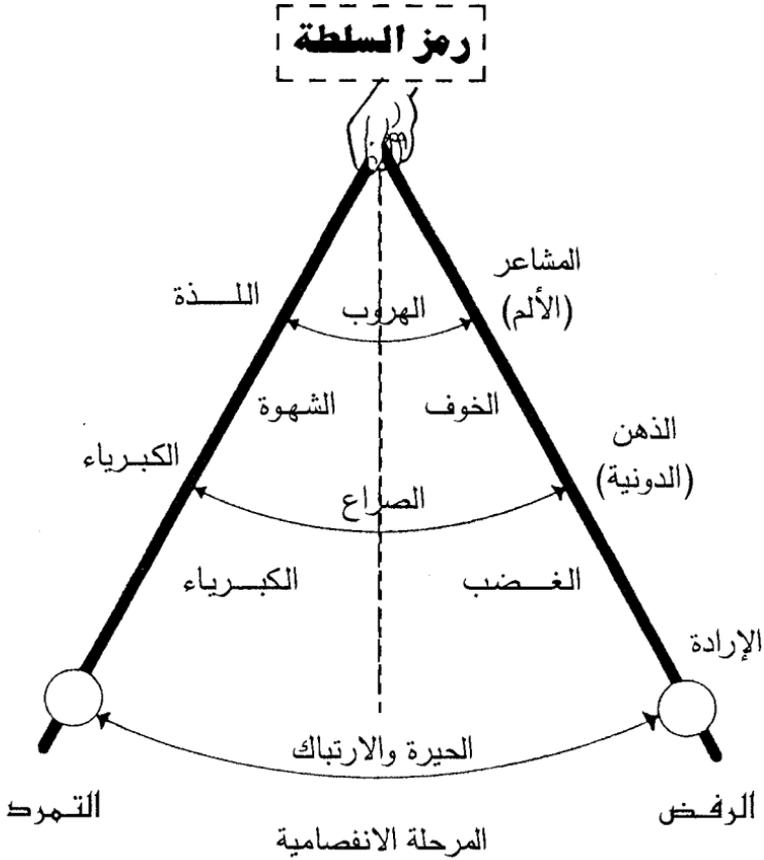
أن تكون « الأفضل » بأى ثمن

ولكن لا ينحرف الجميع نحو التمرد الظاهر كما فى قصة «بيتر» و«تريش» فالبعض يختارون أن يحاربوا مدفوعين بشهوة طاغية أن يكونوا «الأفضل» فى شىء ما. فقد كان الكثيرون يحملون على مدى عشرات السنين أن يصبحوا أول رجال فضاء يهبطون على سطح القمر ولأن هذا الهدف عال فإنه يتطلب الكثير من التدريب والتنافس والصراع من أجل أداء أفضل.

وكانت البداية بشخص واحد كان مستعداً لأن يدفع الثمن فى سبيل أن يتخلص من عقدة النقص والدونية التى كان يشعر بها وبالفعل أصبح رائد فضاء. وبالطبع عاش هذا الرجل لبعض الوقت يرفل فى ثياب المجد حتى جاء وقت لاحظ فيه أن هذا المجد قصير العمر وأن تلك الشهرة سرعان ما تضيع فقد تبعه الكثير من رواد الفضاء لذا بدأت شهرته تخبو وتفقد تركيزها كنقطة حبر ألقيت فى إناء مملوء بالماء وهكذا بدأ يفقد إحساسه بالإنجاز وقيمة الذات. لقد فشلت خطواته على القمر فى تسديد عجز الحب بل وازدادت صراعاته سوءاً وشدة وعندما كانت مشاعر الدونية تعاوده كان يلجأ للشراب ليغضى به الألم الناتج وهكذا أخذ الطريق النازل نحو إدمان الخمر.

والأمثلة لا حصر لها لهؤلاء الذين بدوا وكأنهم وصلوا لل قمة ولكنهم يفاجئون بأن عجز الحب يزداد عمقاً وعنفاً بالوحدة.

إن تعظم المعيشة هو ما أسميه تأرجحاً هجوماً حيث يصارع الإنسان دون هوادة ويتنافس ويؤدى لى يؤسس لنفسه التفوق ويعتلى القمة حتى يحصل على القبول بين الناس رافضاً حتى التفكير فى احتمال الفشل مقررراً أن الغاية دائماً ما تبرر الوسيلة.



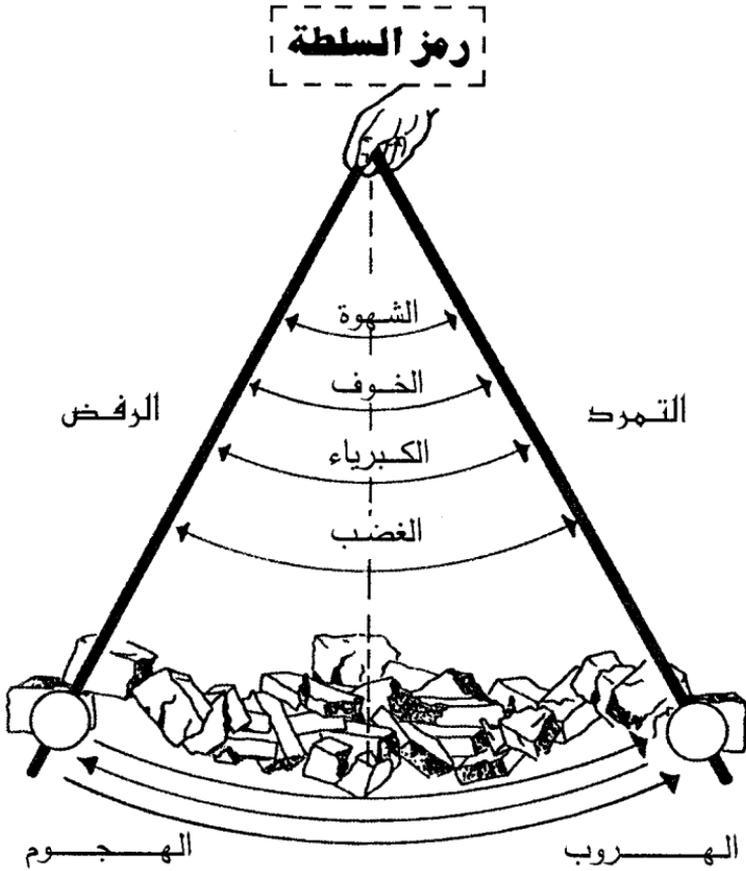
« المرض العقلي »

(شكل ١٩)

وشكل ١٩ يأخذنا خطوة أخرى في هذا «التأرجح النفسى» فنرى كلاً من الشهوة والخوف كعاملين محفزين للتأرجح النفسى فيهرب الشخص من الألم إلى اللذة. لقد ناقشنا من قبل كيف أن اللذة يمكن أن تخفف الألم الداخلى وهذه اللذة تصبح شهوة آسرة إذ تتبع نمطاً قهرياً إدمانياً. والخوف أيضاً يمكن أن يتولد، كالخوف من فقدان اللذة أو الخوف من العبودية لها أو الاثنين معاً كما هو الحال فى إدمان الخمر والمخدرات.

وعلى الجانب الآخر، فإن الكبرياء والغضب يمكن أن يكونا عاملين محفزين لتأرجح ذهنى فعلى سبيل المثال، عندما يحاول شخص تسلق السلم الوظيفى لشركة ما قد تكون له أهداف داخلية خفية كأن يثبت أنه ليس أقل من الآخرين بل أفضل منهم مظهراً بذلك كبرياءه. ولكن عندما يجد نفسه فى يوم من الأيام مفصولاً، فإن هذا الكبرياء يجرح جرحاً عميقاً ويتأرجح بالتالى نحو أفكار الغضب فمع أنه كان يبدو فى البداية متزناً، إلا أن عنفه الداخلى سرعان ما يظهر فى بيته ومع أسرته. وبنفس الطريقة، عندما يتأرجح أى منا نحو التعالى بسبب الكبرياء فإننا سرعان ما نتأرجح للطرف الآخر وهو الدونية. عندما يصاب كبرياؤنا هذا بجرح عميق من جراء فشل ما، فإن الغضب والعنف غير المحكوم قد يعبر عن نفسه مدمراً من نحبهم.

والجزء الثالث من النفس وهو الإرادة يضعف بعد ذلك ضعفاً شديداً. وكلما خضعت الإرادة لمناورات العقل والمشاعر تصاب بالارتباك ويتراكم الضغط العصبى والإرهاق ليبنى حالة من عدم الاستقرار الذى يؤدى للانهيال بشكل أو بآخر كما يظهر فى شكل ٢٠.



رجل ذورأيين

(يعقوب ١: ٧، ٨)

(شكل ٢٠)

فى كل من هذه التآرجحات النفسية إما من خلال المشاعر أو الذهن أو الإرادة، سوف نرى الشهوة، والخوف والكبرياء والغضب وغيرها تززع جدران الشخصية حتى تهدمها إما جزئياً أو كلياً فعندما نتجاوز حدود احتمالنا للضغوط والشد العصبي، فسوف ندخل منطقة الانهيار والجدران التى نبنيها قد تنهار ونفقد السيطرة على حياتنا تماماً بكل عناصرها ووظائفها الجسدية والنفسية والروحية. ويشير يعقوب فى رسالته (يع ١: ٦-٨) إلى «ازدواج الفكر» الذى يترجم باليونانية ترجمة أفضل فيكون «ازدواج النفس» وهذا يعنى وجود حالتين ذهنييتين متحاربتين معاً. وشكل ٢٠ يصور هذا واضعاً الرفض كحالة ذهنية والتمرد كحالة أخرى مضادة وإذا تأرجحنا بين الاثنتين فإننا نعانى من عدم استقرار متزايد، وتزيد احتمالية الانهيار تبعاً لذلك وتصبح الصحة النفسية عندئذ فى خطر.

إن السياق الذى أتى فيه تعبير «ازدواج الفكر» فى رسالة يعقوب يشير إلى أسباب عدم الإيمان مؤكداً أن الشخص ذو الرأيين (أى ذو الفكر المزدوج) «متقلقل فى كل طرقه» وكلمة «كل» هنا تشير إلى أن الانهيار أو المرض النفسى قد ينتج من هذا التآرجح الذى تسببه الشهوة والخوف والكبرياء والغضب ولكن لدى الله حلاً أفضل لجدران الرفض والتمرد هذه لكى يزيلها بطريقة بناءة وشفافية. وإذ نواصل المسير لننظر لتعاملات الله مع شعبه (إسرائيل) سوف نرى كيف أن الله يزيل أسوارنا المَعُوجَةَ ليبنى بدلاً منها أسواراً جديدة.

تعال جانباً

استدع لذاكرتك المواقف المؤلمة فى حياتك. صف كيف تعاملت مع الألم الداخلى واذكر النتائج. كيف تعاملت مع الضغط المتزايد فى حياتك؟

الفصل التاسع

إعادة بناء الأساس

«وصرح ارتفاع أسوارك يخفضه . يضعه يلصقه بالأرض إلى
التراب» (إش ٢٥: ١٢)

«فى ذلك اليوم يعنى بهذه الأغنية فى أرض يهوذا لنا مدينة
قوية . يجعل الخلاص أسواراً ومترسة» (إش ٢٦: ١)

إن الأعداد الكتابية المذكورة سابقاً هى ملخص رائع للطريقة التى
يجب أن نبني بها أسوار حياتنا، بطريقة جديدة مختلفة عما ذكرناه من
قبل ويقول الرب فى هذه الفقرات إنه لا يريد أن يتركنا دون أسوار أو
دفاعات عرضة للهجوم من عدو نفوسنا . ولكنه يريد أن يعطينا سوراً
جديداً هو سور الخلاص (إش ٦٠: ١٨) وبوابات جديدة هى بوابات
التسبيح تحميها من الدمار والخراب وفى هذا الجزء من الدراسة، سوف
ندرس كيف بعد أن هدمنا جدران الرفض والتمرد وأزلنا الحجارة، نبني
أسوار الخلاص فى حياتنا .

ولكى نرى كيف يتعامل الله معنا، دعونا نراجع بعضاً من تاريخ
شعب إسرائيل، بادئين من انقسام المملكة .

الأنبياء الصغار (النبوات الصغيرة)

٤٠٠ ق.م.

٥٣٦

٥٨٦

٧٢٢ ق.م.

٩٣١ ق.م.

استعادة المملكة

السبى

مملكة واحدة

مملكتان

إسرائيل

يونان (نينوى)

عاموس

هوشع

يهوذا

عوبديا (آدم) ناحوم (نينوى)

يوئيل

ميخا

السبى

صفنيا

حبقوق

العودة من السبى

حجى

زكريا

ملاخى

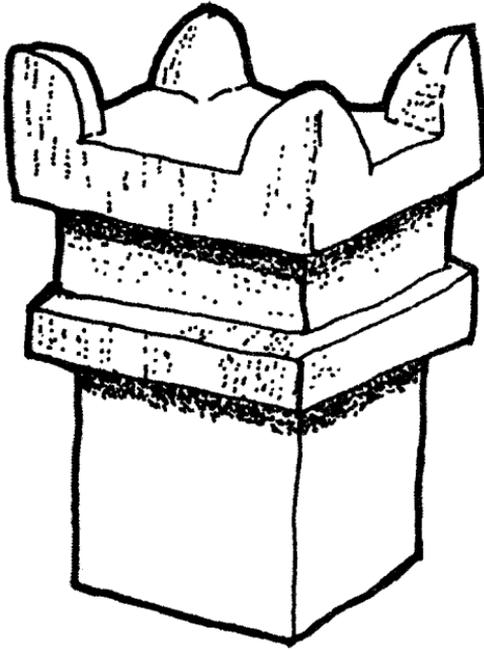
(شكل ٢١)

ويوضح التخطيط في شكل ٢١ فكرة عامة مختصرة عن الأحداث فبسبب عدم اكتراث إسرائيل لتحذيرات عاموس وهوشع الممسوحة بالروح تعرضوا للسبى. وبالرغم من أن مملكة يهوذا أيضاً رأت ما حدث لإسرائيل وتحدث الله لها بتحذيرات مماثلة على السنة فريق قوى من الأنبياء إلا أنهم أيضاً لم يتوبوا. وبالتالي عانى كل من إسرائيل ويهوذا من سنين طويلة من الخدمة والعبودية فى بابل.

وخلال هذه السنين من السبى اليهودى حدثت تغيرات تاريخية. أولاً انهارت قوة بابل أمام الامتداد الكاسح للإمبراطورية الفارسية. ثم صعد صراخ شعب الله المختار والخاضع للتأديب والتطهير المؤلم وعندما رأى الله أن أيام تأديبهم قد اكتملت، استجاب لصراخهم بأن أعطاهم قادة ليقودوا الشعب راجعين لأرض ميراثهم.

وأول قائد عظيم كان الملك الأمى المدعو كورش، الذى شعر بأن الله يدفعه ليصدر إعلاناً مكتوباً أن هيكلاً سيبنى فى أورشليم للرب، وأن هذا العمل يحتاج لشعب يقوم به. لذا أعاد كورش كل كنوز الهيكل المسلوبة ليساعد على بدء هذا العمل، وكنتيجة لذلك عاد ٤٢٣٦٠ شخصاً من بنى إسرائيل لأورشليم تحت قيادة زربابل وكثيرين غيره. والآن لنتتبع تطور تلك الحركة الجماعية التى ربما تكون أهم حركة جماعية لشعب، رآها العالم حتى ذلك الوقت. تخيل معى هذه الجماعة العظيمة من الناس الذين أعياهم الترحال، وكيف يشعرون بعد أن عادوا من السبى وأجسامهم متربة وقواهم منهكة من طول السفر ليجدوا ميراثهم وميراث أجدادهم قد صار كومة من الحطام والركام.

ويخبرنا عزرا ٣: ١-٦ كيف أن كل العائدين من السبى اجتمعوا معاً كرجل واحد ليقوموا بأول وأهم عمل فى أورشليم - بناء المذبح



المذبح

(شكل ٢٢)

وقبل أن تكون هناك أية عبادة، كان يجب تقديم ذبيحة عن خطايا الشعب، وهذا يوضح كيف أن العبادة لله لا تكون مقبولة إلا بعد التعامل الحاسم مع الخطية. والمذبح هو المكان الذي نأتى إليه لكي نتصالح مع الله ونبدأ فى حمل مسئولية خطايانا ونقبل من الله الفداء عن خطايانا. إن المذبح وما عليه من التقدّمات، وبخاصة التقدّمات التى يقدمها الإنسان مختاراً، ترمز للتكريس. والمذبح الجديد قد تم بناؤه فى أورشليم فى نفس مكان المذبح القديم، وهذا يمثل كيف أن العبادة الأولى قد أُعيد تأسيسها. إن العائدين من السبى عرفوا أنهم إن أرادوا أن ينجحوا فى بناء الهيكل فإنهم يحتاجون لبركة وقوة ونعمة من الله يهوه لكي يقدرُوا على هذا العمل، وهذا ليس صحيحاً فقط بالنسبة للمسبيين ولكن بالنسبة لنا أيضاً، فالمذبح هو مكان

القبول

الاعتراف

العتق

الذبيحة

الشفاء

التوبة

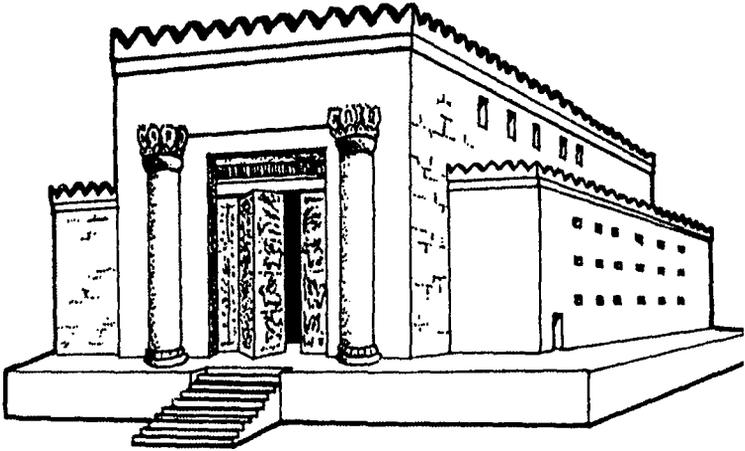
الحماية

الغفران

الدم الذى يطهر

الكفارة

وعندما نقبل المسيح لأول مرة كمخلص، فإننا نأتى للمذبح - ولكن هذا لا يعنى أننا لن نخطئ مرة أخرى. وعندما نخطئ، فكثيراً ما نفشل فى أن نعود مرة أخرى للمذبح. وبالتالي تنمو «الخطايا الصغيرة» وتتراكم فى حياتنا وإذا لم نعترف بها ونخرجها للنور فإنها تسبب انفصلاً بيننا وبين الله فنجد صعوبة فى سماع صوته واستقبال حبه وبالتالي يضعف حبنا له.



المبني

(شكل ٢٣)

لقد تعلم بنو إسرائيل هذا الدرس بعد معاناة، كما يحدث معنا اليوم فكثير من الأشياء قد تنمو وتغطي على المذبح في حياتنا فيختفى بين الحشائش والنباتات الضارة ونحتاج إلى منجل قوى لكي نجده مرة أخرى وفي كل نهضة يجب على الشعب أولاً أن يتوبوا ويعترفوا بخطاياهم ويعودوا للمذبح حتى يستعيدوا شركتهم مع الله. إننا جميعاً نحتاج لأن نتبع هذا الطريق نحو المذبح كلما أخطأنا. إننا مدعوون أن نكون قديسين (١ بط ١: ١٥). والكتاب يقول إنه بدون قداسة، لا يقدر إنسان أن يرى الله (عب ١٢: ١٤).

ثم بعد ذلك بدأ بنو إسرائيل يبنون هيكل الله تحت قيادة الكاهن زريابل (عزرا ٣: ٧-١٣) والهيكل هو المكان الذي نعبد فيه الله وحده ونمارس الشركة معه ومع بعضنا البعض. وكما نحتاج للمذبح في قلوبنا فنحن نحتاج أيضاً للهيكل أو المكان الخاص بالله وحده. نحتاج إلى مكان نضع فيه جانباً كل شيء آخر وندخل إلى محضره لنعبده ونسكن قلوبنا أمامه وهذا هو المكان الذي نستعيد فيه حيويتنا وتتعمق فيه علاقتنا به. وكما كان في تلك الأيام، كذلك الآن فللهيكل أهمية كبيرة في حياتنا. فهو مكان

ممارسة الفرائض المقدسة	العبادة
حضور الله	الشكر
الفرح	الشركة
القداسة	العطاء
القوة	الصلاة
المسحة	الشهادة

وفى كل من هذه الأمور، نرى كيف أن الهيكل كان مكان حضور الله حتى أنه فى بعض الأحيان لم يستطع الذين يخدمون فى الهيكل أن يقفوا على أرجلهم بسبب حضور الله المهيم، وهذا ما نرجو أن نرى ولو لمحة منه فى أيامنا. وعندما تم العمل وأعيد بناء الهيكل كان احتفال إسرائيل عجبياً ويسرد عزرا ٣: ١١ كيف أن بعضهم كان يصيح والبعض يغمى وآخرون يبكون، بأصوات عالية حتى أن ضجيجهم كان يسمع من بعيد.

لماذا تأثر الشعب عاطفياً لهذه الدرجة؟ لقد عرفوا أن الهيكل يعنى أن الله سوف يحل بينهم مرة أخرى. ومن منهم يذكر الهيكل فى أيام الملك سليمان كان يبكى من الاشتياق العميق لأن يرى حضور الله وسط شعبه بقوة ونعمة مرة أخرى.

ما هى حالة هيكلك الشخصى؟ هل هو كومة حطام وأطلال ويحتاج بشدة لإعادة البناء؟ هل تركته يتحول إلى خرائب بسبب الإهمال وانشغال الحياة؟ كم هو مهم بالنسبة لك أن يعود د نور الله يملأ هيكلك يوماً فيوم؟ إننا كثيراً ما نكون منشغلين فى أعمالنا حتى من أجل الرب لدرجة أن لا يكون لدينا وقتاً له. يجب أن نعرف أن عمل أيدينا يكون مقبولاً لديه فقط عندما يكون تعبيراً عن علاقة حب بحيث يفيض الحب عملاً. إن هذه العلاقة لا تنمو وتتغذى وتقوى وتتأسس إلا فى الهيكل. ذلك المكان الذى نهمله عندما تزداد الضغوط والمطالب - حتى المشروع والصالح منها - وتزدحم حياتنا فلا يصبح هناك مكان له.

منذ عدة سنوات كنت أقود حلقة دراسية فى بينانج، ماليزيا عندما جاء بى الله إلى موقف مساءلة متحدياً إياى أن أواجه هذه الأسئلة.

لقد كانت هذه المدينة تدعى «لؤلؤة الشرق» و«مدينة الألف معبد» وقد كانت منذ زمن طويل مركزاً للعبادة الوثنية. ولأن التبشير ممنوع في ماليزيا، لذا كان على أن أحصل على تصريح خاص لكي أتحدث مع بضع مئات من الأشخاص في هذه الحلقة الدراسية. وفي إحدى الليالي الحارة الرطبة قرب نهاية هذا الأسبوع من الخدمة، دعوت الحاضرين للتقدم للصلاة.

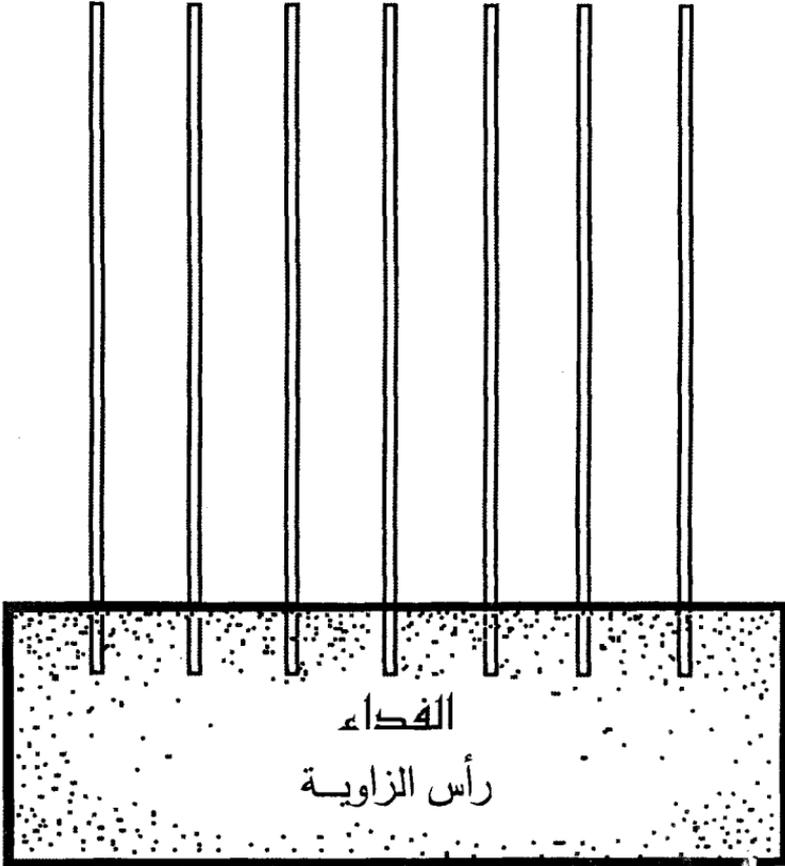
ومن المعروف أن ماليزيا هي مكان التقاء حضارات كثيرة مثل حضارة مالي والهند الصينية وفي هذه الليلة، وقفت أمام هذا الجمع، وكان جمالهم الأخاذ منعكساً على تنوع مظهرهم ولكن جمالهم هذا لم يفعل شيئاً لتهدئة شعوري المؤلم بالفراغ العميق وعندما رأيت سيدة هندية جميلة تبكي، بدأت أصلى من أجلها ولكنني وجدت نفسي خالياً إلا من مشاعر ضحلة لم تمكنني من التوحد بهذه السيدة. التي أفضت إليّ فيما بعد أنها سيدة مطلقة تعاني من ألم ومرارة الانفصال وبالرغم من أني كنت أعرف أن الله يعمل في حياتها كنت لا أزال أشعر بأنني منفصل عنها ويعيد غير قادر على التعاطف معها.

وبعد ذلك عندما عدت لغرفتي الفخمة في الفندق، شعرت أن هناك شيئاً خطأ كان موجوداً بالرغم من أن تلك الليلة كانت قوية. وبالرغم من أني رأيت الروح القدس يطلق الناس أحراراً، لماذا بقيت أنا بارداً وبعيداً؟

عندئذ ركعت بجانب السرير، وطلبت إجابة من الرب، لماذا كنت بعيداً وغير مبالي. لقد كان الوقت يقارب منتصف الليل وكنت متعباً مستهلكاً من خدمة أسبوع كامل، لكنني دفعت نفسي دفعاً للصلاة..

سور الخلاص

عزرا = الصلح



(شكل ٢٤)

وأخيراً سمعت الرب يقول لى «بروس، لقد كنت مشغولاً جداً بعملى، حتى أنك لم تجد وقتاً لى». وفجأة رأيت كيف أن الشهور القليلة الماضية كانت مملوءة بالمواعيد والدراسات والخدمة لدرجة أنى أهملت المذبح والشركة الحميمة مع الله، لقد جعلت من خدمتى صنماً وكننت أتعبد فى محرابه بدلاً من الركوع عند قدمى الرب. لقد رأيت بوضوح كيف أن نعمة الله لم تزل تبارك كلمته من خلالى، ولكن بسبب إهمالى صرت أنا خارجاً أنظر من بعيد كالمترجم.

ویدموع التوبة، اتضعت ووجدت نعمة عند الله لأعود للهيكلى الذى فى قلبى منتظراً حضوره الذى يملأنى بالفرح.

ومنذ ذلك الحين وأنا ألاحظ كيف أن الكثيرين منا لا يطلبون حضور الله باعتباره الاحتياج الملح فى المزامير (مز ٨٤: ٥-١٢) يتكلم داود عن أناس سعداء ومحظوظين بل ويحسد الذين يسكنون فى محضر الرب. لأنهم يختبرون فرحه وراحته وقوته وكذا كل ما يحتاجونه فى خدمتهم. إن إهمال الهيكل أو إقصاء مكان العشرة الحميمة مع الله من مركز حياتنا يجعلنا معرضين لعبادة «آلهة» أخرى ويوقعنا فى الخطأ ويجعلنا نتوه فى متاهة وثنية من الدين المزيف فوجودنا فى محضره هو فقط الطريق إلى أن يعكس وجودنا وجوده هو. وكما كان فى أيام عزرا، نحتاج أولاً أن نعود إلى المذبح للتوبة ثم نهتم بالهيكل ولا نهمله أبداً. ومنذ أيام الكنيسة الأولى، ونحن نستطيع أن نأخذ هاتين الخطوتين وذلك فقط بسبب عمل المسيح الكفارى على الصليب يدعى المسيح، رأس الزاوية فى ١ بط ٢: ٤-٨ وهذا الرأس يجب أن يكون هو المذبح والهيكل فى حياتنا بشكل مستمر.

وحتى نعيد الرب إلى مكانه الصحيح فى حياتنا سوف لا نستطيع

أن نختبر الخلاص الحقيقي ولا نتقدم للأمام خطوة واحدة. ولإجمال ما ذكرنا نرى فى شكل ٢٤ أن الأساس لسور الخلاص هو حجر الفداء.

... لذلك يقول السيد الرب. هأنذا أؤسس فى صهيون حجراً.
حجر امتحان حجر زاوية كريماً أساساً مؤسساً من آمن (من وثق، من اعتمد، من التصق بهذا الحجر) لا يهرب (لا يشعر بالخزى ولا يستسلم ولا يجرى فزعاً) واجعل الحق خيطاً (خيط القياس) والعدل مطماراً (لأكشف عن زيف أعمالكم) فيجرف البرد ملجأ الكذب ويجرف الماء الستارة (المخبأ) (إش ٢٨: ١٦-١٧).

إن هذه الأعداد ترسم صورة عاصفة رعدية، تجرف أمامها ملجأ الكذب وجدران الرفض والتمرد. وبمجرد هدم هذه الأسوار يؤسس سوراً جديداً. بحجر زاوية جديد حجر ممتحن وموثوق به يبنى عليه سور الخلاص ويكون هذا السور مستقيماً وآمناً متفقاً مع البر ومتسقاً مع الزيج الإلهى (المطمار).

فى الفصل التالى سوف نرى كيف يمكننا أن نبنى هذه الأسوار لتكون خلاص لنا.

تعال جانباً

- راجع دور ووظيفة المذبح فى حياتك.
- كيف يمكنك أن تنمو فى الشركة مع الله؟ اكتب خطتك.
- تأمل حجر الأساس لإيمانك... ما هو!؟

الفصل العاشر

(العودة للأب)

الآن قد تم بناء الهيكل في أورشليم، لكن المدينة المقدسة كانت لاتزال محاطة بأسوار منهدمة وأبواب محروقة بالنار. لهذا أقام الله نحميا ليقود المجموعة الثالثة والأخيرة من بنى إسرائيل للعودة من فارس لبناء أسوار المدينة. إن اسم «نحميا» يعنى «المشير والمعزى» وهو يرمز إلى الروح القدس عندما يأتي إلينا ليرشدنا ويقوينا للسير في طرق الله.

كان نحميا في الحياة العامة، ساقياً ومُشيداً وحاكماً أما في الحياة الروحية، فهو يتحدثنا أن نشرب من كأس الرب ونشيد أسوار الخلاص ونعد أنفسنا لكى نحكم ونملك مع يسوع المسيح.

إن سفر عزرا الذى درسناه فى الفصل السابق هو سفر المصالحة، أما سفر نحميا فهو سفر استعادة إسرائيل لميراثها المعطى لها من الله. وكساقٍ للملك الفارسى فى القصر الشتوى فى شوشن، سمع نحميا بعض الأخبار المحزنة عن موطنه: فقد أنهدمت أسوار أورشليم وأصبح الشعب فى حالة دائمة من الخطر والتهديد. وبالرغم من أنه كان بعيداً عن أورشليم إلا أنه كان مهتماً ومغتماً جداً بسبب هذه الأخبار وكان قلبه مملوءاً بالشفقة على شعبه حتى أنه بكى وناح وصلى لمدة أربعة شهور متشفعاً عن شعبه فى هذا الموقف العصيب.

ومن المناسب هنا أن نسأل هذا السؤال، «ماذا يكون رد فعلنا عندما يرسل لنا الرب رسالة عن طريق واحد من رجاله؟» هل نفعل مثل نحميا ونستقبل هذه الرسالة بجدية؟ للأسف، أعتقد أننا كثيراً ما لا نلاحظ أن الله هو المتحدث إلينا، أو ربما - وهذا أسوأ - ننسى ما قاله بعد بضعة أيام وفي سفر نحميا، نقرأ كيف أن نحميا سكب قلبه أمام الله لمدة أربعة شهور متتالية قبل أن يتلقى إجابة منه. وفي عدد ٥ من الأصحاح الأول، نرى كيف أن نحميا عندما جلس أمام الرب، بدأ فى شكره وتسبيحه على حفظه لعهدته وعلى أنه الإله المحب الرحيم لكل حافظى عهده ووصاياه. كيف استطاع نحميا إزاء هذا الدمار الذى كان يعانى منه وطنه أن يتجاوب بمثل هذه الإيجابية بالتسبيح والشكر؟ من الواضح أنه بالتأكيد قد حصل على رؤيا كشفت له عن طبيعة الله وشخصه، حتى أنه فى وسط ذلك الموقف الذى كان يبدو مستحيلًا استطاع أن يسبح الله على أمانته.

معرفة ما هو حقيقى ؟

عندما كان نحميا يسبح الله فى مثل هذا الموقف الصعب لم يكن يمارس نوعاً من إنكار الواقع ولكنه كان يربط هذا الواقع بشخصية الله التى هى واقع فالله أعظم من أى تحدٍ على وجه الأرض. وعندما بدأ فى تسبيح الله وشكره على شخصه وصفاته أدخل نحميا الله، الإله الذى يستطيع كل شىء إلى هذا الموقف الصعب الذى يبدو مستحيلًا.

وكما يخبرنا الكتاب أن الله يسكن وسط تسبيحات شعبه، فإننا عندما نسبح الله، يأتى ويسكن فى وسطنا، وعندما نراه ونلمسه ينتعش

إيماننا، ويتجدد رجاؤنا، وبالتالي نجد أن الموقف الذي كان يبدو مستحيلًا ينكمش إلى حجمه الطبيعي في ضوء حقيقة الله.

وعندما بدأ نحملنا في تسبيح وعبادة الله، ارتفع الإيمان في قلبه أن يرى شعب الله وقد استقام مع الزيج الإلهي واستعاد وعود الله له. عندئذ استطاع نحملنا أن يقول مع أيوب، «بسمع الأذن سمعت عنك والآن رأيتك عيني (الروحانية)» (أيوب ٤٢: ٥). ماذا كان يعنى أيوب؟ لقد سمع أيوب كثيراً عن الله. وعاش في ضوء هذه الحقيقة ولكن عندما سمح الله بأن يجربه، حصل أيوب على كشف واضح لحقيقة نفسه، وتحت التبكي العميق، تاب أيوب في التراب والرماد وهكذا صرخ «الآن رأيتك عيني الروحانية». لقد كان أيوب يقول إنه تقابل مع الله بطريقة جديدة ومثيرة. لقد جاء أيوب للنقطة التي عندها انسكب إعلان الله في قلبه وحياته، وإلى هذه النقطة يريد الله أن يأخذنا كلنا - ولكن هذه النقطة عادة ما تأتي في قلب ظروف صعبة كالتى اختبرها أيوب ونحملنا. وإذا تجاوزنا نحن أيضاً بالتسبيح في وسط برية الظروف الصعبة سوف نحصل أيضاً على الإعلان الذى نريده لاجتياز هذه التجربة.

فى شكل ٢٥، نرى حجر الأساس للفداء حيث المسيح رأس الزاوية كما توجد سبعة أعمدة تقوى سور الخلاص. وكما رأينا من مثال نحملنا، فإن أول هذه الأعمدة السبعة هو عامود الإعلان.

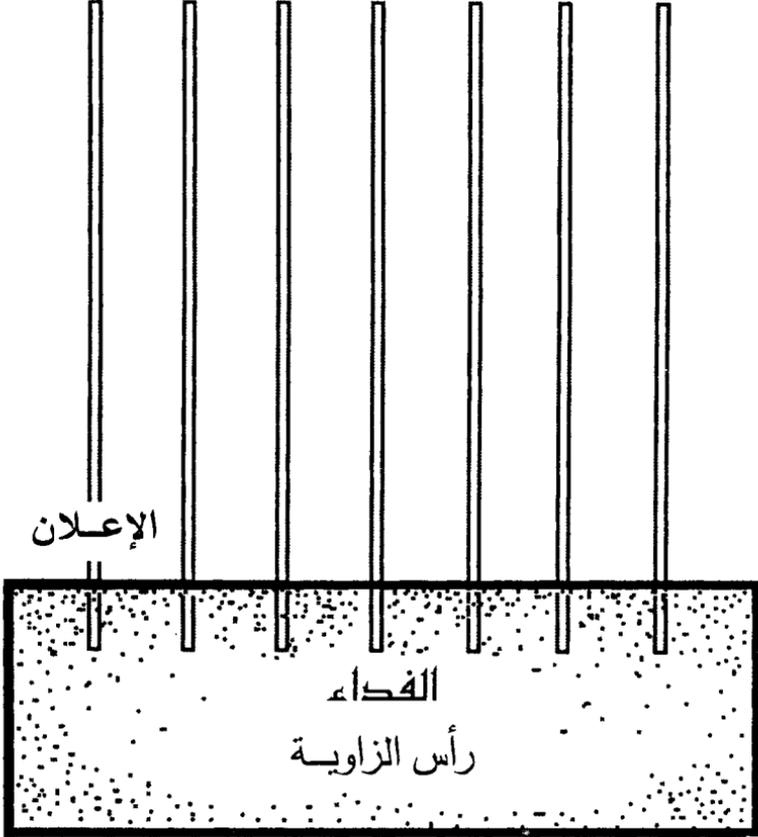
إن الإعلان ليس مجرد معرفة أو فهم أعمق، ولكنه بصيرة تحدث تأثيراً فى القلب وبالتالي تغييراً فى أسلوب الحياة.

ولا يحصل الشخص على الإعلان على أساس مستوى ذكائه ولكن هؤلاء الذين يطيعون كلمة الله هم الذين يتلقون إعلاناته.

سور الخلاص

نحميا = إعادة البناء

عزرا = المصالحة



(شكل ٢٥)

الطفل الصغير الذى يفتح قلبه لله بكل طاعة، قد يحصل على إعلان أعظم من أعظم أساتذة اللاهوت والدين! مزمو ١١٩: ٩٧-١٠٠ يقول إن المطيعين يحصلون على إعلان أعظم من أساتذتهم وشيوخهم وأعدائهم. وفى نفس الوقت يؤدى العصيان إلى الوقوع فريسة للخداع وفقدان الرؤيا.

العلاقة الحميمة مع الآب

فى إنجيل يوحنا (يو ١٤: ١-٦) يتكلم المسيح مع تلاميذه عن رحيله. لقد ظن التلاميذ أنه يخطط للإطاحة بالحكم الرومانى الطاغى وتأسيس مملكته لذا فقد أصيبوا بحيرة شديدة بسبب كلام المسيح عن رحيله القريب. ماذا عن أحلامهم السياسية إذن؟ بعد قليل، كسر توما حاجز الصمت المضطرب وخاطب يسوع بشجاعة قائلاً له عن حقيقة ما يدور فى أذهانهم إذ لم يعرفوا أنه راحل إلا الآن فكيف يعرفون إلى أين هو راحل وكيف يذهبون إليه؟ أما يسوع فقال متحدياً كل أفكارهم المسبقة: «أنا هو الطريق والحق والحياة، ليس أحد يأتى إلى الآب إلا بى» (يو ١٤: ٦).

أما التلاميذ فتعجبوا، ماذا كان يسوع يعنى؟ ثم يقول لهم إنه ذاهب لمكان آخر، لا ليؤسس ملكوتاً أرضياً بل سماوياً مع الآب. لقد كان يسوع يحاول أن يقول للتلاميذ ألا يتوقفوا «فى الطريق» بل يقطعوا كل الطريق إلى وجهتهم، التى هى العلاقة الحميمة مع الآب فالمسيح هو الطريق للآب ذلك الطريق الذى يجب أن نسلكه جميعاً لنعرف الله.

لم يكن الآب يريدنا أن نخلص ثم نظل متروكين كأيتام، بل هو يشناق للعلاقة الحميمة معنا (يو ١٤: ١٨). وهو يريد أن يأتى مع المسيح ويسكن فينا، نحن هيكله الحقيقى ليكون لنا صديقاً وأباً. وهكذا أصبحت المعلومات التى عرفها التلاميذ بأذهانهم، إعلاناً يتحدى كل حياتهم ويصبح جزءاً أساسياً فيها. لماذا يصبح من الصعب علينا جداً أن نتبع يسوع إلى أن نصل للآب؟ لماذا يظل كثيرون منّا يتامى بينما المسيح يشناق أن نشترك معهم فى البنوة للآب؟ وخلال مرات عديدة كنت فيها أقدم المشورة رأيت المخاوف والمعوقات والشكوك وغيرها من القيود تمنعنا من الاستمرار لقبول محبة الآب. وما يلى من الإيضاحات يساعدنا أن نرى لماذا يحدث هذا.

المعوقات

عندما كانت «ليديا» تحضر مدرسة (شباب لهم رؤية) للتلمذة، كانت منتبهة جداً للأسابيع القليلة الأولى وعندما أتحت الفرصة للطلبة أن يشاركوا باختباراتهم أمام الفصل، كانت «ليديا» أول المتحدثين.

«أنا من أسرة تتكون من ثمانية أبناء وبنات» قالت «ليديا» هذا بصوت ضعيف ولكن واضح. وكان الجميع صامتين ولم يخترق السكون إلا صوت زقزقة العصافير على أشجار جوز الهند فى الفناء الخارجى. وأضافت «ليديا» «عندما كنت فى مرحلة المراهقة، أصيبت أمى بالسرطان وكانت حالتها متأخرة» كان على عندئذ أن أترك المدرسة وأبدأ فى إدارة البيت وكنت محبطة جداً بسبب عدم استطاعتي أن أتم دراستى وأتخرج مع زملائى وأصدقائى. ماتت أمى

بعد بضعة شهور وحيث أننى كنت الأخت الكبرى تحملت مسؤولية رعاية الأطفال. لقد صارعت كثيراً لكى أفهم لماذا ترك الله أمى تموت، ولكن فى كل يوم كان أبى يقرأ الكتاب ويصلى معنا كان هذا يعطينى راحة حقيقية».

صمتت «ليديا» لبرهة وألقت نظرة على الجالسين وأكملت: «فى إحدى الأمسيات جاء أبى إلى ودعانى إلى غرفته» سكنت «ليديا» ثم أكملت فى تردد ملحوظ: «لقد أخبرنى أن مسؤولياتى الجديدة تتضمن أن أحل محل أمى كرفيقة فراشه» عندئذ سرت موجة من الصدمة فى كل الحاضرين ومدت «ليديا» يدها لتمسح الدموع من عينيها وأضافت أن علاقة محرمة عندئذ بدأت بينها وبين والدها؟ وعندما حبلت نتيجة لهذا، قال لها والدها أن المولود سوف يصبح أخاً أو أختاً جديداً فى الأسرة.

وفى شهور الحمل الأخيرة، تحدثت «ليديا» مع أختها الصغرى واكتشفت انها أيضاً قد أصبحت على علاقة جنسية مع أبيهما. لقد كانت الفتاتان تريدان أن تثقا بوالدهما، لكنهما صارعتا إحساساً عميقاً بالذنب. وكلما كانتا تتحدثان أكثر شعرنا بمزيد من الذنب. لقد ظلل العار والخجل كل شهور الحمل التسعة ولم يترك مكاناً لأى فرح بسبب الأمومة المنتظرة.

أكملت «ليديا» قائلة: «لقد بدأت أكره أبى. كنت أصعد وأهبط فى علاقة متأرجحة معه من الحب والكراهية. وبدأت تنمو داخلى رغبة أن أنسى كل الضغوط المتصارعة داخلى والتي تسبب لى الحيرة والاكْتئاب». وقالت «ليديا» إن والدها أيضاً شعر بالصراع الدائر داخلها لذا حاول تخويفها بالتهديدات اللفظية وكذا رشوتها. وكانت راحتها

الوحيدة تكمن فى حبها العميق لطفلها الوليد «چوى»، الذى كان يقال له وهو يكبر تدريجياً إنه أخ أصغر لهم. وأخيراً جاء اليوم الذى لم تستطع فيه «ليديا» أن تتحمل المزيد.

فجمعت بعض حاجيات ضرورية وأخذت بعض النقود التى كانت توفرها لهذا الغرض وكانت تصارع بين الإحساس بذنب الرحيل وبفضاعة البقاء ليوم آخر، وكانت الأسئلة تجرى بسرعة فى ذهنها.

لقد عانت أسرتها حزناً عميقاً عندما ماتت أمهم والآن ترحل «الأم» الوحيدة الأخرى التى عرفوها وتختفى فجأة من حياتهم آخذة معها «الأخ» الأصغر.

كيف أفعل ذلك؟ وفى نفس الوقت كيف لا أفعل ذلك؟ بكت «ليديا» أمامنا إذ شعرت بالألم مرة أخرى. وأجهشت ببيكاء هز جسدها النحيل وهى تحكى كيف أخذت طفلها الرضيع وتسللت من البيت وتركت الجيرة المألوفة وعشرة العمر كله.

وسافرت لمكان آخر بعيد لتسكن مع صديقة قديمة من المدرسة وحصلت على وظيفة ثم استأجرت شقة صغيرة لها ولطفلها. عندئذ كتبت خطاباً لوالدها تشرح له فيه لماذا رحلت وأنها هى «وأخوها» فى أحسن حال. وأكملت «ليديا» تشارك كيف أنها جاءت لهذه المدرسة، وهى لا تزال تشعر بذنب عميق لا يتوقف وعار وخوف أن يعرف أحد بماضيها ويرفضها هى و«چوى»، الذى أصبح الآن فى بداية سن المراهقة.

لم تستطع «ليديا» أن تنفض عن نفسها إحساساً دفيناً بالنجاسة ولا تزال تصارع أحاسيس الكراهية تجاه نفسها وتجاه والدها.

وعندما استمعت لقصتها، صدمتني قدرة النفس الإنسانية على الحياة وتحمل مصائب كهذه. لقد أعادت هذه القصة أيضاً إلى ذهني أهمية الدور الوالدي في الحياة البريئة للأطفال الصغار الذين يبدو أن لا خيار أمامهم إلا أن يصارعوا مرارة الحصرم الذي يأكله أبائهم وما لم نعرفه جميعاً أنه بينما كانت ليديا تشارك كان «جوى» حاضراً حيث تعطل الأتوبيس الذي كان يقله إلى المدرسة وكان «جوى» في المؤخرة متعجباً مما تعمله «أخته». وزادت دهشته عندما رآها تتقدم الصفوف وتصد على المنبر لتشارك وظل «جوى» مختبئاً يستمع خلف الأعمدة المزخرفة المحيطة بالخيمة التي يعقد فيها الفصل.

ولم يكن «جوى» يدرى أن اللحظات التالية سوف تكون أعنف اللحظات في حياته كلها إذ استمع للقصة الكاملة لأول مرة في حياته. وبينما كان «جوى» يستمع «لأخته» تشارك انهمرت دموع الحزن والارتياح من عينيه حيث فهم أخيراً الغموض الذي كان يحيط بالسنين الأولى من حياته.

وعندما أكملت أمه المشاركة، لم يستطع «جوى» تمالك نفسه أكثر من ذلك وهرع إلى المنبر وألقى بنفسه في أحضان أمه المذهولة من المفاجأة، واحتضن «جوى» أمه بكل قوة وانخرط الاثنان في البكاء. واخترقت أصوات النشيج الهادئ الصمت المطبق في المكان حيث انهمرت دموع على أوجه كثيرة. وأخيراً التفت «جوى» نحو أمه، وهو لا يزال يبكي، «لقد كنت دائماً أشعر أن هناك شيئاً خاصاً بيني وبينك، والآن أعرف لماذا! إنني أحبك يا ماما!

قلب الأب الكسير

وبينما كانا يحتضنان بعضهما البعض، كان يبدو وكأن الله نفسه يحتضنهم بين ذراعيه الأبوية الحنونة. ثم شعر واحد من فريق التدريس فى المدرسة أن الله يريد أن يعطيهم رسالة. وقال إن الله يبكى معهم فى حزن عميق بسبب صورة أبوته التى تشوهت أمام أعينهم والألم العميق الذى سببته لهم ومضى هذا الرجل يقول إن محبة الله طاهرة ونقية وهو لن يخذلهم أبداً. لقد شعرنا كلنا وقتها أننا نقف على أرض مقدسة إذ رأينا الله الآب يعيد إظهار أبوته للأُم وابنها ويقودهم لاختبار حقيقة شخصيته وجمال حبه عندئذ تلقى ليديا إعلاناً جديداً عن الآب وهذا الإعلان غير حياتها حتى أنها بعد ذلك اتجهت لتكون لها خدمة قوية بين ضحايا العلاقات الجنسية الغير شريفة. حتى أنها بدأت تشارك قصتها فى التليفزيون والراديو وتخبر كيف أن يسوع أحضرها للآب وشفأها إذ شفى صورة الأب المكسورة داخلها من خلال حبه الأبوى ثم تزوجت «ليديا» بعد ذلك من شخص مسيحي تقى.

وكما اختبر الكثيرون منا، لقد تشوهت صورة الأب عند «ليديا» بشكل كبير بسبب الشهوة وبالتالى وصلتها صورة مشوهة عن الله الآب الذى هو أكثر شخص يساء فهمه، وتلقى عليه الاتهامات الباطلة وتلقى حوله الأكاذيب وينسب إليه الباطل وهذه خطة شريرة يضعها الشيطان نفسه. إن الآباء الأرضيين يمثلون صورة الله الآب أمام أطفالهم إلا أنهم يفعلون كل شىء سىء بدءاً من إهمالهم لأولادهم حتى ضربهم حتى الموت! لذا فلا عجب إن أصبحت الأبوة موضع تساؤل وخلاف شديد وسمعة سيئة.

فى الفصول السابقة ناقشنا عجز المحبة الذى يتولد فى حياتنا

بسبب الزيج البشرى الزائف. والمسيح يأتي بنا إلى الآب فيسد هذا العجز بل ويعطينا ضماناً يمكننا من اختبار الشعور بالأمان في ظلال حبه دون البحث عن الحب في الآخرين. إذا ظلت صورة الله الآب مشوهة بسبب سلبياتنا نحن والاختبارات المؤلمة التي نتعرض لها سوف يزداد عجز المحبة ويزداد الشرخ عمقاً في حياتنا.

الصور المشوهة

إن احتياجنا لأن نعرف الشخصية الحقيقية للآب كان ظاهراً جداً أمامي عندما جاءت إلى «مولى»، هذه السيدة الشابة المتزوجة من شخص مسيحي مكرس وبالرغم من ذلك قررت أن تنفصل عنه لفترة بسبب الصراعات التي كانت موجودة في حياتهما الزوجية. قالت «مولى» إنها عندما كانت في الثامنة من عمرها انفصل والداها وذهبت لتعيش مع والدها. وفي أحد الأيام قالت لوالدها إنها تريد أن تذهب لتعيش مع أمها لفترة ولكن لأن صحته قد أصبحت عليلاً جداً قال لها ألا تذهب إلا سيموت. وعاشت «مولى» ممزقة بين رغبتها في الذهاب وخوفها على والدها لذا أجلت الذهاب. وأخيراً وبعد مدة طويلة قررت الذهاب ولكن للأسف، توفي والدها وهي بعيدة عنه لذا فقد غمرها الألم والشعور بالذنب والاكئاب الشديد حتى أنها شعرت أن والدها توفي بسبب أنها عارضته وذهبت عكس إرادته.

الثقة بالآب

ولمدة سنين بعد ذلك كانت صورة الله الآب في ذهن «مولى» هي

صورة هذا الوالد فبدلاً من الثقة والمحبة كانت مشاعرهما تجاه الله الآب هي فقط مشاعر الخوف وعدم الثقة.

أما الآن فبالرغم من أنها تردد كل الكلام المسيحي الصحيح إلا أن هذا الكلام نابع من عقلها وليس من قلبها. تخبرنا أمثال ٧: ٢٣ أنه كما نفكر في قلوبنا هكذا نحن. إن الله يجيء بالزيغ على قلوبنا وليس على عقولنا لأن القلب هو الذي يحدد أسلوب حياتنا وكيف نسلك في الحياة.

وعندما انتهت «مولي» من حديثها، كنت أستطيع أن أرى مساحات كبيرة من عدم الثقة أثرت بشدة على علاقتها بزوجها. وعندما انتظرنا الرب معاً، عدنا للوراء لنرى كيف أن أباهما كان يستخدم حبها له بشكل غير سليم. ويلطف، وتكلم الله إلى قلبها وأظهر لها كيف أنها عاشت حياة من عدم الثقة وأنها تحتاج أن تتحمل مسئوليتها عن ردود أفعالها واتجاهات قلبها بأن تغفر لوالدها ولنفسها وفعلت «مولي» ه١، تائبة بدموع ومد الله يده إلى أعماق كيانه وشفى الجرح العميق في ورحها.

ما الذي حدث بالفعل في قلب هذه السيدة الشابة؟ لقد عرفت المسيح والروح القدس أما الآب فرأته من خلال نظرة مشوهة بسبب أبوها الأرضي. وفي ذلك اليوم صلينا، وأطلق الله «مولي» من مخاوفها وشكها وبدأت الاكتشاف المثير لمن هو الله الآب بالفعل والآن استردت «مولي» كل شيء في حياتها حتى زواجها.

إننا جميعاً مثل «ليديا» و«مولي»، لدينا صور مختلفة عن الأب ندخل بها حياتنا المسيحية ربما ماتت أمنا بالسرطان عندما كنا أطفالاً أو تم طلاق والدينا وعشنا في منزل أحد الأقارب، ربما عشنا سنوات حياتنا الأولى مع أب مدمن للخمر أو أب مدمن للعمل والإنجاز كان يضع لنا

دائماً مقاييس للأداء لم نصل إليها أبداً ولم يحاول أبداً أن يقيم معنا العلاقة التي كنا في أمس الحاجة إليها.

في كل هذه المجالات وغيرها ما هي الصورة التي تتكون لدينا عن الله الآب؟ ما هو الزيج الذي يصبح في حياتنا عندئذ؟ إنني عندما أقدم مشورة لأشخاص كثيرين أجد أن الزيج الذي يتبعونه مختلف تماماً عن الزيج الإلهي فيما يتعلق بشخص الله وطبيعته.

احتياجنا العميق

لقد كانت صورة الله عندي هي صورة شخص لا يمكن أبداً أن يقبلني ويشجعني وهي صورة بعيدة تماماً عن الزيج الإلهي. وبسبب اختبارات حياتي، صدقت أكاذيب الأنبياء الكذبة وذلك حتى لمس الله حياتي بعمق وقوة وسمح لي أن أعرف الله الآب الحقيقي وعندئذ فقط بدأت لأول مرة أعرف الشعور بالأمان والراحة. إننا كلنا نحتاج لإعلان عن شخصية وطبيعة الله. إننا نعرف كثيراً في عقولنا والكثير قد كتب عن الله - ولكن هل نعرفه في قلوبنا؟ لأي مدى هو حقيقي؟ وهل لدينا بالفعل علاقة حب عميقة معه تكون هي أعلى شيء في حياتنا؟

إن يسوع هو الطريق لمعرفة الآب وكلما سمحنا له بأن يقودنا، أصبح الآب حقيقة في قلوبنا وحياتنا. فكما أن نحما احتاج لمثل هذا الإعلان حتى يمكنه من إتمام المهمة التي أعطاها له الله كذلك فإن كل واحد منا أيضاً يحتاج لإعلان خاص حتى يتمكن من إتمام مشيئة الله وقصده في حياته. إننا لكي نرى سور الخلاص مبنياً ومرتفعاً في حياتنا علينا أن نمضي قدماً لنعرف الله الآب.

إن أبانا السماوى يحزن بشدة من الأحداث التى تشوه صورته الأبوية . لقد وضع الله أن تنعكس صورته بشكل كامل ونقى من خلال الأجيال المتعاقبة من الأسر والأمم والشعوب ولكن إبليس من خلال طرقه الخبيثة الخداعة وكذبه المضلل قد أغوى قلوب الكثيرين من أبناء الله ليجعلهم يأخذون موقف العدا من أبيهم السماوى فالكثيرين من الناس يعلنون بصراحة عدم ثقتهم وعدم إيمانهم بل وكراهيتهم واستيائهم من الله بل وحتى ينكرون وجوده ذاته .

ولكن المسيح يظل هو الطريق الثابت والحق الصريح والحياة الحقيقية المؤدية لله الآب . وعندما نضع أيدينا فى يده ونسمح له بأن يقودنا للعودة للشركة مع الآب المحب فإن مخاوفنا تبدأ فى الذوبان أمام حرارة محبته .

يعكس مزمور ١٣٩ الطبيعة الحقيقية لله الآب . وفيما يلى بعض من الأوجه الجميلة لطبيعة الله الآب العادل فى كل طرقه والمحب فى كل أفعاله .

والكتاب فى هذا المزمور يظهر الله بهذه الصفات :

كُلَّى الدُّرَّة ١٣٩: ١-٤

كُلَّى الحُضُور ١٣٩: ٥

كُلَّى العِلْم ١٣٩: ١٣-١٤

كُلَّى المَحَبَّة ١٣٩: ١٥-١٨

وعندما نقف أمام طبيعة الله، لا نملك إلا أن نقف مندهشين من كل ما يجمعه الله في شخصيته الفريدة. وإننا إذا استطعنا أن نقرب منه ونختلس النظر إلى جدولته اليومية سوف يصيبنا الدهول مما سنراه! وإذا استطعنا أن نفحص هذا الجدول اليومي بدقة سوف تصيبنا الرهبة إذ نكتشف أنه يعلم إحصاء حتى شعور رؤوسنا ولكنك قد تتساءل، لماذا يهتم شخص له مثل هذه القدرة ويتدخل في أدق تفاصيل حياتي؟ إنني شخصياً لا أجد في عقلي سوى سبب واحد - وهو انه يحبني محبة شديدة وعميقة حتى أنه لا يهمل أى من تفاصيل حياتي.

إن الله يريدنا أن نراه ونعرفه كما هو بالحقيقة وهو يريد أن يعطينا هذا الإعلان الحقيقي ربما أكثر مما نحن مستعدون لتقبله. إن قلبه يتألم من قسوة خطايا الآباء والأمهات واشتياقه الأعظم هو أن يمتص أبناءه ويعلم لهم حقيقة شخصيته.

إن الإعلان يجب أن يتبع بخطوة أخرى، فبدون الوجه التالي من سور الخلاص يمكن لهذا الإعلان أن يكون عقبة وفاقاً للكبرياء.

في الفصل التالي، سوف نرى ما هو أعظم مفتاح لتغيير أسلوب حياة الإنسان ونحن نستكمل دراستنا عن إعادة بناء أسوار الخلاص.

تعال جانباً

- صف صورة الله الآب التي تكونت لديك وأنت طفل صغير.
- صف صورة الله الآب التي لديك الآن.
- راجع الأوقات التي تعتقد أنها أهم المرات التي أعلن لك الله فيها عن أبوته في حياتك.

الفصل الحادى عشر

مقياس الله

لقد قال د. ل. مودى ذات مرة: إن أفضل طريقة لإثبات اعوجاج عصا ليست هى رفضها أو الجدل بشأنها وإنما وضع عصا مستقيمة بجانبها. وفى هذا الفصل سترى وجهاً آخر من أوجه المقياس الإلهى - عصاه المستقيمة التى تمثل محبة المسيح التى لا تزول وكل ما تشتمل عليه هذه المحبة الأبوية.

«توبوا لأنه قد اقترب ملكوت الله» (مت ٣: ٢) ترددت هذه الكلمات بقوة ووضوح كأنها تيار كهربائى قوى سرى فى الجموع التى أتت من كل صوب وجذب إلى البرية. لقد كانت هذه الشخصية الصارمة المتقشفة لرجل لم يكن يرتدى سوى مسح من شعر الجمال كفيلة بهز كيان كل السامعين فهو لم يصطنع الكلام ولم يغلفه بطريقة جذابة بل واجه الجموع بالحقيقة العارية متحدياً الجميع أن يعودوا لمقياس الله المستقيم حتى تستقيم حياتهم. وقبل ذلك بمئات السنين تبنى نحميا مقياس الله ليواجه به الأخبار المؤلمة عن خراب أمته.

فبعد الصوم والصلاة، حصل نحميا على إعلان من الله وتاب قائلاً: «لتكن أذنك مصغية وعيناك مفتوحتين لتسمع صلاة عبدك الذى يصلى إليك الآن نهاراً وليلاً لأجل بنى إسرائيل عبيدك ويعترف بخطايا بنى إسرائيل التى أخطأنا بها إليك فأنا وبيت أبى قد أخطأنا» (نح ١: ٦).

لكى نبينى سور الخلاص المشار إليه فى إشعياء ٦٠: ١٨، رأينا أن هناك أعمدة من الصلب لتسليح هذا السور وهذه الأعمدة يجب أن توضع أولاً وتثبت على حجر الزاوية لتجعله سوراً قوياً وثابتاً متحدياً الزمن.

فى الفصل السابق رأينا العامود الأول وهو الإعلان أما الآن فسندرس العامود الثانى وهو التوبة.

وفى عملية التوبة هذه، اعترف نحميا بخطايا أجداده الذين ذهبوا للسبب بسبب خطاياهم، وبالمثل، نحتاج نحن أيضاً أن نسأل من هم أجدادنا، وهذا لا يعنى المعنى الحرفى فقط، فكل رموز السلطة التى تعرضنا لها فى حياتنا، وأثرت فىنا، تعدّ من هؤلاء الأجداد. وقد تتساءل، هل كانت هناك فائدة من توبة نحميا عن خطايا أسلافه بالإضافة إلى خطايه، حيث أن معظم هؤلاء الجدود الأولين كانوا قد ماتوا منذ زمن والحقيقة هى أن نحميا عندما انتظر الرب لم يحصل فقط على إعلان عن الله الأب بل أيضاً على إعلان عن خطايه وخطايا آباؤه.

لم يجلس نحميا على كرسى القضاء ولم يمارس لعبة «إلقاء اللوم» ولكنه اعترف أن خطايا آباؤه قد أثرت فى الأبناء وأبناء الأبناء (عدد ١٤: ١٨). لقد رأى أن الآباء والأجداد أكلوا الحصرم وأسنان الأبناء ضرست. فماذا عساه يفعل؟ لقد تحمل نحميا المسئولية، ليس فقط عن خطايه بل عن خطايا كل الشعب الذى كان يتشفع عنه أمام الله. وفى عمله هذا، كان نحميا يمثل ما سوف يفعله المسيح على الصليب حاملاً خطايانا حتى يطلقنا أحراراً. وإذا اتبعنا نحن أيضاً هذه المبادئ الكتابية، فإننا نستطيع عندئذ أن نغير لا حياتنا فقط بل حياة الأجيال القادمة.

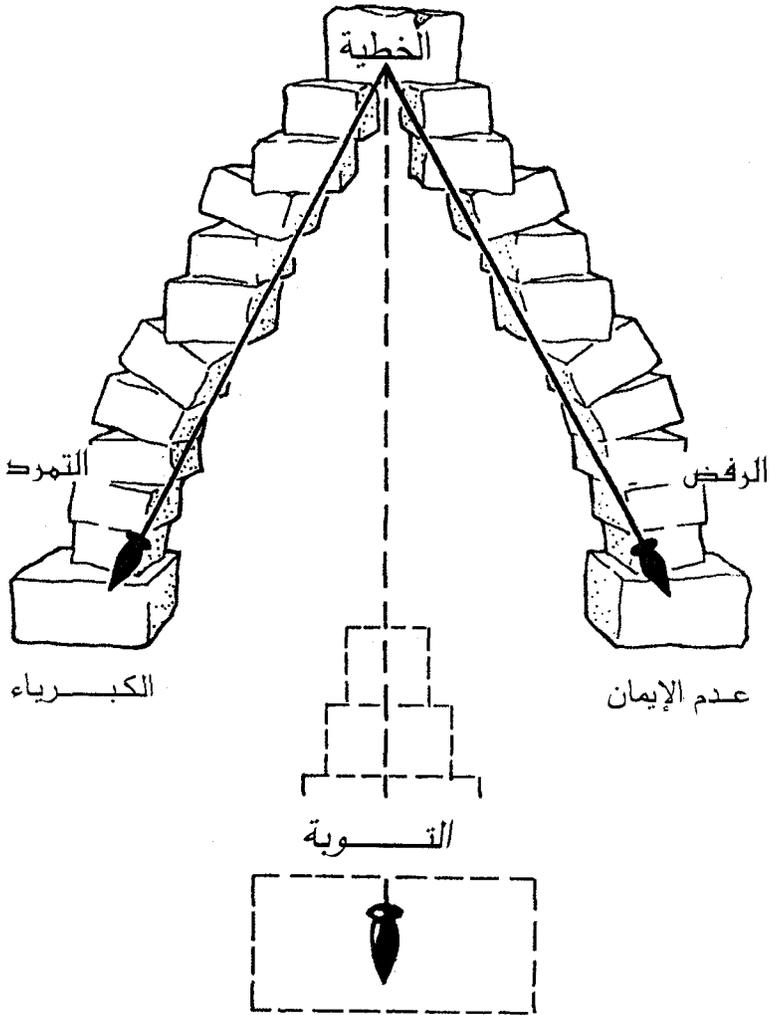
فلو كان أجداد نحميا قد تجاوزوا مع الله بالتوبة، لما كانوا قد سبوا وما كانت الأجيال التالية قد ولدت في السبي وعاشت سجيئة لسنين طويلة. فبالتوبة فقط يمكن أن يحدث التغيير في حياتنا والتوبة تعني تغيير المسار كاملاً واستبدال أسلوب الحياة بأسلوب آخر جديد.

والتوبة الحقيقية تُعرَّف بأنها قرار داخلي صارم أو تغيير شامل للذهن وفي العهد الجديد الكلمة اليونانية التي ترجمت «التوبة» تعني حرفياً «تغيير الذهن والرأى»^(x). فالتوبة قرار وليس شعور أما في العهد القديم فالكلمة العبرية التي تترجم عادة «توبة» تعني حرفياً «تغيير الاتجاه» أو «العودة في الطريق المخالف» وهكذا نرى أنه بينما يؤكد العهد الجديد على الطبيعة الداخلية (الفكرية) لقرار التوبة الحقيقية، يؤكد العهد القديم على المظهر الخارجي (السلوكي) الذي يعكس هذا التغيير الداخلي لذا فالتوبة، هي تغيير داخلي للذهن ينتج عنه تحوُّل خارجي للسير في طريق مختلف تماماً.

والشكل ٢٦ يوضح علاقة التوبة بجدران الرفض والتمرد. فكما رأينا من قبل أننا نبني هذه الجدران محاولين أن نحمي أنفسنا من الهجمات المختلفة على حياتنا. ولكن عندما نتوب عن الخطية، فإن الجدران تقع ونستطيع عندئذ أن نبني أسوار الخلاص وفقاً للزيج الإلهي.

كيف يرتبط الرفض بالخطية في حياتنا الماضية؟ إننا غير مسئولين عن رفض الآخرين لنا عندما كنا أطفال ولكننا إذا قبلنا تلك «البرمجة» السلبية وأكملنا حياتنا في نفس هذا الإطار فعندئذ نصبح

(x) W. E Vine, The Expanded Vines Expository Dictionary of New Testament Words (Minneapolis: Bethany House Publications, 1984). PP. 251-252.



(شكل ٢٦)

مسئولين وهكذا تصبح معركة الانتقال من عدم الإيمان إلى الإيمان معركة بين الحق الإلهي والفكرة السلبية التي قبلناها في مراحل مبكرة من حياتنا.

تحديد القيمة

ولتوضيح هذه الفكرة، دعنا نسأل: ما هي قيمة ساعة يد مثلاً؟ إن قيمتها تقدّر بحسب الثمن الذي دفعناه فيها وهذا ما نفعله مع كل الأشياء. ولكن ماذا عن قيمة الحياة؟ وبالتحديد دعني أسألك هذا السؤال: ما هي قيمة حياتك أنت؟

عندما سألت هذا السؤال في حلقة درس طبية في سويسرا أجاب أحد الأطباء قائلاً: «أنا أساوى ٢٠ فرنك سويسرى بالإضافة لقيمة حشو أسناني الذهبى». ومضى يشرح أنه بحسب الأبحاث هذا هو كل ما يساويه جسم الإنسان! وضحكنا جميعاً. ثم قام طبيب آخر وقال «لا بل نحن نساوى ٢ مليون فرنك سويسرى لأننا نحن السويسريون نعمل كثيراً».

لقد حسب د. هارولد. ج. موروفيتز، وهو أستاذ في الفيزياء الحيوية، متوسط قيمة جرام واحد من الإنسان ووجد أنه يساوى ستة ملايين دولار (٦٠٠٠٠١٥,٤٤) ليصبح رجلاً بستة ملايين دولار! وحتى بعد هذا البحث عن الإنسان عامة، اختتم د. موروفيتز قائلاً: «كيف إذن يمكننا أن نجمع الخلايا إلى أنسجة والأنسجة إلى أعضاء والأعضاء إلى أشخاص؟».

وهكذا اختلفت لغة الأرقام والدولارات والسننات! إن لغة الأرقام

تواجه بعنف الحقيقة. إن كل إنسان منا هو أعلى من أى ثمن. وهكذا انتقلنا من هذه الحسبة الرخيصة للمواد إلى ذلك الاستنتاج الفلسفى الهائل - وهو أن كل إنسان له قيمة غير محدودة. لقد وصل كاتب المزامير لتلك الحقيقة عندما تأمل فى نفسه وقال «إنى قد امتزت عجباً» (مز ١٣٩: ١٤).

وعندما نتأمل بأمانة فى قيمة حياتنا، نحتاج لأن ننظر للثمن الذى دفع فينا ومن الذى دفعه. يقول الكتاب المقدس إننا لسنا لأنفسنا، بل قد اشترينا بثمن (١ كو ٦: ١٩، ٢٠)! ولا تزال التقاويم المعلقة فى بيوتنا تقول إن المسيح مات منذ حوالى ألفى سنة، واضعاً حياته لكى يشترينا بدمه، منقذاً إيانا من الخطية والموت. ولا توجد عملة إنسانية يمكنها أن تقدر ما دفعه. فالكتاب يقول: «ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه» (يو ١٥: ١٣) وبالتالى، يجب على كل واحد منا أن يتمسك بهذه الحقيقة وهى:

أن قيمتنا لا تقدر بثمن

رؤية قيمتنا

«لا يقدر أحد أبداً أن يفدى أخاه أو يقدم لله كفارة عنه. لأن فدية النفوس باهظة يتعذر دفعها مدى الحياة» (كتاب الحياة مز ٤٩: ٧، ٨).

إن الله يقول لنا بوضوح أن كل ثروة العالم لا يمكن أن تشتري إنساناً واحداً ولا يستطيع ذلك إلا دم يسوع المسيح وحده إن قيمتنا فى نظر الله هى أكبر من كل كنوز العالم. وعندما نقول إن لا قيمة لنا، أو أننا أدنياء بلا ثمن ولا تقدير فإننا لا نتكلم من وجهة نظر الله.

وعندما سألت بعض الطلبة إذا ما كانوا يشعرون بعدم القيمة، وجدت عند قليلين منهم اتجاهًا مشجعاً. وعندما سألتهم عما إذا كانوا قد فكروا في نفوسهم في يوم من الأيام أنهم بلا قيمة، أجابه قليلون جداً منهم بالنفى. ما الذى نستنتجه من ذلك؟ إن عدم الإيمان الساكن فى القلب يلغى نظرة الله الإيجابية لحقيقتنا وقيمتنا. إن عدم الإيمان أو الإيمان المغلوط هو أهم خطية فى إطار زيج الرفض.

ويجد الكثيرون منا أن الأسهل أن نتفق مع البرمجة التى يقوم بها الآباء والمجتمع والمشاعر المغروسة فيها والتى تقوى من هذه الأفكار عن أن نقبل حقيقة محبة الله لنا. وبتصديقنا لهذه الأكاذيب، نتورط فى خطية عدم الإيمان. حتى أن عدم الإيمان الخفى الذى يسكن قلوبنا ينفى داخلنا كل ما نسمعه من الله عن قيمتنا التى لا تقدر بمال ويجعل من محبته لنا مجرد نظرية بعيدة عن الواقع وعن قلوبنا. وبالانغماس فى عدم الإيمان ننحصر فى زيجنا البشرى القديم ونفشل فى قبول الزيج الإلهى.

إن النجاح أو الإنجاز لا يحدد أبداً قيمة الإنسان ولا مستوى الأداء ولا حتى عدد الأشخاص الذين يحبوننا ويحترمونا وإنما تكمن قيمتنا بالكامل فقط فى إعلان الله: «هكذا أحب الله العالم ...» (يو ٣: ١٦) وهذه حقيقة لا تتغير.

خطية عدم الإيمان

لقد بدأ عدم الإيمان أولاً فى جنة عدن عندما وجد الشيطان طريقه لخداع حواء ودفعها للشك فى الله. ولا يزال إبليس يمارس خداعه هذا

حتى اليوم وبظل عدم الإيمان هو الخطية الرئيسية أو حجر الزاوية الذى تبنى فوقه الحجارة التى تكوّن فى النهاية جدار الرفض وكلاً من شخصيتى «المسيحى المُدْعِن» و«المسيحى السلبى» التى درسناها والتى لها أساس من عدم الإيمان.

وقد كانت خطية عدم الإيمان خطيرة فى نظر الله حتى أن جيلاً كاملاً من بنى إسرائيل قد رفض وحرّم من دخول أرض الموعد ميراثهم وذلك بسبب عدم الإيمان (عب ٣: ١٦-١٩) ولم يتجاسر سوى يشوع وكالب أن يؤمّنا، بينما شك الآخرون فى قدرة الله وإحسانه فماتوا فى البرية.

واليوم، يفشل الكثيرون فى قبول ميراثهم الروحى لنفس السبب - عدم الإيمان فالحياة بالنسبة لهم هى تجوال بلا هدف فى برية الحياة يعذبهم الشك والإحباط ورفض النفس وحتى كراهيتها. وإذا يفشلون فى تحقيق أهدافهم وأحلام صباهم، ورجباتهم، يضلون الطريق فى برية الشك والأحزان.

خطية التمرد

عندما يصبح زيغ التمرد هو النقطة المرجعية فى حياة الإنسان، فإنه عندئذ يبنى جدار التمرد حيث تكون الكبرياء هى حجر الزاوية والشخصية التنافسية والانتقادية تتمركز حول فكرة تعظم المعيشة التى تُعرّف بأنها عدم استعدادنا لأن نعرّف على حقيقتنا، ورجبتنا الدائمة فى أن نعطى للآخرين صورة غير حقيقية عنا. إن الله يقاوم الكبرياء (١بط ٥: ٥) وهو فى النهاية سيضع حداً لها (إش ٢: ١٢).

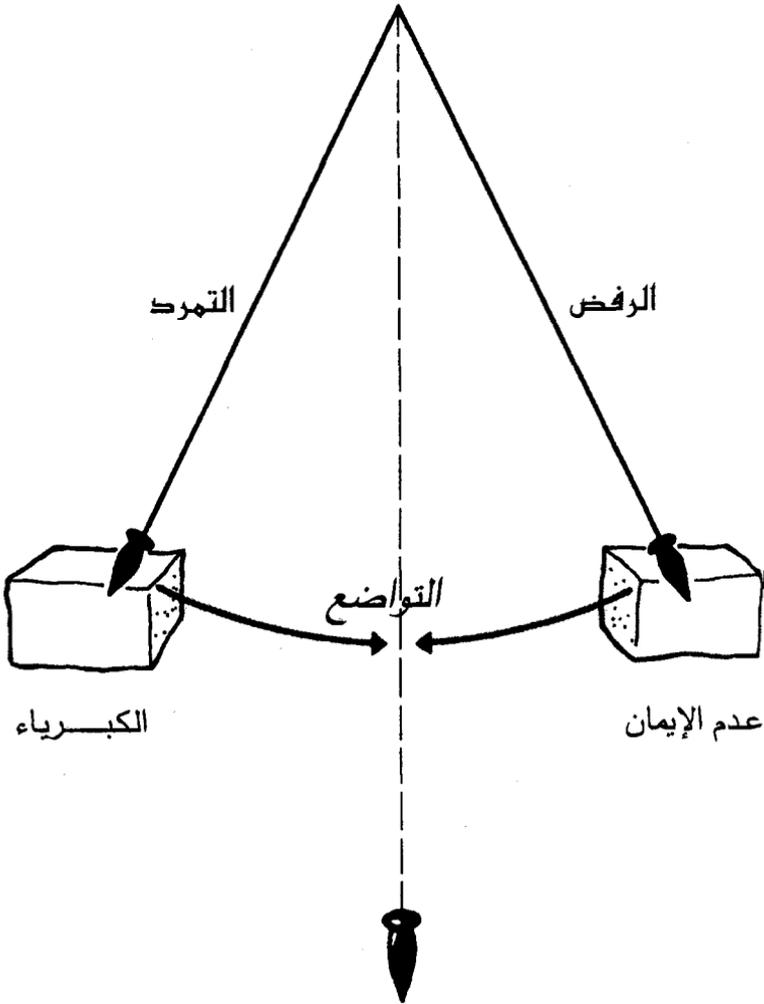
يشعر البعض أن الله ليس فقط ضدهم بل يقاومهم أيضاً بينما الحقيقة هي أن الله يقاوم الكبرياء التي لا يودون التخلي عنها.

ولنأخذ شخصية «چاك» مثلاً لذلك، فبعد أن صار مسيحياً مؤمناً وسلم عمله لله، اختبر «چاك» أزمة تلو الأخرى فتدهورت علاقاته الأسرية حيث نشأت تصدعات خطيرة في علاقته بزوجته وفي النهاية صارت حياة «چاك» من سيء لأسوأ عندما أدت نكسة كبيرة إلى خسارته لعمله الخاص وأسرته معاً. وبدأ «چاك» يرى أن الله كان يتعامل مع الكبرياء الذي كان في حياته على مستويات مختلفة. وعندما بدأ يتعاون مع الله ويتعامل مع كبريائه بدأت ظروف «چاك» تتغير للأفضل. فسرعان ما وجد منظوراً جديداً للحياة. إن الذي اكتشفه «چاك» هو أمر رئيسي في مسيرنا مع الله. لقد أدار المفتاح الكفيل بأن يحرره من الزيج الإنساني المزيف وذلك بأن بدأ في أن يضع نفسه أمام الله. ولكي تميز ما إذا كانت الكبرياء تلوث حياتك أنت أيضاً أسأل نفسك الأسئلة التالية:

عندما يتولى شخص منصباً كنت تتمناه أو لو كانت مواهب شخص وإنجازاته تغطي على مواهبك وإنجازاتك - كيف يكون رد فعلك؟ هل تشعر بالغيرة؟ الغضب؟

في لحظات فحص النفس الأمينة، نقول أشياء كثيرة عن أنفسنا. كيف يكون رد فعلك إذا قال لك شخص آخر هذه الأمور نفسها عنك؟

عندما ينقدك الآخرون، هل يثير هذا عنفك وسخطك؟ هل تبرر لنفسك أن تنتقد نفس الشخص الذي انتقدك؟



(شكل ٢٧)

إذا رأيت في حياتك مناطق بنيتها على حجر الكبرياء فإنك - مثل «چاك» - تحتاج أن تدير مفتاح التواضع الذى يعرف بأنه الاستعداد لأن نُعرَفَ كما نحن بالحقيقة بغض النظر عن النتائج. والتواضع هو المفتاح الذى يفتح الباب لنعمة الله أن تعمل بحرية فى حياتنا وبينما نحن نسير بشفافية نحو الحق والنور اللذين يحرراننا، فإننا نكتشف قيمة التواضع فى حياتنا.

فهم التواضع

إن التواضع هو أيضاً من صفات المحبة. فإذا قلنا إننا نحب الله ولا نحب أخونا أو أختنا فكيف إذن «تثبت محبة الله فينا» كما يقول الكتاب (١ يوحنا ٣: ١٧) وكما أن محبتى لأخى ولأختى تثبت محبتى لله كذلك تواضعى أمام الله تثبت علاقاتى بالآخرين. وبدلاً من الانكماش والابتعاد عن التواضع نحتاج أن نكون مستعدين لأن نظهر أمام كل الناس على حقيقتنا.

وفى أحد الأيام سألت الله فى الصلاة، «لماذا يصعب علىّ أن أجعل الناس يعرفونى كما أنا، بينما من السهل علىّ أن أظهر كما أنا أمامك؟»، فترددت هذه الكلمات بهدوء فى عقلى: «هذا لأنك تخاف الإنسان أكثر مما تخافنى». واندذهشت إذ وجدت أن هذا صحيح. فخوفاً من الرفض والجرح، عادة ما كنت أصارع لكى لا أفصح عن حقيقتى خوفاً مما قد يظنه الآخرون أو يقولونه. ولأول مرة رأيت أن التوبة الحقيقية تتضمن تواضعى واستعدادى للظهور على حقيقتى أمام كل الناس.

إن الكلمة اليونانية للتواضع «TAPEINOS» تعنى «الروح

المتضعة»^(x) وبالطبع لا يستمتع أحد بأن يكون فى حالة وضعية متدنية ولكن إن سرنا بالتواضع فسنكون مستعدين لأن نضع أنفسنا «يارب: من ينزل فى مسكنك» (مز ١٥: ١) ويحيا فى محضرك؟ يقول مزمو ١٧: ٥١ إن الذى يحيا فى محضر الله هو صاحب «القلب المنكسر والمنسحق» إن هذا الشخص هو الذى يسكن مع الله فى المكان المقدس المرتفع فالإلتضاع أمام الله هو سر ارتفاعنا ومجدنا. إن التوبة هى عملية مستمرة لا يجب أن تتوقف. يجب أن نختبر الانكسار بصفة مستمرة أمام الله. معترفين بخطايا قلوبنا. كيف نسير يومياً فى هذا الاختبار المتجدد. يقول يعقوب ١٦: ٥-١٧ هذه الكلمات:

«اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات (الهتات، الخطوات الخطأ، التعديت، الخطايا) وصلوا (أيضاً) بعضكم لأجل بعض، لكى تشفوا (وتستردوا إلى حالة روحية سوية للعقل والقلب) طلبه البار (القلبية، الحارة، المستمرة) تقدر كثيراً فى فعلها (فهى ذات طاقة فعّالة).

نحتاج لأن نأتى للرب تائبين عن عدم إيماننا وكبريائنا وكل نتائجها وثمارهما مستعدين لأن ندرب قلوبنا على التواضع أمامه. ثم نبدأ فى فتح قلوبنا وحياتنا للمشاركة مع بعضنا البعض عندئذ يبدأ الله عملية الشفاء غير المسبوقة فى حياتنا ولكن أول خطوة هى الاستعداد للانفتاح بأمانة وشفافية والاعتراف بأخطائنا وتقصيراتنا أمام الله وأمام شخص نكون قد أقمنا معه علاقة تتسم بقدر من الثقة والأمان. أما بالنسبة للأمور العميقة والصعبة نحتاج لأن نتحدث إلى شخص نال

(x) Vine's Expository Dictionary, op. cit., pp 568-569

تدريباً على المشورة المسيحية ويؤمن بقوة الصلاة للشفاء . وكما رأينا، فإن التحدي الذي يضعه نحميا أمامنا هو أن نثبت هذا العامود المسلح من التوبة في قلب حجر الأساس الذي هو الفداء ولتسهيل عملية الشفاء والتجديد المستمرة، من الضروري أن نسير مع بعضنا البعض في النور.

وبينما نحن نبني سور الخلاص لاتزال هناك بعض الأعمدة المقوية الضرورية لتأسيس سور منيع يقف بصلابة أمام عواصف الحياة . وفي الفصل التالي سوف ندرس كيف أن التوبة هي عملية مستمرة كفيلة بأن تحوّل أسلوب حياتنا ومن خلال الإيمان تطلق كل إمكانيات الله في حياتنا .

تعال جانباً

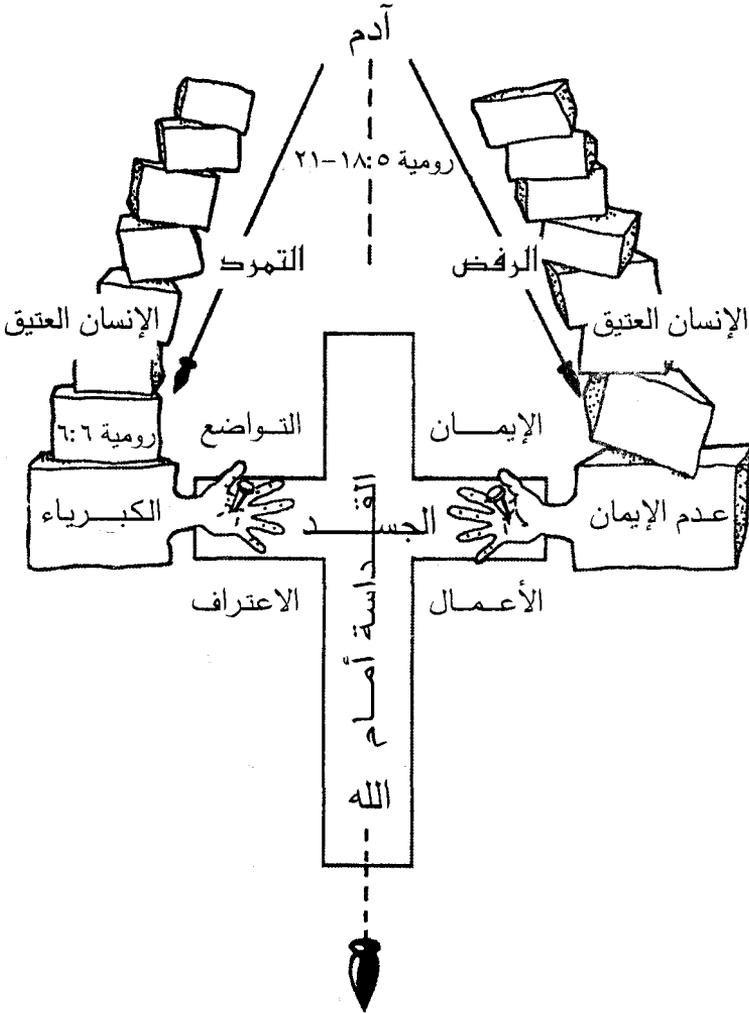
راجع مناطق الكبرياء وعدم الإيمان في حياتك قم بتقييم فعالية توبتك في كل منطقة من هذه المناطق .

الفصل الثانى عشر

القلب المعذب

الآن بعدما درسنا المدخل للتوبة، سوف نواصل شرح التوبة كعملية من شأنها أن تغيّر حياتنا. سوف نرى كيف أن التوبة الكتابية تتجاوز كل الطرق الأخرى للتغيير وكيف أننا عندما نستخدم مفتاح الإيمان فإنه يفتح الباب للحصول على كل الموارد الإلهية.

إن أول وأهم مكونات التوبة نجده عند الصليب. فقد قال يسوع: «إن أراد أحد أن يأتى ورائى فلا يترك نفسه ويحمل صليبه كل يوم ويتبعنى» (لو ٩: ٢٣). يفشل الكثيرون منا فى التجاوب مع هذا التحدى الإلهى لتطبيق ذلك الحق ما الذى كان يعنيه يسوع بهذه العبارة؟ إن شكل ٢٨ يوضح لنا كيف يمكننا أن ننتقل من الإنسان العتيق إلى الإنسان الجديد، حيث يمثل آدم قمة التمرد وعدم الإيمان الذى نرثه ونكتسبه فى حياتنا والطريق الوحيد الفعال لكى نتخلى عن الكبرياء وعدم الإيمان هو أن نسمرهم على الصليب جنباً إلى جنب مع كل الخطايا التى حملها عنا المسيح. ولكى نفعل هذا، نحتاج أولاً لأن نحسب أنفسنا أمواتاً بالفعل عن هذه المناطق فى حياتنا، ثانياً يجب أن نستبدل عدم الإيمان باستقبال إعلان الله لنا عن قيمتنا الحقيقية والتمسك بهذا الحق بالإيمان وأخيراً يجب أن نستمر فى أن نحيا ذلك عملياً.

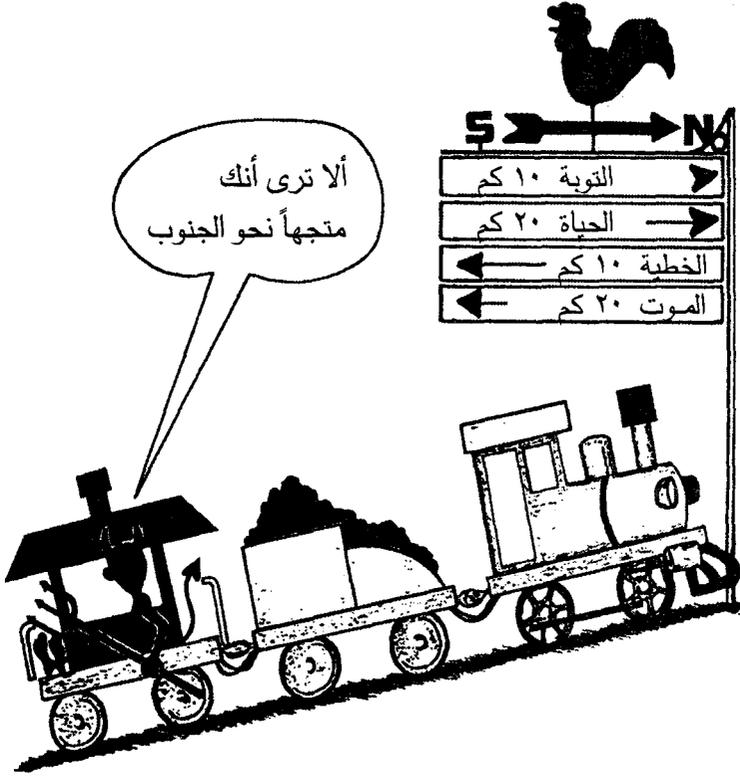


(أف ٢٤:٤)

(شكل ٢٨)

يقول الرسول يعقوب «الإيمان بدون أعمال ميت» (يع ٢: ٢٠) فالمعرفة العقلية البحتة للحقيقة ليست لها سوى قيمة ضئيلة جداً إذا لم تقترن بتطبيق عملي يومي. إن عمل الإيمان في الحياة هو الأهم فهو الذى ينقلنا من زيج الرفض إلى قبول النفس والافتناع بقيمة نفوسنا وهو الذى يتفق مع الزيج الإلهي. وإذا كنا نحتاج أن ننقل من موقف الكبرياء فإن المفاتيح للتغيير هي التواضع والاعتراف. إن اعترافنا بخطايانا يفتح قلوبنا ليستخرج كل الأمور العميقة المدفونة والتواضع يجعل الباب يظل مفتوحاً حتى يحدث التغيير في القلب. إننا من خلال الشفافية نتعامل بالموت مع جذور الكبرياء فعندما نستخدم تواضع الاعتراف بالخطأ، يتم تجريد الكبرياء من قوتها فلا تصبح قادرة على التحكم في حياتنا. إن التحدى الموضوع أمامنا هو أن نخلع العتيق ونلبس الجديد (كولوسى ٣: ٨-١٠). نحن لا نتكلم عن عملية ميكانيكية وإنما عن إطلاق للقوة المغيرة من خلال الانتصار الذى حققه المسيح على الصليب. إن الإيمان بعمل المسيح الكامل يطلق نصرة للفرد الذى يمارس هذا الإيمان بشكل حقيقى.

إننا ونحن نجرى هذه التغييرات، سوف نقابل مقاومة داخلية كما هو موضح فى شكل ٢٩. وفى هذا الرسم الإيضاحى نجد أن المحرك يمثل الروح وعربة الفحم (توليد القوى) تمثل الذهن والعربة الأخيرة (عربة العمال) تمثل المشاعر والشيطان يجلس فى عربة المشاعر يحاول أن يستخدم طريقة حياتنا فى هذا العالم الوجودى المعاصر فبدلاً من أن يسمح لنا بالتحرك تحت قيادة الحق والمبادئ يحاول أن يؤثر علينا لنتحرك وفق مشاعرنا وتحت قيادة وحى اللحظة والنزوات العابرة. إن المشاعر مهمة جداً ومفيدة للتواصل والتعبير ولكن إذا احتلت



(شكل ٢٩)

مقعد القيادة تصبح في غاية الخطورة. إن المشاعر قد أعطيت لتكون تحت سيطرتنا لا لتكون سيداً يسخرنا لخدمته!

مشاعر خرجت عن عقالها

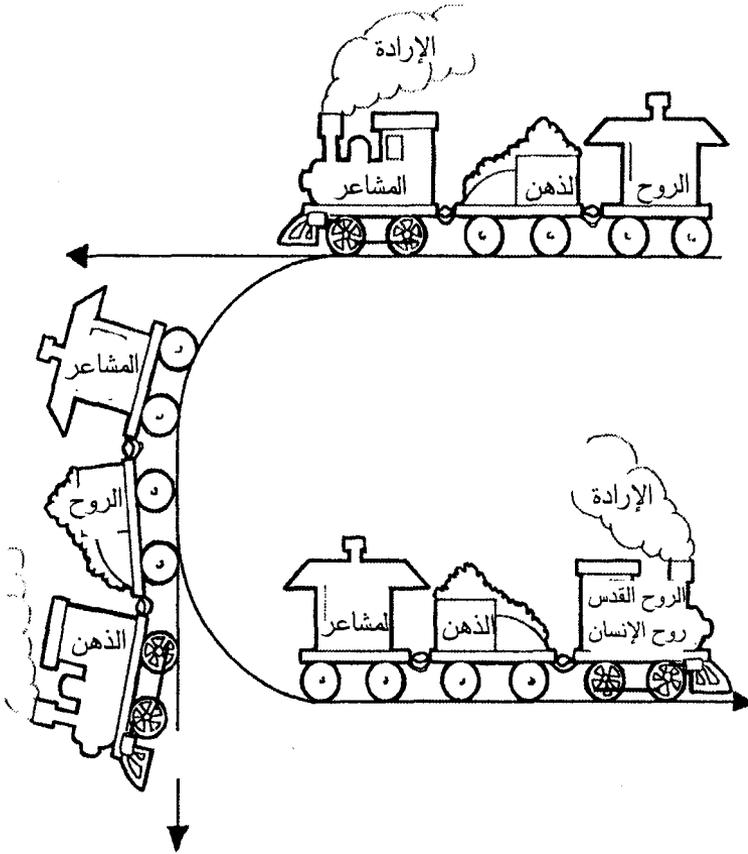
ربما رأينا شخصاً مثل هذا الشاب الذي في نوبة غيظ وثورة ركب دراجته البخارية وانطلق مزجراً بسرعة رهيبية وأكملت جرائد الصباح القصة تحت عنوان «مصرع أربعة أشخاص في حادث تصادم بسبب السرعة الجنونية».

إننا عندما نسمح لمشاعرنا أن تسيطر علينا فإننا عندئذ نتوجه نحو المصائب بسرعة جنونية! فنحن نرى في العالم كله الآثار المأساوية للمشاعر التي خرجت من عقالها ولم تعد تحت السيطرة فالكثير من البلدان تضع الانتحار كالسبب الأول في وفيات الشباب والاكنتاب وصل لدرجات وبائية مما يظهر كيف أن المشاعر يمكن أن تسيطر على المجتمع بأسره إذا أعطيت الحرية الكاملة!

الشكل التالي (شكل ٣٠) يساعدنا على فهم مدى قوة المقاومة التي نواجهها عندما نحاول التوبة وتغيير الاتجاه. فالقطار الموضح في قمة الشكل يمثل «القطار الإنساني» الذي يشير لحالتنا عندما نتبع قيادة المشاعر والقطار الذي تحته يمثل موقف التوازن الذي ننشده عندما تنقاد روحنا الإنسانية بروح الله القدوس وتتبع المشاعر قيادة الروح. ولكن ماذا يحدث عندما يتم تغيير الترتيب؟

كما هو موضح، يحاول القطار جاهداً أن يغير اتجاهه راجعاً عندئذ سنجد المشاعر تتشبث وتخرج مخالفاً كقطة محاصرة في ركن تموء

قطارات الحياة

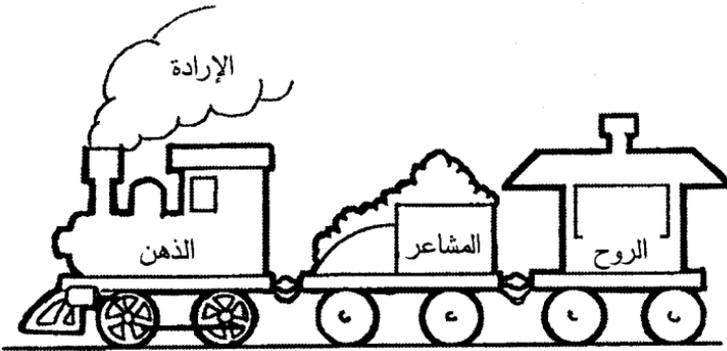


(شكل ٣٠)

وتزجر مدافعة بشراسة عن موقعها القيادي مهددة إنه إذا لم تتوقف عملية التغيير هذه فإنها سوف تجعلنا نختر انهيأراً عصبياً.

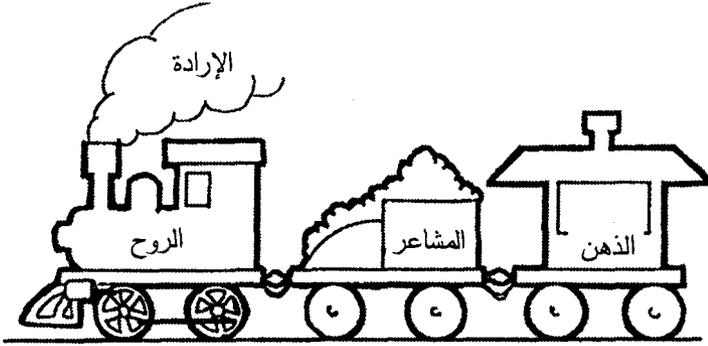
عندما نلقى نظرة على الكلمات العبرية المترجمة (التوبة) فإننا نفهم لماذا يحدث هذا فالكلمة حرفياً تعنى «التنهد والأنين والارتجاف» وكل هذه الكلمات تعكس ثوران وجيشان عاطفى عميق. وهذا ما يحدث لمشاعرنا عندما نقرر التوبة. ولكن عندما نغير اتجاهنا أخيراً (إذا استطعنا) فإن مشاعرنا فى النهاية تختبر السعادة عندما تنقاد بروح الله.

وبنفس الطريقة، فإن «القطار المنطقى» المقود بواسطة الذهن يمثل حالة مشابهة فعندما نحاول التوبة فإن المعركة التى ندخلها هى مع المقاومة «المنطقية» فقد يكون الخوف من الظهور بمظهر البلهاء، الطفوليين أو غير المنطقيين هو العدو القوى الذى يقف أمام التغيير.



«القطار المنطقى»

أما الاختيار غير المتوازن الثالث الذى يمكن أن نواجهه هو أن تكون الروح الإنسانية هى التى تقود فى المقدمة، ولكنها لا تزال تحت تأثير آخر غير تأثير الروح القدس وهذا القطار يمكن أن نسميه «القطار الروحانى» أو «قطار الشعوذة». لذلك فعند التوبة يجب على هذا الشخص أن يصلى لتحرر من الأرواح الشريرة وقد تصل المقاومة التى قد يلقاها هذا الشخص من الأرواح الشريرة إلى حد درامى فظيع.



«القطار الروحانى»

وبالرغم من أننا قد فصلنا بين هذه الأوجه المختلفة التى تمثلها قطارات المشاعر والذهن والروح إلا أن هذه الأمثلة قد تفصح عن نفسها بطرق مختلفة وكما حذر يوحنا المعمدان أننا يجب أن نتوب لأن ملكوت السموات قد اقترب (مت ٣: ٢) فإننا يجب أن نتوب لكي نختبر التغيير الحقيقى للقلب والحياة وكلما بنينا حياتنا على الزيج الإلهى، اختبرنا حياة أكثر غنى وبركة.

الإطلاق

ولكى نختبر التغيير سنلقى نظرة على وجه آخر من أوجه التوبة وهو وجه مهم جداً إذ بدونه، تصبح التوبة جوفاء وبلا قيمة.

وفى الأصحاح الأول من سفر نحemia، نجد سجلاً لتلك العلاقة الفريدة بين عبد وملك. بين شخص يهودى وسيد أمى بين شخص واقع تحت ضيق وشخص يسبب له هذا الضيق.

عندما سمع نحemia بأخبار أورشليم، انعكس حزنه عليه عندما ظهر أمام الملك لقد كان دور نحemia كساقٍ للملك هو أن يقدم للملك خمراً جيداً مع بهجة نفس ولكن عندما سمح نحemia لحزنه أن يظهر فى محضر الملك كان يعنى هذا أنه يضع نفسه فى خطر الموت ولكن اهتمام نحemia وحزنه على شعبه فاق اهتمامه بنفسه وعندما لاحظ الملك ارتحشتا مظهر نحemia المكتئب طلب منه أن يفسر له سبب حزنه.

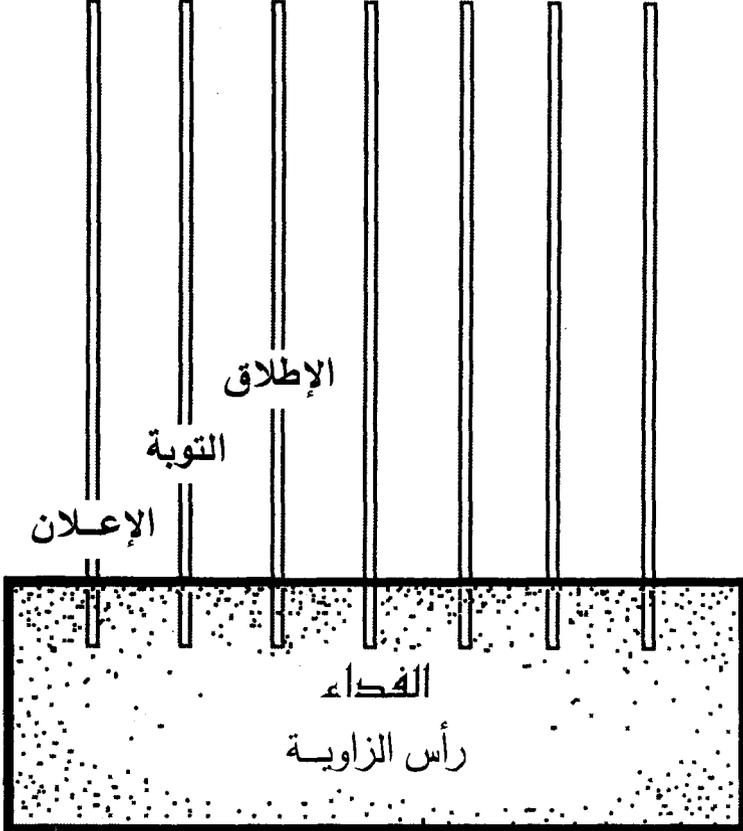
وما تلا ذلك من حديث عكس بصورة واضحة مدى حب الملك لساقيه نحemia فعندما سمع الملك عن حالة أورشليم لم يطلق نحemia فقط، ويعفيه من التزاماته تجاه القصر، ولكنه أيضاً أعطاه إذناً وحملاً بالعطايا لكى يعيد بناء المدينة المقدسة! وهذا لا يوضح فقط يد الله التى تدخلت لمعونة نحemia بل يظهر أيضاً أعماق قلب نحemia. من الواضح أن نحemia وصل للمرحلة التى استطاع فيها أن يغفر لأعدائه بل وكان يخدم الملك بأمانة وولاء. لقد أطلق مضايقوه من خطاياهم تجاه شعبه، ولم يحتفظ فى قلبه بكرهية أو مرارة وهذه هى الدعامة الثانية التى يجب أن تنغرس فى حجر الفداء ... الإطلاق.

إن غفراننا لمن أساءوا إلينا يطلق هذا الشخص من الاحتياج أن

سور الخلاص

نحميا = إعادة البناء

عزرا = المصالحة



(شكل ٣١)

يرد لنا أو يعوضنا أو حتى يعتذر لنا . عندما نصل إلى موقف الغفران من القلب، يحدث نوع آخر من الإطلاق في قلوبنا نحن وأريد أن أوضح ذلك بالقصة التالية .

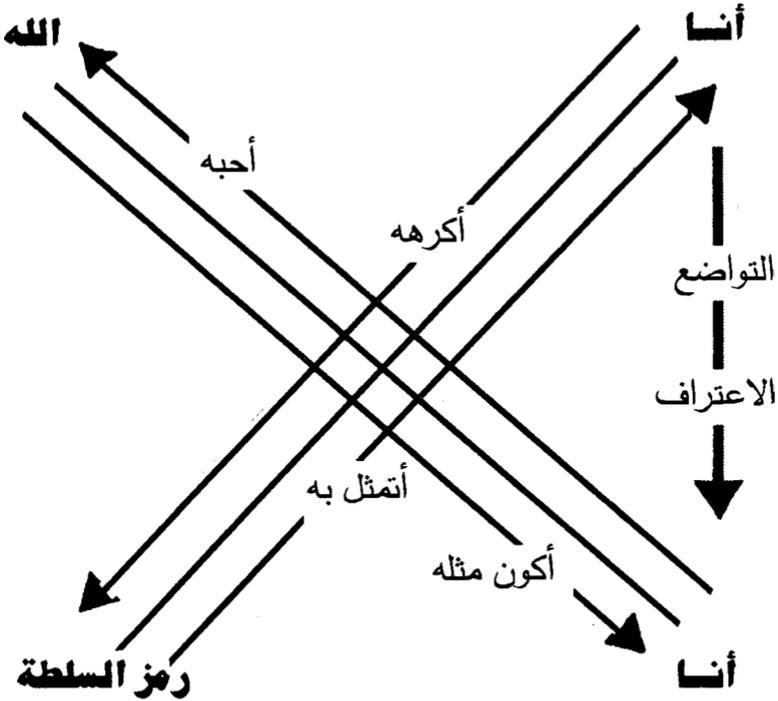
في مدارس المشورة التي ننظمها في هيئة شباب له رسالة (YWAM) نعطي وقتاً للدارسين لكي يشاركوا من حياتهم الشخصية . وأذكر أن إحدى الدراسات وتدعى «كاي»، وهي سيدة في أواخر الأربعينات من عمرها، بدأت تحكى عن نفسها، ولكن بعد بضعة دقائق صمتت تماماً، وعندما ذهب اثنان منا ليصلوا معها بهدوء، بدأت «كاي» فجأة ترتجف وتهاجمنا بالإهانة اللفظية وحتى العنف الجسدى . عندئذ عرفنا أننا لسنا أمام مجرد إطلاق عادى للمشاعر ولكننا كنا نواجه تأثيرات شيطانية واضحة . وعندما كئفنا من صلواتنا ازدادت ردود أفعالها العنيفة وبعد مرور بعض الوقت دون تغيير قررنا أن نجلس مع كاي بمفردها بعد انتهاء وقت الدرس .

وبعد ذلك، وبينما كنا ننتظر الله فى الصلاة، حصل أحدنا على كلمة علم من الله أن «كاي» لم تكن مستعدة لأن تغفر لوالدتها وعندما واجهناها بذلك اعترفت بوجود أصل مرارة دفين فى قلبها وبدأت تصيح «إننى أكرهك! إننى أكرهك! إننى أكرهك!» كما لو كانت والدتها معنا فى الغرفة .

إطلاق الغفران

وبعد أن تحدثنا معاً، فى النهاية وصلت «كاي» لأن أصبحت قادرة أن تطلق غفران لوالدتها وعندما صلينا من أجلها مرة أخرى،

الإطلاق من خلال المغفرة



(شكل ٣٢)

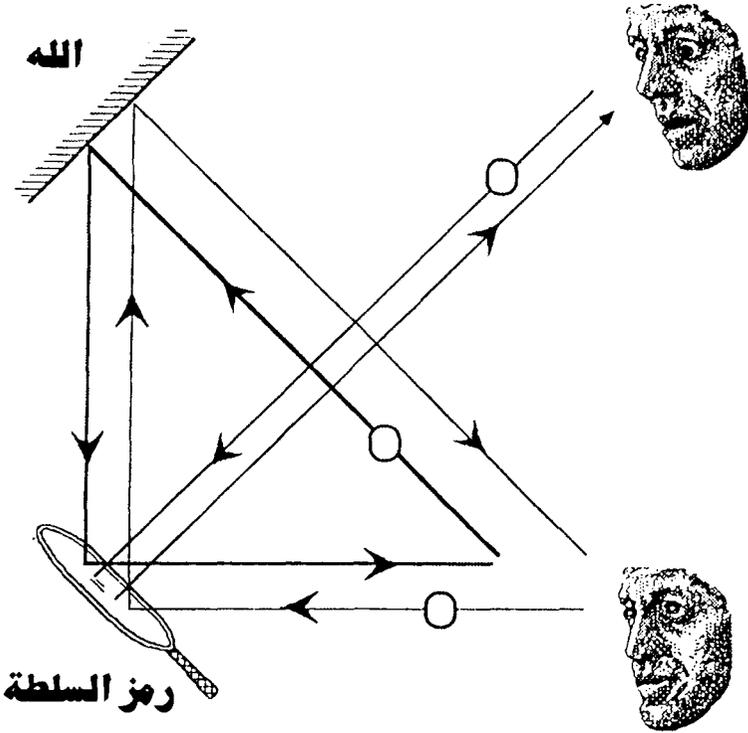
نحرتت «كاي» فوراً من العذابات الشديدة التي كانت تعمل في الخفاء وراء ستار عدم غفرانها.

في إنجيل متى (مت ١٨: ٢١-٣٥) نجد قصة رجل قد سامح دائئه في دين قدره ما يوازي «١٠ ملايين دولار» بمقياس ذلك العصر ولكنه لم يقم هو بالغفران كما غفر له وبينما هو عائد لبيته، قابله أحد زملائه وكان مديوناً له بنحو عشرين دولاراً فبدلاً من أن يظهر رحمة كما حصل هو على رحمة أرسل زميله هذا للسجن. وعندما سمع الدائن الأول بالقصة، غضب غضباً شديداً وتراجع عن سماحه الأول وسلمه للمعذبين حتى يفى بالملايين العشرة! والآن أصبح هذا الرجل سجيناً، لا بسبب دينه الأصلي، بل بسبب روح عدم المغفرة. واختتم يسوع المثل بقوله إن الله يفعل بنا نفس الشيء إذا لم نغفر كل واحد منا للآخر من القلب ونستخلص من هذه القصة أن عدم الغفران يؤدي للعذاب والمرارة والكراهية والاستمرار في ذلك يؤدي بدوره للأمراض الروحية وكذا الجسدية لكي تنمو في الداخل وتوضيح ذلك أكثر لننظر لشكل ٣٢.

نرى في هذا التوضيح، أن الاتجاه لعدم المغفرة عادة ما يحدث بسبب وقوع ظلم في الطفولة سواء كان حقيقياً أم متخيلاً وخلال سنين عمرنا قد تتكون لدينا نظرة سلبية عن رمز السلطة والتي تنعكس علينا في فترة المراهقة أيضاً. والتحول من النظرة السلبية لرمز السلطة الأرضي إلى التماس الشفاء من الله يحدث فقط من خلال التواصل والاعتراف.

إننا نحتاج لأن نعترف بالكراهية والاستياء ونغفر للشخص الذي قد أساء إلينا وهذه هي بداية الإطلاق والرؤية الجديدة.

رؤية الله بوضوح



- ١- رؤية رمز السلطة.
- ٢- رؤية الله من خلال رمز السلطة.
- ٣- رؤية الله.

(شكل ٣٢)

فى يوم من الأيام كنت أعمل صباحاً فى عيادة المشورة الخاصة بنا فى هاواى، زارنى شاب يدعى «نيقيلى» وكان قد تزوج حديثاً وأفضى لى بأنه يعانى من مشاكل زوجية. وكان يبكى وهو يعترف بأنه يكره أباه ويحترقه لتدميره للأسرة بسبب إدمان الكحوليات. ولكن للأسف وجد «نيقيلى» نفسه يواجه نفس الصراع الذى واجهه أبوه مع الخمر.

إننا عندما ندين بعضنا البعض، ونحتفظ بالإدانة فى قلوبنا يحدث أمراً غاية فى الخطورة إذ نجد أنفسنا فى نفس الخطية التى ندينها.

فعلى سبيل المثال، حكمت «كارين»، التى كانت قد وقعت ضحية لعلاقة مع أحد أقاربها، على كل الرجال بأنهم سواء فيما يتعلق بالجنس، وأن المرأة فى نظر كل الرجال هى شىء للاستخدام وربما لسوء الاستخدام إذا لزم الأمر لإشباع رغباتهم. وسرعان ما تحولت «كارين» نفسها لتصبح هكذا فأصبحت تستخدم الرجال وتساء استخدامهم عن طريق الدعارة. لقد أصبحت دينونتها وكرهيتها كالطبق الطائر الذى يقذف به بعيداً فيعود راجعاً للشخص الذى قذفه فلأنها اعتقدت أن كل الرجال سواء وحكمت على نفسها بأنها لن تجد حباً حقيقياً كان كل الحب الذى حصلت عليه هو الشهوة.

الحل الوحيد

كما رأينا فإن الطريق الوحيد للخروج من هذا الحلزون النازل المدمر هو من خلال التواضع والاعتراف. أولاً، يجب أن نكون أمناء ومنفتحين على مشاعرنا السلبية ومعترفين بالكرهية والمرارة التى فى

قلوبنا ثم نقوم بالغفران دون شروط أو مواصفات. إن إطلاق الغفران شفهيًا، هو خطوة فى غاية الصعوبة ولكنها يمكن أن تكون البداية للغفران من القلب وعادة ما تكون المهمة الأصعب هى أن تغفر لأنفسنا ولكن من خلال هذا الغفران يمكن لجراح القلب أن تشفى ولدموع المرارة أن تمسح. يجب أن نعرف أيضاً أن الندبات التى تخلفها الجروح لا تمحى تماماً وكذا البقع التى تتركها الدموع المرة فى النفس وفى نسج المشاعر الرقيق ولكن هؤلاء الذين يعاندون فلا يغفرون فهم دون أن يدروا قد اختاروا طريق العذاب.

وحتى بعد اختيار خطوة الغفران، قد نظل نصارع حتى نتحرر من الميل لإسقاط مخاوفنا وعدم ثقتنا على الله (كما نرى فى شكل ٣٣). إننا عادة ما نميل لأن نرى الله من خلال صورة مشوهة نستمدّها من رموز السلطة الذين قابلناهم فى حياتنا (طريق ٢) وبدلاً من أن ننظر من خلال مرآة «رموز السلطة» هذه نحتاج لأن ننظر مباشرة إلى الله لنحصل على الفهم والحكمة (طريق ٣) ومن خلال الله نسطيع أن نرى صورتنا الحقيقية.

وكلما رأيت عيوننا الله كما هو بالحقيقة، أحبته قلوبنا وبدأنا فى التغيير لنصير أكثر شبيهاً به (شكل ٣٢).

إن هذا الإطلاق يحدث لنا من خلال الغفران عندما نقدمه دون شرط أو قيد أو كما قال يسوع لسبعين مرة سبع مرات!

وكما رأينا فإن المعذبين يجدون الفرصة لكى يؤلمونا بل وحتى يدمرونا إذا استطاعوا وكل ذلك من خلال عدم الغفران.

فى الفصل التالى، سوف نواجه هؤلاء المعذبين وهم يحاربون

النبي نحميا الذي جردهم بمهارته وحكمته من أسلحتهم مرة
ومرات.

تعال جانباً

راجع القطارات وحدد ما هو نوع القطار الذي كنت تستقله في حياتك.
اعترف ببعض من خبراتك تائباً.

صف أى (عذاب) اختبرته من خلال عدم الغفران، ما هى الخطوات
التي أخرجتك منه؟

الفصل الثالث عشر

النصرة الكاملة على العدو

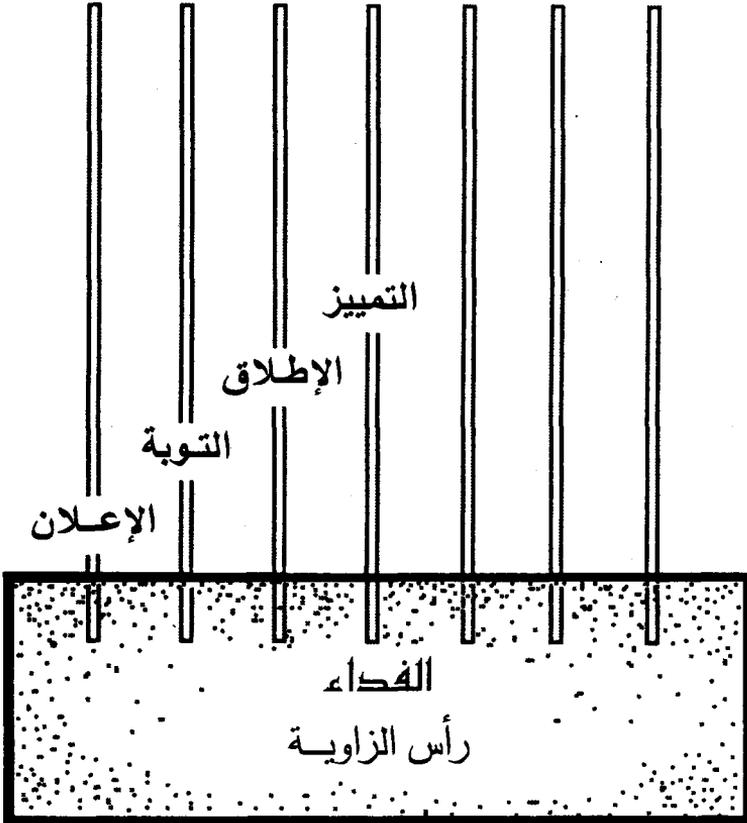
إن العدو الأكبر الذى يقف أمام إعادة بناء أسوار الخلاص فى حياتنا هو إبليس نفسه. يعتقد البعض أن إبليس ليس سوى شخص من صنع الخيال، بينما يراه البعض الآخر سيداً لهذا العالم، وأنه فى يوم من الأيام سيسود العالم ويعبده الناس، ومهما كانت الطريقة التى يراه بها الناس سوف يظل إبليس عدواً شريراً، له سجل طويل من الشر والجرائم! ويقرر الكتاب المقدس بوضوح أن الشيطان شخص يعيش فى الواقع، ويتحرك فى العالم، وله العديد من الأتباع الواقعيين فى قبضته الذين مع اقتراب نهاية العالم سوف يعطونه المزيد من الولاء والسلطان فى حياتهم وهو الوقت الذى سوف تبرد فيه محبة الكثير من المؤمنين بالمسيح (مت ٢٤: ١١-١٣).

وقد واجه نحemia هذا العدو عندما أطاع دعوة الله لكى يعيد بناء أسوار أورشليم. وبالنظر لصراعات نحemia، سوف نرى بعضاً من أساليب إبليس لكى يهزم ويفشل خطط نحemia التى أعطاهها له الله. سوف نرى الدعامة التالية التى يجب أن نغرسها فى حجر الأساس هى التمييز فعندما نتعامل مع الشيطان، يجب علينا وقبل كل شىء أن نميز أساليبه حتى يمكننا أن نفسد خطته وعملياته.

سور الخلاص

نحميا = إعادة البناء

عزرا = المصالحة



(شكل ٣٤)

الغضب والخوف

في نحميا ٤: ١-٧ نقرأ أن أكبر عملاء إبليس كان سنبلط وجشم وطوبيا الذين غضبوا جداً عندما سمعوا بخطط نحميا لإعادة بناء أسوار أورشليم. وعندما قابلوه في الطريق للمدينة انهالوا عليه بالاتهامات والتهديدات وبالرغم من أن الكثيرين ممن سبقوا نحميا وخلفوه قد استسلموا للخوف إلا أن نحميا رفض أن يتراجع.

«خشية الإنسان تضع شركاً والمتكل على الرب يُرفع». لم يؤمن نحميا فقط بهذا الكلام بل عاش حقيقة هذا الكلام (أم ٢٩: ٢٥) ووثق بالله. وكما وجد نحميا، فإن الشيطان دائماً ما يصب غضبه علينا من خلال من نحبهم ومن خلال الفشل وتعطل المعدات وأيضاً من خلال المرض وغيرها من الطرق ولكن يوسف وأيوب وبالأخص يسوع كانوا أمثلة رائعة توضح كيف أن الله يحول غضب إبليس هذا إلى بركة وخير. لقد رجم اسطفانوس مجموعة من الرجال الغاضبين الذين غذى إبليس غضبهم - ولكن لو كان إبليس يعرف القوة الإيجابية التي سوف تنطلق من هجومه هذا لكان قد توقف وألغى هجومه على اسطفانوس. وكان شاول يقف ويشاهد هذا المنظر قبل أيام من تحوله ليصير بولس الرسول، لقد رأى شاول عند موت اسطفانوس نوعية من الغفران هزت كيان شاول تماماً «لأن الله لم يعطنا روح الفشل بل روح القوة والمحبة والنصح» (٢ تي ١: ٧) (الله لم يعطنا روح الخوف - أو الجبن أو الارتعاد - بل أعطانا روح المحبة والذهن الهادئ المتزن) إن إبليس يحاول أن يخيفنا ويرعبنا ولكن الذين يتقون بالله يعرفون أن زئير العدو ليس سوى زئير أسد عجوز قد وقعت أسنانه!

التهم

إن أحد الأساليب الأخرى التي يمارسها إبليس هي التهم والسخرية والتي تنشأ أيضاً من العنف المكبوت في نفس الإنسان لقد ازدري الأعداء بنحميا وسخرو منه واتهموه باطلاً أنه يتمرد على الملك ارتحستا (نح ٢: ١٩) الذي قد بارك العمل بالفعل بل أن سنبلط قد اتهم نحميا بأنه يحاول أن يرشئ الله! (نح ٤: ١-٣) وها هي هجمة خبيثة تشن على نحميا في أرضه ووسط شعبه شبيهة بتخطيط الشيطان لتجربة يسوع في البرية عندما اقتبس له آيات من الكتاب بطريقة ملتوية (مت ٤: ٣، ٦). إن إبليس قد استطاع في مرات كثيرة أن يحدث انقسامات في الكنيسة ويضعفها بتشويه الحق بهذه الطريقة وهذا ما كان يحاول أن يفعله مع نحميا.

وبينما كان سنبلط يهزأ بالعمل ويصفه بأنه غير مجد كان طوبيا يحاول زعزعة قدرات ومواهب المجموعة التي تبني ولكنه نسي أن معظمهم قد عاش في السبي مدة طويلة يعمل بالسخرية في البناء والتشييد! إن المشتكى على الأخوة «لا يعبأ بالحقيقة بقدر ما يهدف بسخريته إلى أن يثير الشك وعدم الإيمان في صدورنا محاولاً أن يجهض خطط الله ومقاصده في حياتنا.

وفي أسفاري حول العالم لعقد الحلقات الدراسية والتكلم في اللقاءات الروحية كثيراً ما أرى عمل الشيطان في المؤمنين - ولكن يوجد موقف واحد لن أنساه أبداً. كانت «مايدا» شابة مستعبدة بالشهوة الجنسية وقد نالت جروحاً كثيرة في علاقات حميمة مع كثير من الرجال في بحثها اليائس عن الحب. وللأسف فإنني أرى الكثيرين جداً مثل هذه الشابة يدخلون فراش الزوجية محملين بهذه الأحمال الزائدة.

لذا فيجب على المتزوجين، لكي يختبروا الإشباع العميق والقرب الحميم مع شركائهم فى الزواج، أن يفرغوا هذه الأحمال التى يحملونها من ماضيهم. بل إن هذه الأحمال عادة ما تؤثر أيضاً على علاقة الإنسان بالمسيح وتؤدى إلى الفشل فى الوصول إلى علاقة حميمة مع الله.

لقد كانت «مايدا» تمثل هذه المأساة وقد شرحنا لها ذلك ولكننا عندما كنا نصلى من أجلها لكي تتحرر من قيود حياتها السابقة، فجأة أصيبت بتشنجات فى جسدها كله ثم حدث شيء عرفنا منه بوضوح أن هناك شياطين تحاربنا لكي تستمر فى السيطرة على هذه الشابة، لقد ظهرت على شفتى «مايدا» ابتسامة سخرية واستهزاء وأخذت تضحك بصوت غريب مملوء بالسخرية والاستهزاء بشكل كان يهز كل كياناتنا ونحن نحاول مساعدتها. عندئذ عرفنا أن للشيطان سلطاناً عميقاً على حياتها بحيث لم يكن على استعداد أن يترك هذا السلطان دون صراع حقيقى وعلى مدى الأسبوعين التاليين مضيت أنا واثنين آخرين من فريق العمل نجلس جلسات مشورة وصلاة عميقة مع هذه الأخت وفى كل مرة كان العدو يستهزئ بنا كئناً نشجعها أن تأخذ على عاتقها مسئولية انتهار هذه الأعمال الشريرة ورفضها من حياتها تماماً وبالتدريج، نمت قوة «مايدا» الروحية حتى وجدت نفسها تمتلك سلطاناً حقيقياً جديداً على قوات الظلمة.

الخداع والبلبة

إن الأساليب التى يستخدمها أبو الكذاب لكي يفقدنا توازننا ويعطلنا عن العمل تتضمن أيضاً البلبة الفكرية والخداع.

فى نحميا ٤: ٨: نرى كيف أن سنبلط وجشم وطوبيا قد تأمروا مع حلفائهم لكى يؤذوا ويخدعوا ويبلبلوا أفكار اليهود الذين يقومون بإعادة البناء ولكن بالرغم من المحاولات الكثيرة التى قاموا بها، ظل نحميا يرفض بثبات أن يرضخ لتهديداتهم وخداعهم واستمر يثق بالله بكل قواه ويكمل العمل فى السور. يجب أن نلاحظ أن إبليس هو رئيس التشويش والبلبله وعندما نجد أن سحب التشويش القائمه قد استقرت فوق رؤوسنا، يجب أن ننتظر بثبات رياح الروح القدس القوية لكى تدفعها بعيداً عنا لكى تشرق شمس الحقيقة وتعطينا إرشاداً واضحاً فى طريقنا.

يتحدث نحميا أيضاً عن نبيه اسمها «نوعديه» وكثيرين غيرها (نح ٦: ١٤) الذين من خلال النبوات الكاذبة حاولوا أن يخيفوا نحميا ويثنوه عن دعوة الله له لإعادة بناء أسوار أورشليم.

وكما ناقشنا فى فصول سابقه، يستطيع إبليس أن يستخدم مثل هؤلاء الأنبياء الكذبة لكى يبعدونا عن حق الله ومثل هذه الهجمات قد تكون مدمره وبالأخص عندما تأتى من أشخاص مقربين كشريك الحياة أو أحد الوالدين أو أحد أعضاء الكنيسه وفى بعض الأحيان قد تكون مثل أيوب الذى نصحته زوجته أن يبارك (يلعن) الله ويموت (أى ٢: ٩) وذلك عندما كان يواجه أشد أزمات حياته قسوة.

إننا أيضاً لا نريد أن نكون مثل النبى الشاب فى ١ ملوك ١٣ الذى كان يأخذ بنصيحة النبى الشيخ بدلاً من أن يستمع لما يقوله الله وبالتالى وقع بين أنياب الأسد. يجب أن يكون لدينا تمييز ونسهر ونصلى حتى لا نقع فى تجربه ونصير فريسه للضلال والتضليل.

الأصدقاء المزيفون

إن الصداقات المزيفة هي فخ جديد من فخاخ العدو التي يضعها بسهولة وما أسهل أن يخوننا هؤلاء الأصدقاء. لقد خان الياشيب الكاهن نحميا عندما أعطى طوبيا حجرة كبيرة في المعبد ليستخدمها كمخدع بينما كان نحميا قد غادر أورشليم (نحميا ١٣: ٤-٦) وهذه القصة تصور أسلوباً تقليدياً لإبليس الذي يستخدم بنفس الطريقة صداقاتنا وعلاقاتنا مع العالم لكي يؤسس لنفسه مكاناً للعمل في قلوبنا. إننا لا نستطيع أن نحب الله والعالم معاً لأن محبة العالم هي عداوة لله (١ يو ٢: ١٥-١٦). وإذا نستطرد في قراءة سفر نحميا والأصحاح الثالث عشر نلاحظ أن نحميا على الفور واجه تفريط الياشيب وخيانتته بأن ألقى في الشارع كل متعلقات طوبيا ونحن أيضاً يجب أن نفعل مثل ذلك بأن نتعامل بحزم وبدون رحمة مع أى عدو يدخل داخل حدودنا، لأنه إذا دخل لن تأخذه بنا رحمة ولا شفقة فالشيطان عدونا المدمر يهدف دائماً إلى الإيقاع بقلوبنا وتحويل ولاءنا من الله للعالم وهكذا قد فعل بقلوب كثيرة ودمر خدمات كثيرة قوية.

التأثير الشيطاني

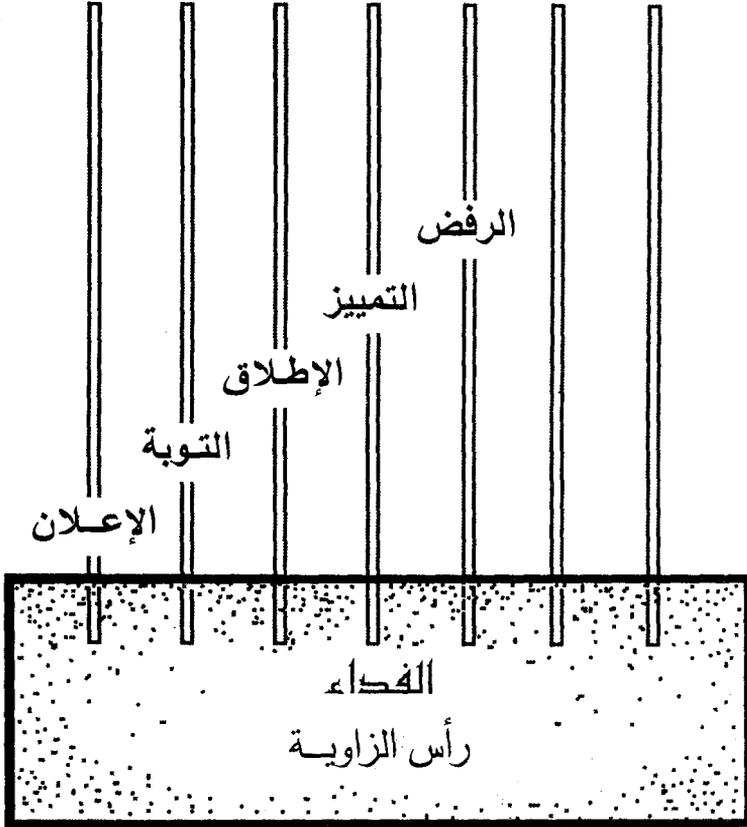
إن هدف إبليس الرئيسى هو التأثير علينا بأن يغرر بنا لنصنع تحالفات شريرة مع أنظمة وأفراد وشهوات مختلفة. إن عبارة «التأثير الشيطاني» هي ترجمة لكلمة يونانية تعنى الوقوع تحت تأثير الشياطين أو الوقوع تحت سلطانهم^(*) وهذا يشير ببساطة لعملية يستخدمها إبليس ليزرع نفسه في قلوبنا وبالتالي يتسلط علينا.

(*)Vine's Expository Dictionary op. cit. p 238

أسوار الخلاص

نحميا = إعادة البناء

عزرا = المصالحة



(شكل ٣٥)

وكلما سمحنا له بفرصة أكبر للدخول، ازدادت سلطته في حياتنا وقوى تأثيره علينا لذا فعندما نشعر بتأثير الشيطان أو وجوده في أى مكان من قلبنا يجب أن نفعل فوراً مثلما فعل نحميا ولا نعطه أى أرض في حياتنا ولا موطن قدم. لا تفكر في إقامة أى هدنة معه أو استضافته ولو للحظة واحدة! فوق كل تحفظ احفظ قلبك واحرسه لأن منه مخارج حياتك (أم ٤: ٢٣).

الرفض

الآن وبعد أن درسنا بعض الأساليب الشريرة التى يقوم بها العدو لكى نتحفظ منها، نحتاج أن نسأل هذا السؤال الآن وهو كيف نتعامل مع العدو عندما نكتشف وجوده؟

إن أول خطوة لمحاربة عمل الشيطان في حياتنا هي، كما قلنا، أن نميز أعماله. والخطوة الثانية هي أن ننتهره ونرفض كل أنواع نشاطه في حياتنا، وهذه هي الدعامة التالية التى نغرسها في حجر الأساس - الرفض.

كان نحميا ينتظر الرب

منذ أن سمع نحميا بحالة أورشليم، نجده يطلب الرب بالصلاة والصوم ثم عندما سمع بأن أعداءه يتآمرون ضده، توجه مباشرة لمخدعه للصلاة وفي نفس الوقت أقام حراساً (نح ١: ٤، ٤: ٩) وعندما استأجر الأعداء شمعيًا لخداع نحميا لكى يختبئ في الهيكل ليبيعه عن طريقهم، استطاع نحميا أن يكتشف الخدعة بكل حكمة واستودع أعداءه بين يدي الله.

والسؤال الآن هو عند أى مرحلة من الأزمة نلجأ إلى الله، هذا إن لجأنا إليه أصلاً؟ إننا نحتاج كتحصيا أن نطلبه فوراً وننال من نعمته المتاحة لنا فى كل الظروف. إن العدو قد يخذعنا بسهولة ولكنه لا يقدر على الله!

سار تحصيا للأمام ، فى مخافة الرب

حاول أعداء تحصيا إرهاب تحصيا وإخافته لمنعه من مواصلة بناء أسوار أورشليم (نح ٦: ٨-١٤). ولكن تحصيا لم يخف على حياته، إذ كان قد استودعها بين يدى الله، وإنما كان خوفه الأكبر هو أن لا يرضى الله. لقد وقف تحصيا فى رهبة من الله مطيعاً له فيما كلفه به دون خوف من البشر «خشية الإنسان تضع شركاً والمتكل على الرب يرفع» (أم ٢٩: ٢٥). فإذا خفنا من أى شىء أو شخص أكثر من الرب العلى المهبوب سوف نقع فى شرك خوف البشر. إذا أخذنا فى اعتبارنا آراء البشر وتقييمهم لنا ونصائحهم وأفكارهم أكثر من تقييمنا لأفكار الله فإننا نصير أسرى للبشر والخوف منهم، والله وحده هو العلاج للخوف «مخافة الرب (الاعتراف بشخصه وكرهية الشر) رأس (بداية) المعرفة» (أمثال ١: ٧). والواضح من المكتوب أن تحصيا ظهر أكثر من مرة كرجل حكيم. هل نستسلم لمخافة الناس ونقع فى هذا الشرك؟

إننا عندما ننهزم أمام الخوف فكأننا نعتقد أن من نخافه - أو ما نخافه - أقوى وأعظم من الله ولكن الحقيقة هى أنه ليس هناك من هو أقوى من الله القدير.

استمر نحميا في العمل

في نحميا ٤: ١، ٧ نقرأ كيف كان سنبلط وطوبيا متضايقين عندما ظهر من يهتم ويعمل لخير اليهود ولكن حتى في مواجهة هذا العداء، استمر نحميا في تفقد الأطلال التي كانت في يوم من الأيام أسوار أورشليم الشاهقة الشامخة، لقد رفض نحميا أن يتشتت عن العمل الذي دعاه الله ليعمله. حتى سخرية أعدائه المزعجين واستهزاؤهم لم يمنعه من العمل وإنما وضع نحميا الموقف كله بين يدي الله واستمر في البناء وشجع رفقاءه أن يفعلوا نفس الشيء.

حتى التهديد بالحرب لم يوقف العمل (نح ٤: ٢١) فانقسم الرجال الذين يعملون إلى قسمين: أحدهما يحمل الرماح والقسم الآخر يبني. وهكذا نحن أيضاً يجب أن نستمر في العمل وفي نفس الوقت نكون مستعدين للقتال، لأن لنا عدو مستعد أن يفعل أى شيء لكى يمنع الله من أن يبني كنيسته، ولكن حتى أبواب الجحيم لن تقوى على الثبات أمام قوة وقدرة الله الحي. إننا نحتاج أن نتمثل بنحميا الذى استمر في العمل في مواجهة ظروف شديدة الصعوبة ومشيرين غير مشجعين. إننا نحتاج لأن نكون «راسخين غير متزعزعين أكثرين في عمل الرب...» (أكو ١٥: ٥٨).

لقد كانت عينا نحميا تراقبان الأعداء

«فصلينا إلى إلهنا وأقمنا حراساً ضدهم نهاراً وليلاً بسببهم... ولم أكن أنا ولا إخوتى ولا غلمانى ولا الحراس الذين ورائى نخلع ثيابنا. كان كل واحد يذهب بسلاحه إلى الماء» (نح ٤: ٩، ٢٣). لم ينتظر

نحميا الرب فقط ولكنه أيضاً كان مفتوح العينين ومتيقظاً لأى هجوم من أعدائه الذين يحاولون منعه من إتمام إرادة الله.

وقد يأتى العدو فى ثياب ملاك نور وقد يأتى أيضاً فى هجوم صريح كأسد زائر ولكن مقاصده هى دائماً أن يوقف عمل الله فىنا ومن خلالنا ويسبب عدم اليقظة سقط الكثيرون أمام خططه الماكرة ولكننا إن تمثلنا بنحميا فإننا نسهر ونصلى لئلا نقع فى تجربة.

نحميا يضبط نفسه

تحدى سنبط الحورونى وطوبيا العمونى وجشم العربى نحميا (نح ٢: ١٩) وهزأوا باليهود واحتقروهم بل واتهموهم بالتمرد على الملك لكى يخيفوهم ويمنعوهم من إتمام العمل. فماذا كان رد فعل نحميا؟ لقد رفض الدخول معهم فى مهاترات، وكان كل ما قاله إنه أعلن أن لا حق لهم ولا نصيب ولا ذكر فى أورشليم، أى أن عليهم أن يخرجوا أنفسهم من الأمر برمته فهو لا يعينهم.

وبعد ذلك استنار وجود طوبيا نحميا للرد والقيام بعمل ما (نح ٧: ١٣-٩) ولكن نجده مرة أخرى ينفصل عن أعدائه وفى هدوء يظهر الهيكل من متعلقات طوبيا وحفظ نفسه من تأثير الأشرار.

إن هناك وقتاً للمواجهة ووقتاً لضبط النفس وعزل أنفسنا عن تأثيرات الشر فى حياتنا. إن ضغط الأقران (الشلة) يهزم الكثيرين من المؤمنين الذين يرزحون لفترات طويلة أكثر من اللازم تحت تأثيره حتى الملك شاول اضطر أن يركع أمام ضغط المقربين له وكانت النتيجة أنه فقد ملكه على إسرائيل (١ صم ١٤: ١٣-١٥) وغيره

من الملوك والقضاة فشلوا في التنصل من تحالفاتهم مع العدو وبالتالي لم يتمموا دعوتهم. يوجد وقت للمعانقة ووقت للانفصال عن المعانقة (جا ٣: ٥) والتحدى الذي نواجهه كثيراً هو أن نميز الوقت المناسب والتجاوب المناسب مع الظروف الراهنة.

نحميا يحارب

لقد هدد أعداء اليهود بأنهم سوف يأتون ويقتلونهم إذا استمروا في العمل في بناء السور، وكما قلنا من قبل أن تهديداتهم لم تثن نحميا بل على العكس جعلته يعد للمعركة، فجعل نصف الرجال وبعض أسرهم يقفون للحراسة بكامل سلاحهم، بينما ظل الآخرون يعملون في السور متسلحين أيضاً بسيوفهم وهنا لا نرى فقط تصميم نحميا على العمل ولكن نرى أنه رأى الحاجة للحرب أيضاً لقد عرف نحميا أمراً نحتاج أن نعرفه جميعاً - وهو أننا في حالة حرب ويوجد عدو يريد أن يتغلب علينا دائماً وسوف لا يعقد معنا سلاماً إلا بشروطه هو والطريقة الوحيدة للانتصار هي أن نكون جنوداً من الدرجة الأولى يعدنا المسيح للحرب غير مرتبكين بأمور هذه الحياة ولكن مكرسين للسهر والصحيان والحراسة والحرب والبناء تحت قيادة المسيح (١ تيمو ٢: ٣، ٤).

ولأن محاربتنا لا تحدث في العالم المادي بل في العالم الروحي غير المنظور فإن أسلحتنا أيضاً يجب أن تكون ملائمة لهذا النوع من المعارك ويقول بولس الرسول إن هذه الأسلحة ليست جسدية بل قادرة بالله على هدم حصون العدو (٢ كو ١٠: ٣-٥). والآن دعنا نلقى نظرة على هذه الأسلحة:

اسم يسوع

عندما نستخدم اسم يسوع، فإننا نضع أنفسنا فى صفوف قواته محاربين من أجل الحق والعدل والبر، توجد قوة فى اسم المسيح فوق كل قوة العدو.

دم المسيح

فى رؤيا ١٢: ١١ نقرأ «وهم غلبوه بدم الخروف» وهى الغلبة العظيمة التى حصل عليها يسوع فوق الصليب على الخطية والموت والشيطان. عندما بذل المسيح دمه، فإنه قد فعل ذلك بدلاً منا فاتحاً لنا الطريق للخلاص من سلطان إبليس لقد سفك دمه عنا وهذا الدم هو الذى قهر العدو وطرده هارباً.

كلمة شهادتنا

والسلاح الثانى الضرورى للانتصار كما جاء فى رؤيا ١٢: ١١ هو «كلمة شهادتهم». فعندما كان المسيح فى البرية صائماً لأربعين يوماً وليس فيه أى قوة جسدية أظهر من خلال شهادته قوة الكلمة عندما كان يصارع تجارب إبليس (مت ٤: ١-١١). لقد استخدم المسيح الكلمة بمهارة كسب فى يده أُرهب به العدو وجعله يهرب ويفشل فى الإيقاع بيسوع فى تجاربه. إن كلمة الله حق وعندما نؤمن بهذا الحق ونعترف به فى وجه العدو فإنه يهرب من وجه الحق ولا يحتمل نوره الساطع (يو ٨: ٣٢).

سلاح الله

يوصينا الرسول بولس فى أفسس ٦ أن نرتدى سلاح الله الكامل حتى نستطيع أن نثبت فى يوم المعركة ضد قوى الظلمة. وكل قطعة من هذا السلاح الكامل لها أهميتها.

خوذة الخلاص

درع البر

منطقة الحق

حذاء استعداد الإنجيل

ترس الإيمان

سيف الروح

وإذا ارتدينا هذا السلاح يومياً وتعلمنا كيف نستخدمه سوف يمكننا أن نطرد العدو فى كل مرة يهاجمنا فيها.

منذ بضعة سنوات، كان البعض منا يصلون مع رجل مسن كانت لديه ميول انتحارية. وفجأة تحولت فرصة الصلاة البسيطة إلى حدث مريع عندما أظهر العدو نفسه كالسيد الشرير الذى يسخر هذا الإنسان لخدمته. فجأة قفز هذا الرجل مزمجرأ بكلمات تشبه الحشرة ووجهه ملئ القسماات بالغضب الشديد والتقط كرسياً ورفع فوق رأسه وبدأ يتحرك نحونا ببطء فى الغرفة التى أصبح جوها مكهرباً بالخوف والترقب والغضب حتى أن واحداً منا تسمر من الخوف أما الآخرون فقد ارتدوا بسرعة أسلحتهم الروحية وبدأوا الحرب. وعندما دعونا باسم الرب يسوع وأعلننا قوة دمه، رأينا كيف توقف هذا الشخص على بعد

أقدام مننا وكأن يداً غير منظورة أوقفته ثم وقع الكرسي مهشماً على الأرض وصرخ الرجل صرخة قوية ووقع على الأرض مجهشاً فى البكاء كطفل صغير .

وعندما ركعنا بجانبه، اعترف بالخيانة الجنسية التى كانت فى حياته وتاب أمام الله ثم صلينا كلنا معه فصار رافضاً كل أعمال العدو فى حياته حتى حصل فى النهاية على الحرية والإطلاق اللذان كان يطلبهما بشدة . ووجدنا بعد ذلك أن الاكتئاب والأرق وأفكار الانتحار التى كان يعانى منها لم تستمر طويلاً إذ ظل يقف بقوة فى وجه سلطان الشرير فى حياته متمتعاً بالنصرة فى المسيح . إن إبليس هو بالحقيقة عدو رهيب كما رأينا فى هجومه على نحميا .

فى الفصل التالى سوف ندرس أسلوباً آخر من أساليب العدو . إن الظلم سواء الحقيقى أو المتخيل هو أمر صعب التعامل معه وبخاصة عندما يدخل حياتنا عن طريق أشخاص نثق بهم . إن الشيطان يعرف كيف يستخدم هذا السلاح الفتاك الذى ذبح به الكثيرين ، وسوف نرى كيف نستطيع أن نتجنب ضرباته وليس ذلك فقط بل كيف نجرده تماماً من هذا السلاح .

تعال جانباً

راجع بعض الهجمات الشيطانية التى تعرضت لها أنت شخصياً وضح من حياتك الخاصة كيف استخدمت بعضاً من أساليب نحميا لتتهدم العدو .

الفصل الرابع عشر

بداية جديدة

توالت ضربات الظلم المتلاحقة على بنى إسرائيل من الداخل والخارج وسببت لهم الكثير من الجروح والأذى بينما هم يحتالون على العيش فى السبى ولكن تغيير المكان لا يعنى بالضرورة تغيير القلب وسرعان ما وجد العائدون من السبى أن المظالم القديمة بدأت تنمو وتتفشى فى المجتمع اليهودى. ونقرأ فى نحemia ١:٥-٧ كيف أن مجموعة من صفوة اليهود الأثرياء بدأت تعطى قروضاً بفوائد باهظة مضيفة عبثاً جديداً على العائدين من السبى فزادت من محتتهم، وأدت مطالبة هؤلاء للمدينين بالوفاء إلى أن الكثيرين رهنوا، بيوتهم وأراضيهم بل وحتى باعوا أولادهم وبناتهم فى العبودية حتى يستطيعوا أن يأكلوا ويعيشوا. وارتفع صراخ الشعب وبكاؤه وعلى مر العصور تردد صدى مثل هذا الصراخ من أمم وشعوب كثيرة فى العالم صراخ المعاناة من الظلم نفس الصراخ صعد من الأرض مطالباً قايين بدماء أخيه هابيل البرىء الذى قتله أخوه فى نوبة حسد وغضب ونفس هذا الصراخ صعد من اليهود الذين هلكوا بين أيادى أعوان هتلر فى أفران الغاز الرهيبة وهو أيضاً نفس الصراخ الذى صعد من الكمبوديين الذين تعرضوا لما يشبه الإبادة الجماعية على يد جيوش پول پوث وقبيت كونج وهو نفس الصراخ الذى يصعد اليوم من مئات الآلاف من شعب

البوسنة الذين يعانون من الإبادة على أيدى الصرب وأيضاً الأفغانيين الذين هربوا من القتل لكي يعيشوا كلاجئين.

صرخة قلوبنا

وربما يصعد نفس هذا الصراخ من أعماق قلوبنا وعندما نتناول موضوع الظلم، يجب أن نتذكر ثلاثة مبادئ رئيسية:

- ١- إن الله عادل فى كل طريقه.
- ٢- إن إبليس ظالم فى كل طريقه.
- ٣- إن الإنسان ظالم فى كثير من طريقه.

وفى عالمنا اليوم، يحدث الكثير من الظلم من عدم إنسانية الإنسان فى التعامل مع أخيه والكثيرون واقعون تحت تأثير نهم لا يشبع؛ للتملك والسلطة. وقلوبهم ملوثة بالطمع والشهوة حتى أنهم ينظرون للناس على أنهم أشياء تستخدم ويمكن التضحية بهم. ومثل هذا الوسواس القهرى يسبب جروحاً دائمة فى جميع أنحاء العالم.

«روح الإنسان تحتمل مرضه أما الروح المكسورة فمن يحملها؟» (أم ١٨: ١٤). ما معنى أن يجرح الإنسان وما هو تأثير ذلك عليه؟ إن هذا الجرح المؤلم ينبع من قلب الإنسان أو روحه كنتيجة للتوجهات والأفعال والكلمات الخالية من المحبة التى يوجهها لنا الآخرون ويمكن أن يوصف بأنه ألم مزمن لا يتوقف ينبع من مكان أعماق من كل أعضاء جسم الإنسان. والشخص الذى لم يختبر هذا الألم الداخلى العميق من قبل، شخص محظوظ بالفعل.

والشخص الذى يميل نحو السلبية، تظهر فيه أعراض الجروح

الدائمة في صورة شفقة على النفس، وإدانة النفس، والانحصار المرضى في الذات. وربما يؤدي ذلك لكرهية النفس والاكْتئاب أو حتى أفكار الانتحار. أما الشخص الذي يميل أكثر للعنف فيصبح غاضباً، منتقداً، دياناً، كارهاً، وربما يستخدم العنف ضد المقربين إليه وهذه الأعراض عادة ما تكشف عن «روح جريمة» تأخذ الإنسان بكامله في طريق الألم والمعاناة. إن الروح المجروحة قد تؤدي إلى هدم بنية الحياة بأكمله، وكسر العلاقات الهامة مع الآخرين، والقضاء على قدرة الروح المسئولة عن تعضيد كيان الإنسان كله.

وإذا كنا لا نستطيع احتمال الجروح في حياتنا كيف يمكننا التعامل معها؟ هل توجد طريقة أخرى للتعامل مع لص الحياة هذا؟

لقد قدرت إحدى الدراسات أننا نستخدم ٥٠٪ من قدراتنا النفسية فقط للتغلب على جروح الماضي. كيف إذن نتحرر ونبدأ في اختبار نصيبنا الكامل من الحياة؟ هل يمكن أن تمحي ذكرياتنا، هل نستطيع تجديدها أو إعادة برمجةها؟

تسجيلات القلب

لكي نفهم عمل المخ البشري بشكل أفضل دعونا نلقى نظرة على بحث أجراه «د. ويلدر بينفيلد» في مونتريال^(x) وهو بحث يدور حول علاج مرضى يعانون من بوّارات صرعية وفي هذا البحث كتب «بينفيلد» بعض الملاحظات المثيرة للدهشة فيما يختص بالذاكرة والمشاعر خلال مسار الجراحات التي كان يجريها في المخ فبينما كان

(x) Memory Mediquisms A.M.A Archives of Neurology and Psychiatry 67 (1952) 178-198.

المريض تحت مخدر موضوعى وهو واع تماماً، قام «بينفيلد» باستثارة القشرة الخارجية للمخ فى منطقة الفص الصدغى بواسطة تيار كهربائى ضعيف. وكانت النتيجة مفاجأة! لقد ظهرت على السطح أحداث من الماضى مع المشاعر المصاحبة لها وخرجت من اللاوعى و«عرضت» أمامه فى العقل الواعى بكل وضوح وبتفاصيلها واستنتج «بديفيلد» من هذا أن الأحداث والمشاعر المصاحبة لها مرتبطة معاً ارتباطاً وثيقاً ومحفوظة على «شريط» فى قشرة الفص الصدغى للمخ ولم تؤدى الاستثارة الكهربائية فقط إلى تذكر كامل، ولكنها أدت إلى أن عاش الشخص هذه الأحداث فى ذهنه. ومنذ ذلك الحين تظهر الملاحظة أن الاستثارة التى تحدثها الحياة اليومية العادية يمكن أن تحدث نفس التأثير فتخرج إلى السطح ذكريات ومشاعر يمكن أن تعود حتى لفترة ما قبل الولادة. والسؤال هنا هو ماذا نفعل عندما تظهر هذه الذكريات والمشاعر على السطح؟ هل يمكن شفاء جروح الماضى وتخفيف آلامها؟ دعونا نرجع إلى ما قاله خالقنا من تعليقات على الحياة والإنسانية لنحصل على المزيد من البصيرة للرد على هذه الأسئلة.

لقد تكلم الله من خلال بولس الرسول وأوصانا أن «نتغير عن شكلنا بتجديد أذهاننا...» وأن نتجدد بروح أذهاننا (رو ١٢: ٢؛ أف ٤: ٢٣) ولكن ما هى روح الذهن؟ وكيف يمكننا تطبيق هذا؟ لقد عرفها قُنسنت أنها «المبدأ الأعلى فى حياة الإنسان التى يفكر بها ويحكم على الأمور. إنها مركز التفكير الأخلاقى والمعرفة»^(x) وتغييرها هنا لا يعنى ببساطة مجرد تغيير رأى أو عقيدة فهو يقول أن «روح الذهن» عندما تتجدد فهى تحدث تغييراً فى توجه العقل وكل ما فيه من أفكار.

(x) Marvin Vincent, Word Studies in the N.T. Vol. 3 (Grand Rapids Erdmans p. 395.

تجديد القلب

من خلال هذه الأفكار والآيات الكتابية، نرى أن التجديد هو الدعامة التالية التي نضعها في حجر الأساس. والتجديد أمر ضروري لشفاء جراح نفس الإنسان.

«لأنه هكذا قال الرب. كسرك عديم الجبر وجرحك عضال» والرب يتكلم هنا عن عدم قدرة الإنسان على التعايش مع المشكلة التي يعاني منها والتي تضعفه. ثم يقول الرب «لأنى أرد لك عافيتك وأبرىء جراحك، يقول الرب» (إر ٣٠: ١٢، ١٧) كيف يشفى الرب جراحنا ويجددنا بروح ذهننا؟ وما هي مسؤوليتنا نحن في هذه العملية؟

دعونا نقترب أكثر إلى كلمة تجديد. إن أحد الأفعال باللغة اليونانية التي تترجم «يجدد» هو «anakainoo»، وفي قاموس Vine التفسيري للعهد الجديد نجد أن الكلمة منقسمة إلى قسمين «ana» وتعنى مرة أخرى و«kainos» وتعنى جديد وليس جديد بمعنى «حديث» ولكن بمعنى «مختلف»^(x).

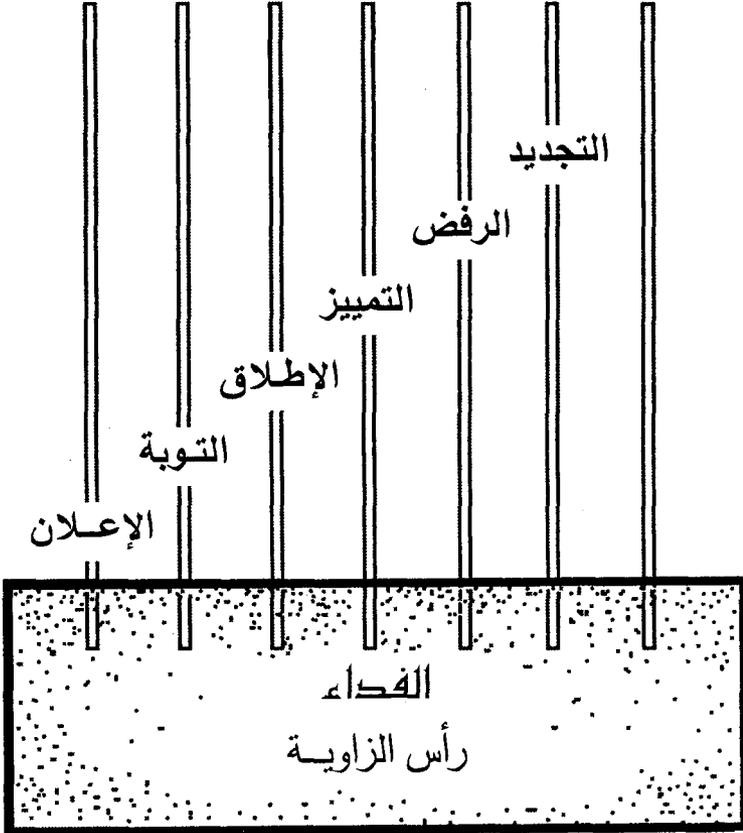
وهكذا يعنى التجديد أن يصير الكل جديداً أى أن يصبح الماضى جديداً متغيراً. إننا بالطبع لا نستطيع تغيير أحداث تمت فى الماضى لكننا نستطيع أن نغير ردود أفعالنا وتوجهاتنا التى تنبع من هذه الأحداث، وتؤثر فى روح ذهننا وبالإضافة لذلك، فإن هذه الكلمة يمكن أن تشير ببساطة إلى شفاء جروح الماضى وبداية حياة جديدة كما فى رومية ١٢: ٢ فإننا نستطيع أن نتغير عن شكلنا وتتغير التشوهات التى قد أحدثها فينا الماضى والحاضر وكل هذا من خلال تجديد روح الذهن.

(x) Vine Expository Dictionary, op. cit., p. 960

سور الخلاص

نحميا = إعادة البناء

عزرا = المصالحة



(شكل ٣٦)

شفاء القلب

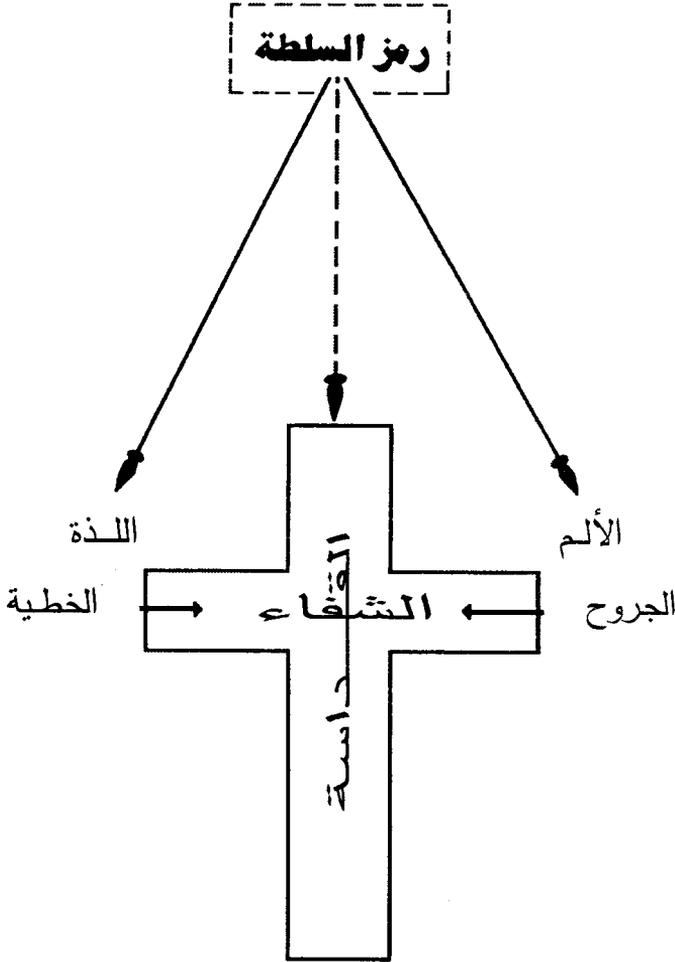
يتساءل البعض هذه الأيام ما إذا كان شفاء القلب أمراً كتابياً أم لا. لم تكن لدى داود أى شكوك عندما تأمل عودة المسبيين وإعادة بناء أورشليم قائلاً: «يشفى المنكسرى القلوب ويجبر كسرهم»^(x) فى سفر الرؤيا نقرأ عن نهر من البلور الصافى ينبع من عرش الله وعلى جانبه شجرة الحياة التى «أوراقها لشفاء الأمم» (رؤ ٢٢: ٢).

لا شك أبداً أن رغبة الله هى أن يشفى الجريح والكسير. يقول البعض إن المؤمنين المسيحيين هم فقط الذين يطلقون النار على جرحاهم. وللأسف فإن هذا كثيراً ما يحدث، ولكن الله قد رتب شفاء للجروح، تماماً كما رتب خلاصاً من الخطيئة وذلك تم على نفس الصليب الذى علق عليه المسيح، فعلى الصليب جرح المسيح ليشفى جراحنا. إن الصليب هو ترتيب الله لنا والخدمة الشفعية التى قام بها المسيح هى مفتاح شفاء أعمق الجروح والعذابات فى قلب كل مؤمن به. ولكى تفهم هذا السر دعونا نتأمل هذا الفداء العظيم الموصوف فى إشعياء ٥٣: ٥ و١ بطرس ٢: ٢٤ :

«وهو مجروح لأجل معاصينا، مسحوق لأجل آثامنا تأديب
سلامنا عليه وبحبره شفينا»

«الذى حمل هو نفسه خطايانا فى جسده على الخشبة (كما
على مذبح قدم نفسه عليه) لكى نموت (لا نكون فيما بعد)
عن الخطايا فنحيا للبر. الذى بجلده شفيتم»

(x) مز ١٤٧: ٣ - راجع أيضاً مز ١٨: ٣٤؛ إش ٥١: ١٥، إش ٦١: ١؛ لو ٤: ١٨.



(شكل ٣٧)

إن هذه الأعداد توضح جانبين هامّين من جوانب خدمة المسيح على الصليب وهذان الجانبان مرتبطان بما قلناه من قبل عن الشهوة وأرجوحة الألم/ واللذة التي قد يتأرجح بينها الإنسان.

ويُصوّر شكل ٣٧ بندول الألم واللذة متأرجحاً بين اللذة الشهوانية الناتجة عن الخطية من ناحية وبين الألم الداخلى الناتج عن الجراح التي تصيبنا من ناحية أخرى وهذا التأرجح لا يمكن أن يوقفه إلا الصليب حيث نجد تطهيراً للخطايا وشفاءً للجروح. إن هذه الأحمال ثقيلة جداً علينا ولا نحتاج لأن نحملها، ولو حاولنا حملها سوف نخور تحت ثقل العار والخجل والألم بسبب الخطية والمرارة والذنب والمعاناة بسبب الجروح. لقد جاء المسيح لكي يهبنا بموته على الصليب حياة. لقد عانى الظلم والألم والمعاناة على الصليب حتى يحمل هو نفسه الظلم الواقع علينا فى جسده معطياً شفاءً للنفوس الجريحة.

عملية التجديد

الآن وبعد أن بحثنا بعض مبادئ عملية التجديد، ماذا يحدث عندما نطبق هذه العملية على ظروفنا الحاضرة؟. ما هي الخطوات التي نأخذها لكي نحصل على هذا الشفاء فى قلوبنا؟ كيف نبدأ فى التحرك نحو الشفاء والاكتمال والقداسة؟

الاعتراف

إن إنكار وجود جرح داخلى لهو شكل من أشكال المناورة مع الذات. وبنفس الطريقة فإننا عندما نكبت الألم والجروح فنحن نخترن داخلنا مشاعر غير صحية. وهذا يمكن أن يؤدي للاكتئاب أو غيره من

الأمراض النفسجسمية، فإذا كنا نعانى من الألم فمن المهم أن نقبل هذا كحقيقة واقعة ونعترف بها أمام أنفسنا. يعتقد البعض أن المؤمنين لا يجب أن يتألموا وليس هذا سوى صورة روحية من صور الإنكار والكبت.

إن المسيح نفسه شعر بالألم بل ويكى على قبر لعازر (يو ١١: ٣٥) وبعد ذلك فى بستان جستيمانى لم يؤد ألم المسيح الداخلى إلى البكاء فقط بل كان عرقه كقطرات دم تخرج من جسمه (لو ٢٢: ٣٩-٤٥). من الواضح إذن أن الألم ليس خطية بل الطريقة التى نتعامل بها مع الألم هى التى يمكن أن تكون خاطئة.

الإيمان

لقد حمل المسيح ألماً وحزننا على الصليب، يجب أن نؤمن أيضاً أنه مستعد وقادر أن يحمل ألماً وحزننا اليوم. «بالنعمة أنتم مخلصون بالإيمان وذلك ليس منكم هو عطية الله» (أف ٢: ٨). وكما قبلنا الخلاص من الخطية بالإيمان يجب أن نثق أنه يشفى أيضاً أمراضنا وذلك بخطوة إيمان وبينما نحن نصارع مع عدم الإيمان، يمكننا أن ننتصر بأن نغرس فى نفوسنا الحق الإلهى فى مواجهة ما تثيره مشاعرنا وأحاسيسنا.

ولعلك الآن تسأل نفسك، «هل يستطيع الله فعلاً أن يجددنى ويغير هذا الجانب من حياتى؟ لقد مرت علىّ سنين طويلة وأنا على هذا الوضع. هل يمكن أن أتغير الآن؟! نعم، إنه يستطيع والإيمان يعطينا الانتصار!

الاعتراف

نقرأ في رومية ١٠: ٩-١٠ أن الفم يعترف به للخلاص أو الشفاء ولكننا نحتاج أيضاً لأن نعترف بخطايانا وجراحنا أيضاً ونحمل مسئولية حياتنا بالكامل. من السهل أن نلعب لعبة اللوم، فنلوم الوالدين أو المدرسين أو حتى الجيران وبالطبع فإن الوالدين ليسوا أشخاصاً كاملين، كما أنهم أيضاً مسئولون عن أفعالهم، وبالرغم أن تأثير الوالدين من الممكن أن يترك ندبات في حياتنا، لكن يجب علينا نحن أيضاً أن نتحمل مسئولية خطايانا وقبل أن نصلى معترفين بخطايانا، نحتاج لأن ننظر للخلف ونراجع خبراتنا المؤلمة. إن الشفاء هو مهمة الروح القدس لذا فمن المهم أن نخضع لقيادته وليس لمهارة شخص أو أسلوبه. خذ وقتاً كافياً في الصلاة من أجل كل مراحل حياتك سامحاً للروح القدس أن يظهر لنا بطريقة فوق طبيعية المواقف المهمة التي نحتاج لمراجعتها. ربما يشير إلى أحداث تعود حتى لفترة ما قبل الولادة أو لفترة الرضاعة أو الطفولة المبكرة أو المراهقة. قد يشير إلى علاقات مهمة وربما إلى علاقة الزواج، وعادة ما يكون التعبير العاطفي مدخلاً فعّالاً للصلاة الشافية ويصبح الاعتراف الباكي أكثر من مجرد تنفيس وعندما يختلط الاعتراف بالإيمان، فإن التعبير عن مشاعرنا لله بدموع يمكن أن يستبدل بالذكريات الجارحة بلبسان محبة يسوع وفهمه العميق لأعماق قلوبنا. إن المسيح يستطيع ويريد أن يحمل جراحنا لو اخترنا أن نفتح له أعماق قلوبنا.

الرغبة

لقد اختبرت أكثر من مرة أن أرواحنا، لكي تشفى، يجب أولاً أن

نرغب فى الشفاء. البعض يفضلون أن يستخدموا جراحهم ويحصلوا منها على امتيازات وبالتالي لا يريدون أن يتخلصوا منها وقد يقومون بالصلاة ولكنهم فى الداخل لا يحتملون أن يفقدوا ذلك العجز المفضل الذى حصلوا من خلاله على الاهتمام والعطف خوفاً من أن يتجاهلهم الناس أو يهملوهم وعادة ما يتنقلون من مشير إلى آخر وفى النهاية يقررون أن لا شىء ينفعهم ولا يعترفون أن الحقيقة هى أنهم ليسوا مستعدين أن يجعلوا هذه المفاتيح تعمل فى حياتهم «طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يشبعون» (مت ٦:٥) وعادة ما لا نشعر بالعطش إلا إذا وقعنا فى أزمة أو معاناة كبيرة.

الممارسة (التدريب)

فى ١ تيموثاوس ٤: ٧، نقرأ كيف أن التمرين الجسدى مفيد وكيف أننا أيضاً نحتاج أن ندرّب أنفسنا فى القداسة والصلاح وهذا أسرفى غاية الأهمية والقيمة. وفى إطار التجديد والشفاء يتضمن هذا التدريب التخلّى عن الممارسات وردود الأفعال القديمة واستبدالها بردود أفعال جديدة.

«أن تخلعوا من جهة التصرف السابق، الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور (الذى كان يميز طريقتكم السابقة فى الحياة والذى أصبح فاسداً بسبب الشهوات والرغبات التى تنبع من الضلال والظلام الفكرى) وتتجددوا بروح ذهنكم (وتصبحوا متجددين دائماً فى روح ذهنكم) وتلبسوا الإنسان الجديد (تتبنوا الطبيعة الجديدة) المخلوق بحسب الله (على صورة الله) فى البر وقداسة الحق» (أف ٤: ٢٢-٢٤).

كيف يمكننا عملياً أن نخلع العتيق ونلبس الجديد؟ يناقش الدكتور جارى «سويتن» فى كتابه التفكير المسيحى العقلانى كيف يصل كل منا إلى منظومته الإيمانية الخاصة وكيف أيضاً يغيرها (x) ويقول «سويتن» إننا نختبر أولاً حدثاً منشطاً (يكون بمثابة تحريك المشكلة). وهذا الحدث يسبب (مشاعر متولدة عنه ثم نتخذ تجاهه قراراً) (الموقف) وهكذا نبنى حول هذا التسلسل (عقيدة) فيكون الترتيب عبارة عن. تحريك المشكلة ← المشاعر المتولدة ← الموقف ← عقيدة. وهذه هى الكيفية التى يتكون بها لدينا نمطاً للسلوك وفيما يلي توضيح أكثر:

تحريك المشكلة

افترض أن هناك كلباً أسود هاجم طفلاً صغيراً وقطع له ملابسه.

المشاعر المتولدة

خوف، قلق، توتر

الموقف

يجرى الطفل بأقصى سرعة مبتعداً عن الكلب على قدر استطاعته ومثل هذه الخبرة فى الطفولة قد تكون شديدة الإيلام حتى أنها تؤدى إلى موقف يدوم لسنوات فى حياته عندما يصير رجلاً ويؤدى لمنظومة اعتقادية.

(x) Gary Sweeten, Alice Peterson and Dorothy Gevert Rational Christian Thinking.

عقيدة

حيث أن ذلك قد حدث فى الماضى بصورة مؤلمة، فإن الرجل البالغ يعتقد أن كل الكلاب السوداء عنيفة وخطيرة حتى أنه إذا رأى كلباً أسود اللون أثيرت عنده كل المشاعر التى صاحبت الموقف القديم ويعيش الموقف مرة أخرى وبالنسبة لمثل هذا الشخص فإنه لكى يغير مشاعره وسلوكه تجاه هذا المثير (الكلاب السوداء) عليه أولاً أن يتحدى منظومته الاعتقادية ويغيرها ويحدث هذا فقط عندما يستطيع أن يقبل حقيقة أن كثيراً من الكلاب السوداء وديع وهادئ وأنه يمكنه أن يشعر بالهدوء تجاه هذا النوع من الكلاب .

وبنفس الطريقة يمكننا أن نخلع التصرف السابق وأنماط السلوك التى تعلمناها فى الماضى ونلبس سلوكيات جديدة إذا ركزنا على حق كلمة الله وصدقناها فى قلوبنا واعترفنا بها بأفواهنا [انظر إلى «تعال جانباً» فى نهاية الفصل].

وإذا ألقينا نظرة أخرى على ١ تيموثاوس ٤: ٧ نلاحظ أننا نحن الذين نروض أنفسنا للتقوى نخلع العتيق ونلبس الجديد .

الحق ينبغى أن يقال

والنضب تحت السيطرة وكذا الانفعال

السارق لا يأتى بعد ليسرق ويحتال

يصير اللسان مروصاً ممتحن الأقوال

واللطف يمتد كما بالقول كذلك بالأفعال

ولتطبيق هذا، يجب أن يصاحب التغيير توبة مستمرة واعتراف وأمانة دائمة، وإلا فلن يستمر التغيير ويصير مستقراً لقد تاق بنو

إسرائيل لأن يشفى الله جروحهم، ولكن الله كان يتساءل ماذا يفعل بهم (هو ٦: ١-٤) ويقارن توبتهم بسحاب الصبح والندى الذى لا يكاد يظهر ثم يكتفى كيف يمكن أن يشفيهم الله. بهذه الطريقة؟ إن أهم المعضلات التى تقف أمام الله ليس أننا لا نقبل عطايا نعمته بل أننا كثيراً ما نرفض أن نصير مشابهين له وما لم يصاحب التغيير خلعاً للسلوك القديم ولبساً للجديد فإنه يظل تغييراً مؤقتاً. وليس قبل أن نروض أنفسنا للتقوى يمكن لنا أن نحافظ على النمو ونؤسس شفاءً حقيقياً.

الغفران

يجب أن نكون دائماً مستعدين لأن نغفر لبعضنا البعض كما غفر لنا الله فى المسيح (أف ٤: ٣٢). ولكننا كثيراً ما نقع فى فخ المرارة والكرهية وربما أكثر الصور إيضاحاً هى صورة العبد الذى لم يغفر لصاحبه بعد أن سامحه سيده بدين أكبر من الدين الذى له عند صاحبه (متى ١٨: ٢٣-٢٥). والأمر الذى لا يلاحظه الكثيرون منا هو أن ذلك العبد لم يقبل فعلاً غفران السيد غير المشروط له وكل ما قبله هو ما طلبه بالفعل وهو فرصة من الوقت لسداد الدين الذى تصل قيمته لما يعادل عشرة ملايين دولار ولكونه لم يقبل الغفران فى قلبه لم يستطع أن يعطيه للآخر - فأصبح غير المغفور له غير غافر والذى لم يقبل لم يستطع أن يعطى لذا لم يستطع أن يغفر عدم سداد دين لا يتجاوز العشرين دولاراً! ووضع المديون فى السجن. يعترف الكثيرون أنه مغفور لهم خطاياهم، ولكنهم لم يقبلوا الغفران فى قلوبهم حتى يحصلوا على الحرية فى حياتهم بل على العكس يجمعون الإساءات محتفظين بكل مضايقة أو إهانة أو جرح ويصنفون أرسيفاً كاملاً وسجلاً لكل خطأ

واضعين عنوان على كل إساءة باسم المسىء وتاريخ الإساءة ونوعها. ولكونهم مأسورين فى شبكة من الإساءات والجروح فهم يسيئون للآخرين ويجرحونهم ولكونهم لا يتمتعون بالغفران فهم يصارعون لكى يغفروا للآخرين ولكونهم يعتبرون أنفسهم فاشلين فهم يحبطون الآخرين ولايمانهم بأنهم مرفوضون فهم يرفضون الآخرين وهكذا. فإن «غفراننا لأنفسنا» يصبح له قيمة فقط عندما نحصل على غفران الله.

فإذا لم نكن قد حصلنا على غفران الله فى قلوبنا فإننا لا نستطيع أن نغفر من قلوبنا لا للآخرين ولا لأنفسنا. إننا يجب أن نضع أمام الله كل شعور بالذنب والعار لكى نحصل منه على العفو والغفران وعندما لا نفعل ذلك نصبح مثل هذا الشاب المأساوى الذى خرج من السجن بعد عقوبة أشغال شاقة مؤبدة ولكنه لا يصدق العفو الذى حصل عليه فإنه لا يستطيع أن يخطو خارج أسوار السجن لينعم بالحرية. إننا لكى نشفى يجب أن نعلم أن نغفر لأنفسنا من القلب.

النمو

إن التحدى الذى يضعه بولس أمامنا هو أن نُفطم عن اللبن ونحاول هضم طعام البالغين الروحى (عب ١١:٥-١٤). ويقول «اكبروا!»، داعياً إيانا أن ننمو إلى قامة المسيح بأن نقول الصدق فى المحبة لبعضنا البعض (أف ٤: ١٣-١٥). أحياناً يقول البعض الصدق بطريقة جارحة ومدمرة بينما يحاول البعض الآخر أن يحب فى صمت ولا يقول الحق خوفاً على السلام ولكى ننمو فى التقوى نحتاج إلى التوازن. إن الجراح القديمة المتقيحة يمكن أن تخلف ندباً قبيحة فى شخصياتنا وتوقف نمونا الروحى والنفسى.

المساعدة

إننا كما أخذنا يجب أن نعطي . إن الله يعد بأن يتم شفاؤنا سريعاً إذا اجتهدنا في أن نطلق المأسورين أحراراً ونطعم الجائعين ونأوى الذين بلا مأوى ونكسى العراة ونقدم أنفسنا ذبيحة محبة (إش ٥٨: ٨) . لقد واجه أحد الجراحين في أفريقيا موقفاً صعباً عندما أراد أقارب أحد المرضى أن يزوروه يومياً ويطمئنوا على جرحه برفع الضمادة عنها والنظر للجرح أخيراً قام الطبيب بصنع ضمادة بها فتحة لكي تظل موضوعة على الجرح حتى يكتمل الشفاء . إننا كثيراً ما نتصرف مثل هؤلاء الأقارب ونرفع الغطاء كل يوم لننظر لجراح قلوبنا .

يجب علينا بمجرد أن يقوم الجراح الأعظم بعمل جراحة روحية في قلوبنا أن نترك الأمر في يده حتى تمام الشفاء ونهتم باحتياجات المساكين والمتألمين فالرب سوف يهتم بنا ... « ... يشرق في الظلمة نورك ويكون ظلامك الدامس مثل الظاهر ويقودك الرب على الدوام ويشبع في الجذوب نفسك وينشط عظامك فتصير كجثة رياً وكنبع مياه لا تنقطع، (إش ٥٨: ١٠٠، ١١٠) .

إن كل الخطوات التي قد راجعناها هي خطوات في غاية الأهمية بالنسبة لعملية التغيير ولن يبدأ شفاؤنا في الظهور إلا إذا طبقناها على حياتنا بكل جد واجتهاد . الآن قد غرسنا ست دعائم حديدية في حجر الأساس لكي نتمكن من بناء أسوار الخلاص . في الفصل الأخير سوف نغرس الدعامة الأخيرة ثم نستعرض أسوار الشخصية بعد أن اكتملت مع أسوار الخلاص وأبواب التسبيح .

تعال جانباً

تأمل الأحداث التى قد أدت إلى جراح فى حياتك.

ما هى المشاعر السيئة والأنماط السلوكية التى ظلت فى حياتك منذ حدوث هذه الأحداث.

ما هى المنظومة الاعتقادية الخاطئة التى قد تبنيتهما منذ ذلك الوقت نتيجة لهذا الحدث؟

إذا لاحظت حاجة ورغبة للتغيير:

- ١- اسمح للرب أن يشفى ذكريات هذا الحدث.
- ٢- قل لله إنك ترفض هذه المعتقدات وأقبل معتقدات جديدة واعترف بها بصوت مسموع أمام الله وأمام نفسك أكثر من مرة (رومية ١٠: ٩-١٠).

شخصية جديدة تظهر

إن الدعامة الأخيرة التي يجب أن توضع في حجر الأساس هي التي سوف تساعدنا أن نبني السور ونجعل حجارتها تتماسك معاً وتصير جداراً قوياً، إنها دعامة إعادة البناء وهذه الدعامة تعنى أن السور سوف يستمر في البناء في ضوء الحق حيث أن الخلاص هو عملية مستمرة من التغيير حتى نصير أكثر شبيهاً بالمسيح. ويعبر بولس الرسول عن هذا الهدف في رسالته لأهل غلاطية «فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا في»، (غل ٢: ٢٠).

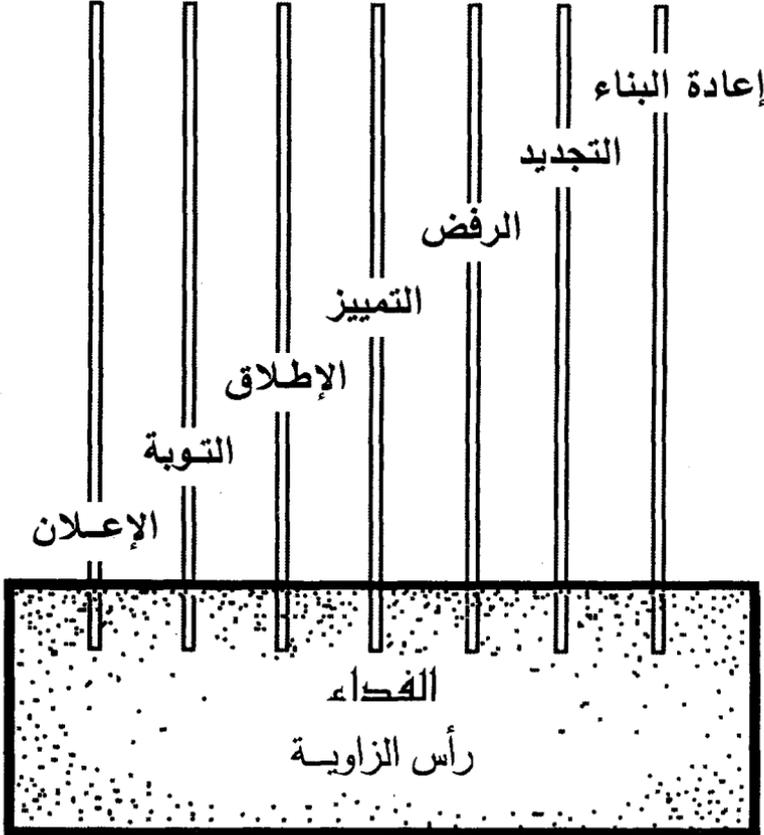
ونقرأ في نحميا ٢: ١٨، «وأخبرتهم عن يد إلهي الصالحة على وأيضاً عن كلام الملك الذي قاله لى. فقالوا لنقم ولنبن. وشددوا أياديهم للخير». وهكذا بدأ نحميا والعاملون معه في البناء وعندما أوشكوا على الانتهاء - يقول الكتاب - إن السور اتصل ولم تكن هناك ثغرات (نحميا ٦: ١) ولم يتبق سوى وضع البوابات في المداخل والمخارج.

وقبل أن ندخل في رموز اكتمال أسوار أورشليم دعونا نلقى نظرة على هذه البوابات وماذا تمثله وأهميتها بالنسبة لنا اليوم عندما نضعها في أماكنها في أسوار الخلاص. لقد كانت بوابات أورشليم هي نقاط الدخول والخروج للمدينة، اللازمة لحياتها اليومية وصيانتها وصحة أبنائها وعادة ما يكون هناك حراس يراقبون المرور خلال هذه البوابات

أسوار الخلاص

نحميا = إعادة البناء

عزرا = المصالحة



(شكل ٣٨)

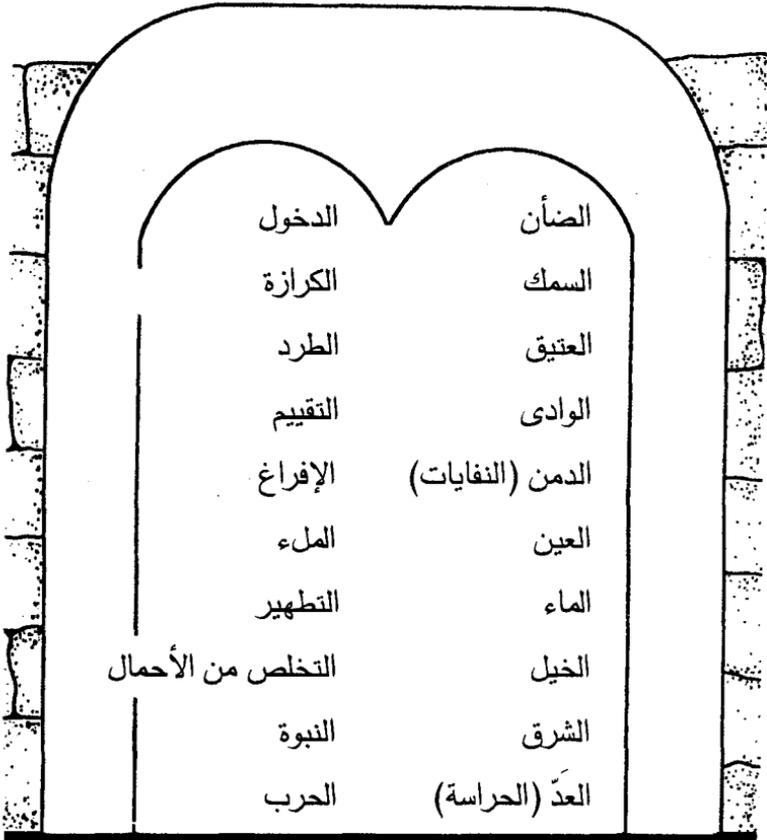
للتأكد من أن كل من يمر من هذه البوابات مقبول من أهل المدينة وحكامها وعندما ندرس مواصفات بوابات المدينة، سوف ننظر إليها باعتبارها مداخل ومخارج حياتنا الشخصية .

حراسة البوابات

عندما تنهدم البوابات أو تترك دون حراسة فإن العدو يدخل بسهولة وينهب ويسرق ويدمر المدينة. إن حياة الكثيرين قد نهبت وربما دمرت تماماً لأنهم أهملوا حراسة بوابات العيون أو الآذان وفي نفس الوقت إذا كانت البوابات صدئة وموصدة فإن المدينة تختنق بنفاياتها وتصبح تربة صالحة لتفشي الأمراض والموت، وقد تتفاقم الأزمة عندما لا تحصل المدينة من خلال بواباتها على إمدادات الغذاء والمياه التي تحتاجها. إننا يجب أن نلاحظ بوابات حياتنا بكل عناية فما يدخل منها قد يستحوذ على قلوبنا وربما يفسدها أيضاً والكتاب المقدس يوصينا: «فوق كل تحفظ (بكل يقظة) احفظ قلبك لأن منه مخارج (ينابيع) الحياة» (أمثال ٤: ٢٣) . ولأن البوابات هي مداخل قلوبنا فإننا يجب أن نحرسها حتى نحافظ على قلوبنا .

نرى في شكل ٣٩ قائمة بأسماء البوابات المتناثرة على طول أسوار اورشليم وهي مأخوذة من نمييا ٣ وهي ليست مجرد قائمة بأسماء الأبواب فقط بل هي قائمة أيضاً بأسماء الذين تطوعوا لبنائها وكذا النبلاء الذين رأوا أن عمل البناء لا يتناسب مع مكانتهم الرفيعة وعندما نتأمل كل باب من هذه الأبواب سوف نفحص دلالة كل اسم من أسمائها وتطبيق ذلك في حياتنا اليوم .

بوابات أورشليم



(شكل ٣٩)

باب الضأن (الخراف) --- الدخول

«فقال لهم يسوع أيضاً. الحق الحق أقول لكم أنى أنا باب الخراف، جميع الذين أتوا قبلى هم سراق ولصوص ولكن الخراف لم تسمع لهم. أنا هو الباب إن دخل بى أحد فيخلص ويدخل ويخرج ويجد مرعى» (يو ١٠: ٧-٩).

وإذ نقرأ هذا النص نرى كيف أن يسوع كان يقارن بين دوره كالراعى الصالح وبين أدوار السارقين واللصوص الذين يحاولون إهلاك الخراف واستهلاكهم ويقول يسوع إن السارقين لن يدخلوا من بوابة خلاصه بل سوف يتسللون من فوق الأسوار فى سرية وتلصص محاولين سرقة حياة وميراث هؤلاء المسترخيين غير الساهرين.

وبنفس الطريقة يجب علينا أن ندخل الحياة الروحية من باب الخراف هذا وإلا فلن نحصل على ميراثنا كأبناء لله فمن خلال عمل المسيح الكفارى الكامل على الصليب نستطيع أن ندخل ونخرج ونجد شركة مع الآب. يجب أن يكون المسيح بمثابة الباب لقلوبنا ويملك عليها رباً وسيداً ومخلصاً. إن باب الخراف يشير إلى الدخول إلى ميراثنا فى الحياة.

باب السمك --- الكرازة

عندما قابل يسوع أندراوس ويعقوب ويطرس ويوحنا لأول مرة كانوا يلقون بشباكهم فى بحر الجليل فقال لهم تعالوا ورائى فأجعلكم صيادى ناس (مت ٤: ١٨-٢٢) فلوقت تركوا شباكهم وتبعوه.

واليوم يوجه المسيح نفس الدعوة لنا فى نفس الوعد أن يجعلنا صيادى الناس. وباب السمك يشير إلى تلك الإرسالية العظمى المعطاة لنا فى متى ٢٨: ١٨-٢٠ أن نذهب للعالم أجمع ونكرز بالإنجيل لكل أمة وقبيلة وشعب ولسان.

إننا يجب أن نستثمر كل فرصة للامتداد ومشاركة الآخرين بالأخبار السارة عن يسوع المسيح فالله يقول إن «رابح النفوس حكيم» (أمثال ١١: ٣٠) ونحن لا يجب أبداً أن ننسى القيمة التى لا تقدر بثمن للنفس الضالة الواحدة حتى أصغر المؤمنين يستطيع أن يقود شخصاً آخر لمعرفة صديقه ومخلصه يسوع المسيح.

وفى جامعة آسيا والمحيط الهادئ المسيحية (PACU) حيث أخدم كعميد لكلية المشورة والرعاية الصحية، نعتبر أن مهمتنا العظمى هى أن نصل بإنجيل المسيح لكل أفراد هذا الجيل. وتدور كل برامج التدريب والدراسات المؤهلة للشهادات حول هذا الهدف المركزى فمن الرعاية الصحية حتى اللاهوت يكون الهدف هو الوصول للبعيدى. إننا نتعلم كيف نواجه الاحتياجات التى نلمسها ممتدين تدريجياً للمس احتياجات أبدية أعمق فى قلب الإنسان من خلال تعليمنا عن الكرازة.

الباب العتيق --- الطرد

يشير الباب العتيق إلى «إنساننا العتيق» بكل ما يحمله من غضب ولعنة وافتراء وكذب وممارسات شريرة عديدة. إن هذا الإنسان العتيق غير المتجدد يجب أن يطرد خارج الأسوار ويتم التخلص منه تماماً (كو ٣: ٨-٩) وبدلاً منه نلبس الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله

وعلى شبهه. «ولبستم الجديد الذى يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه»
(كو ٣: ١٠).

ولكن خلع العتيق هذا عادة ما يكون العقبة التى تقف فى وجه التغيير وما لم نتبنى هذه العملية بكل قلبنا، فلن ننمو نمواً حقيقياً أصيلاً والمعادلات التالية تظهر ذلك بوضوح.

خلع - لبس = لا تغيير

لبس - خلع = تغيير قصير المدى

خلع + لبس = تغيير حقيقى

الكثيرون منا يتغيرون لمدى قصير ويظلون يصارعون لسنين. إن التغيير يمكن أن يحدث ولكنه لن يدوم إلا بعد أن يصلب الإنسان العتيق مع المسيح على الصليب ليبطل جسد الخطية كى لا نعود عبيداً للخطية (رو ٦: ٦) ولكن أغلبنا يخشى الصليب لكن المسيح قال بوضوح إننا إن لم نصلب الطبيعة الخاطئة يومياً لن نستطيع أن نكون له تلاميذ وإذا حاولنا أن نكون مسيحيين مؤمنين دون استخدام الصليب لطرده الذات العتيقة غير المتجددة سنتعثر ونسقط.

باب الوادى --- التقييم

«أيضاً إذا سرت فى وادى ظل الموت، لا أخاف شراً لأنك أنت
معى ...» (مز ٢٣: ٤).

إننا جميعاً نسير خلال أودية مختلفة ومواقف صعبة وتجارب مريرة وعندئذ فقط نعرف حقيقة قلوبنا.

فى سنة ١٩٨٠ وخلال ذروة خروج الشعب الفيتنامى/الكمبودى كنت أعمل فى مستشفى للاجئين فى تايلاند على حدود كمبوديا. وفى أحد الأيام خلال مرورى الصباحى على عنابر المستشفى شاهدت طبيبين أمريكيين يبدو عليهما التعب وأخبرانى أنهما قد جاءا ليحلا محل طبيب آخر فى مستشفى صغير فى كمبوديا لكنهما احتجزا فى نقطة إطلاق نار ولم يستطيعا النوم طوال الليل بسبب القصف المتواصل لذلك اعتبرنا أن الشجاعة تنطوى على الانسحاب فى الوقت المناسب وبعد يوم أو اثنين فقط فى كمبوديا قررا التراجع وعبرا الحدود عائدين إلى تايلاند.

وبينما كنت أستمع إليهما بتعاطف، شعرت بصوت منخفض خفيف يدفعنى لأن أحل محلهما ويعلمى بأن هذا هو صوت الرب أظعت وقلت لهما إنى سأذهب مكانهما وفى الحال تقريبا بدأنا أجتاز وادى ظل الموت (مز ٢٣: ٤) مواجهاً احتمال القتل على أيدى الفيتناميين أو الوقوع فى الأسر وعلمت أنى قد لا أرى زوجتى وأولادى مرة أخرى.

وبمجرد أن صدمتنى تلك الحقيقة، بدأت فى البكاء إذ قد اندلعت حرب عميقة داخلى: ترى من الذى أحبه أكثر الله أم أسرتى؟ هل أحب الله من كل قلبى؟ هل أستطيع أن أثق به؟ هل هو معى؟ كنت أعرف أن التجربة تكمن فى مقدار طاعتى.

وعند عودتى لغرفة نومى الصغيرة المزدهمة بدأت فى كتابة رسالة لأسرتى «أحبائى وأغلى من عندى...» فجأة أجهشت فى البكاء

دون القدرة على السيطرة على نفسى وانهمرت الدموع على الورقة التى كنت أكتب فيها إذ هاجمتنى فكرة أننى قد لا أرى عائلتى مرة أخرى فبعقلى عرفت أنى لا بد أن أطيع الله وأذهب ولكن قلبى ومشاعرى اعترضت فى ألم نفسى شديد.

وقلت لنفسى، ربما كان لا يجب أن أذهب على أى حال. ربما كان يجب أن أبقى حيث أنا! ولكنى فى النهاية أنهيت كتابة هذه الرسالة المبللة بالدموع وبعدها أوصيت أحد الأصدقاء أن يسلم الرسالة وأخبرته كيف يفعل ذلك بدأت فى البكاء مرة أخرى وإذ واجهت فكرة النتيجة المحتملة لطاعتى، حسبت حساب النفقة واخترت الطاعة والذهاب لأحل محل الطبيب فى المستشفى بكمبوديا. أما ما قد حدث فهو أن الله قد ذهب معى وبالرغم من أن المستشفى قد قصف بعد رحيلى إلا أن الله أتى بى سالماً لأسرتى فى هاواى. وعرفت عن طريق الخبرة الشخصية أن أوقات التجارب تقوى عزيمتنا وتنقى قلوبنا ودوافعنا ونحن نجتاز وادى الدموع ونحن متغربين قاصدين المدينة المقدسة أورشليم السمائية «عابرين فى وادى البكاء يصيرونه ينبوعاً أيضاً ببركات يغطون مورة (الأرض المرة) يذهبون من قوة إلى قوة ...» (مز ٨٤: ٦، ٧).

باب الدم (النفائات) --- الإفراغ

«لكن ما كان لى ربحاً فهذا قد حسبته من أجل المسيح خسارة بل انى أحسب كل شىء أيضاً خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربى الذى من أجله خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية لكى أربح المسيح» (فيلبى ٣: ٧، ٨).

من الواضح أن بولس الرسول لم يكن يحتفظ بالقمامة! فكان يتخلص من كل ما ليس له نفع ويفرغ حياته منه تماماً. ولكن البعض منا يجمع كمية كبيرة من القمامة خلال مسيرة حياته حتى أنها تشل حركته تماماً. وكثيراً ما نكبل أنفسنا بقيود ما نمتلكه ناسين أننا بجمالنا ملك للمسيح. لقد نحى بولس جانباً كل ثقل الخطية حتى لم يعد يعوقه شيء عن الفوز بجعالة الحياة نفسها، عندما نتعثر في القمامة التي تملأ حياتنا يجب أن ندفع بها من باب النفايات ونتركها خارجه للأبد.

إن فرق (شباب له رسالة) للرعاية الصحية في الفلبين تخدم في منطقة لجمع كميات هائلة من القمامة في مانبلا حيث يقوم الآلاف من ساكنى القرية بغريلة وتصنيف القمامة للبحث عن أى شيء يمكن إعادة تصنيعه.

كم منا نحن أيضاً يبحث في القمامة عما يعيد تصنيعه محاولين البحث في نفايات حياتنا على أمل أن نجد شيئاً ننتفع به؟ إننا بدلاً من هذا نحتاج لأن نفرغ حياتنا من كل هذه النفايات مرة واحدة وإلى الأبد.

باب العين --- الملء

«إن عطش أحد فليقبل إلى ويشرب. من آمن بى كما قال الكتاب تجرى من بطنه أنهار ماء حى» (يو ٧: ٣٧، ٣٨).

يتكلم المسيح هنا عن الروح القدس الذى ينبع من خلالنا كينابيع ماء حى عندما نسمح له بالدخول من باب العين. لقد عرف يسوع أن بدون ملء الروح القدس سوف لا يمتلك التلاميذ القوة للشهادة أو الخدمة

لذا فقد طلب منهم أن ينتظروا في أورشليم لكي يحصلوا على هذا الملعق الموعود به (أع ١: ٤) وفي سفر أعمال الرسل نقرأ قصة عمل الروح القدس في هؤلاء المنفتحين عليه والمتاحين له. بل قد أوصانا الكتاب أن «نستمر في الملعق» بالروح القدس ولا نسكر بخمر العالم (أف ٥: ١٨).
إننا إن تجاوزنا باب العين سوف نخدم الله بمجهوداتنا البشرية العاجزة أمام حياة الخدمة للمسيح «لا بالقوة ولا بالقدرة بل بروحى قال رب الجنود» (زكريا ٤: ٦).

باب الماء --- التطهير

«أيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها لكي يقدسها مطهراً إياها بغسل الماء بالكلمة لكي يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو شيء من مثل ذلك بل تكون مقدسة وبلا عيب» (أف ٥: ٢٥-٢٧).

إن كلمة الله هي كالماء الذى يطهرنا. فنحن نحتاج لأن نغسل أنفسنا فى حق كلمة الله يومياً متأملين بها ومحاولين حفظها وبينما نفعل ذلك، تظل قلوبنا نظيفة من التلوث بالخطية المحيطة بنا كل يوم.

فى مرة من المرات، كنت فى أجازة صيفية من كلية الطب وكنت أعمل فى وضع بالوعات مع مجموعة من الرجال الذين يمكن أن نسميهم «أولاد الشوارع» ولم يمضى وقت طويل قبل أن ألاحظ أن أفواههم مليئة بألفاظ بذيئة حتى أنها لم تكن أنظف كثيراً من المجارى التى كنا نضع بالوعات لصرفها. وبعد بضعة أيام وجدت نفسى أبداً فى التفكير بلغتهم وصرخت للرب بخوف فقادنى نحو برنامج مكثف لحفظ

آيات كتابية وكلما جاءت كلمة نابية فى ذهنى، كنت أقتبس آيات من الكتاب المقدس بدلاً منها ووجدت الكلمة قوية فهى لم تحفظ عقلى وقلبى طاهرين خلال يوم العمل فقط بل كانت سيفاً ذا حدين يصد كل هجمات العدو.

باب الخيل --- التخلص من الأحمال

«تعالوا إلىّ يا جميع المتعبين وثقيلى الأحمال وأنا أريحكم (سوف أخفف عنكم وأنعش أرواحكم)» (مت ١١: ٢٨).

إن الخيل تحمل الأثقال واستخدمها الإنسان فى كل المواقف على مر العصور لذا فإننا عند باب الخيل، نتخلى عن أحمالنا من القلق والخطية والذنب والكراهية والجراح النفسية وغيرها الكثير لنضعها بين يدى يسوع. وكما نقرأ فى متى ١١، فهو يعد بأن يستبدل حملنا الثقيل بحمله الخفيف لكن مازال الكثيرون منا يسيرون حاملين أحمالهم الثقيلة. إنه يود أن يحملها عنّا ويعطينا حمله الخفيف، حمل أن نتعلم طاعته ونثق به من كل قلوبنا ويوصينا الكتاب أيضاً ألا نقلق ونحمل الهموم بل فى كل الأمور نأتمن الله على حياتنا كلها فى الصلاة (فى ٤: ٦). ولكننا كثيراً ما ننسى هذا ونبدأ فى القلق والهم ولا نصلى إلا إذا وقعنا فى أزمة شديدة «انظروا إلى طيور السماء إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن وأبوكم السماوى يقوتها. ألستم أنتم بالحرى أفضل منها ومن منكم إذا اهتم يقدر أن يزيد على قامته ذراعاً واحداً» (مت ٦: ٢٦، ٢٧). وكلما زادت الأحمال التى

نحملها قل نصيبنا من الحياة الحقيقية ولكن تظل هناك راحة لكل واحد منا.

«فلنخف أنه مع بقاء وعد بالدخول إلى راحته يرى أحد منكم أنه قد خاب منه لأننا نحن أيضاً قد بشرنا كما أولئك أيضاً لكن لم تنفع كلمة الخبر أولئك إذ لم تكن ممتزجة بالإيمان في الذين سمعوا لأننا نحن المؤمنين ندخل الراحة» (عب ٤: ١-٣).

باب الشرق --- النبوة

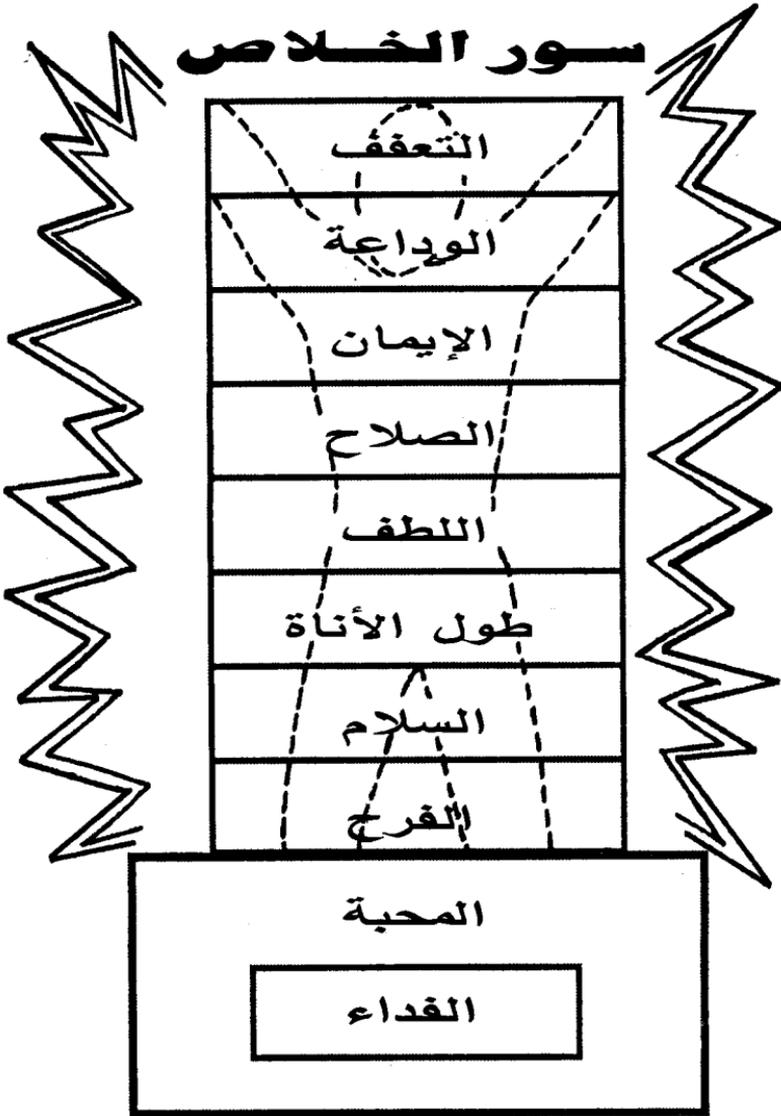
تحدث كثير من النبوات في الكتاب المقدس عن الشرق الأوسط. إن صدق النبوات الكتابية تثبته أحداث تاريخية حدثت بخصوص المسيح واليهود لذا فيجب أن ندرس ونفهم النبوات جيداً ونصلى لتتحقق خطط الله التي سوف تظهر في نهاية هذا الدهر وبداية الدهر الآتى «ليأت ملكوتك. لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض» (مت ٦: ١٠).

باب الحراسة --- الحرب

«على أسوارك يا أورشليم أقمت حراساً لا يستكون كل النهار وكل الليل على الدوام. يا ذاكرى الرب (يا خدامه) لا تسكتوا (في صلواتكم ذكروا الرب بوعوده) ولا تدعوه يسكت حتى يثبت ويجعل أورشليم تسبيحة في الأرض» (إش ٦٢: ٦، ٧).

في هذه الأعداد يوجد أعظم تحدٍ للكنيسة اليوم فإذا لم نكن، من خلال الصلاة ندخل في حربٍ وصراع في السماويات سوف

سور الخلاص



(شكل ٤٠)

لا نثبُت ولا نواجه الشيطان وهجماته المنظمة على الكنيسة. لقد جهزنا الله بأسلحة ليست جسدية بل قادرة بالله على هدم الحصون (١ كو ١٠: ٣-٥). ولكننا إذا لم نستخدم هذه الأسلحة - فسوف نخسر المعركة. إن من أكثر الاحتياجات إلحاحاً في الكنيسة اليوم هو للمصلين المتشفعين الذي لا يدعون الله يسكت حتى يستجيب. إننا في (شباب له رسالة) استطعنا أن نبدأ في تحقيق دعوة الله لنا كإرسالية عندما بدأنا نجعل التشفع أسلوب حياة لنا وبنفس الطريقة سوف لا تختبر الكنيسة تجديداً إلا إذا كان فيها مجموعة أو فريق من «الحراس» المستعدين لشن الحروب في السماويات من خلال الصوم والصلاة والإيمان وبالإضافة إلى ذلك فنحن الأفراد سوف نرى تحقيق الله لوعوده في حياتنا فقط عندما نخرط شخصياً في صلاة منتظمة وحرب روحية لا تهدأ. اسهر وصل وكن ثابتاً!

إننا عندما نتطلع إلى باب الضأن ونرى الأبواب الأخرى في أماكنها وتقوم بأدوارها في أسوار الخلاص نستطيع أن ندخل من باب الخراف هذا إلى علاقة مباركة غنية مع المسيح. «ومتى أخرج خرافه الخاصة يذهب أمامها والخراف تتبعه لأنها تعرف صوته» (يو ١٠: ٤).

إننا عندما نعرف أن المسيح يذهب أمامنا ونعرف صوته ونميزه من بين أصوات كثيرة فنحن عندئذٍ في أفضل وأغنى وضع في الحياة كلها وإذا كنا مستعدين أن نطيعه فسوف يكون لنا كلنا هذا الفرح وذلك الامتياز العظيم.

في مزمور ٢٤ نقرأ إشارة أخرى للأبواب عندما يخبرنا داود أن الطاهر اليدين والنقى القلب هو فقط الذي يدخل هيكل الرب ويستمتع بحضوره ويحثنا أن نطلب وجه الرب ونلتمس ذلك الحضور الشافي

حتى نقف أمامه ثم يرفع داود صوته بالقرار «ارفعن أيتها الأرتاج رؤسكن وارفعنها أيتها الأبواب الدهريات فيدخل ملك المجد .. من هو هذا ملك المجد؟» (مز ٢٤: ٧، ٨).

إننا نحتاج أن نضع بوابات حياتنا فى أماكنها من السور لنفتح الطريق أمام ملك المجد وكما يتردد سؤال داود من هو هذا ملك المجد؟ يأتى الجواب عندما نضع طوبة فوق طوبة لإكمال سور الخلاص.

«لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» (يو ٣: ١٦).

إن هذه الكلمات تكشف حقيقة ملك المجد هذا ففي خطة الله العظيمة للقداء، يتضح أن المحبة هى حجر الزاوية التى عليها يبنى كل السور لأن الله محبة والمسيح قد دفع الفدية العظمى حتى لا نهلك وإلى أن نختبر هذه المحبة، لا نستطيع أن نكمل أسوار الخلاص.

«ليرج إسرائيل الرب لأن عند الرب الرحمة وعنده فدى كثير» (مز ١٣٠: ٧).

إن ملك المجد هو:

المحبة	الصلاح
الفرح	الإيمان
السلام	الوداعة
طول الأناة	التعفف
اللطف	

والشخص الوحيد الذى تنطبق عليه كل هذه الأوصاف هو ملك

المجد وعندما يصبح ملك المجد هذا ساكناً ورئيساً في حياتنا يبدأ شبهه في الظهور علينا عندئذ يبدأ سور الخلاص يكتمل ويتشكل باكتمال شخصياتنا .

«إلى أن ننتهى جميعاً إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله إلى إنسان كامل (اكتمال الشخصية التي لا تقل عن مقياس كمال المسيح نفسه) إلى قياس قامة ملء المسيح» (أف ٤: ١٣) .

ختام

الآن وقد اجتزنا كل مراحل إعادة بناء جدران قلوبنا في استقامة مع الزيج الإلهي، أتق أن الله قد فتح حياتك على نور وحق وطريق جديد لقد رأينا كيف يغرب بنا العدو لكي نبني في حياتنا جدراناً معوجة متقلقة من الرفض والتمرد مستخدمين في ذلك زيجاً بشرياً. يجب أن نتوب عن الكبرياء وعدم الإيمان ونتعامل معهما قبل أن نهدم هذه الأسوار المائلة ونستبدلها بأسوار قوية راسخة مستقيمة مع الزيج الإلهي وأسوار الخلاص هذه تعكس الصورة الحقيقية والطبيعية الثابتة لله ونحن إذ نستمر في تبني الزيج الإلهي والحياة بمقتضاه نصبح أولاداً وبناتاً لله .

وعندما تستمر جدران قلوبنا في أن تبني متفقة مع الزيج الإلهي سوف نجد ينباع قلوبنا تمتلئ وتفويض بالخلاص فنستقى مياهاً بفرح من ينباع الخلاص وسرعان ما سوف يهرع إلينا الآخرون ليستقوا هم أيضاً من ينبوع الماء الحي هذا إذ نختبر اكتمالاً شخصياً وقداسة لم نعرفها من قبل .

إننا نقرأ أن عيني الرب تجولان - رائحة غادية - تبحث عن هؤلاء الذين قلوبهم كاملة من نحوه الذين تستقيم قلوبهم مع رزقه الإلهي، (٢أخ ١٦: ٩).

لنقرر إذن أن نكون من بين هؤلاء الذين يسمحون لله بإعادة بناء حياتهم وعندئذ سوف لا نجد أنفسنا قد تقوينا وبوركنا وحصلنا على كامل ميراثنا فقط بل يستخدمنا الله أيضاً لنظهر مجد صورته ونتمم مقاصده على الأرض عندئذ سوف نجد حياتنا مثل تلك المدينة التي يصفها النبي إشعياء التي ليست قوية فقط بل متألئة بالمجد السماوى:

«أيتها الذليلة المضطربة غير المتعزية هاأنذا أبني بالأثمد (الفيروز) حجارتك وبالياقوت الأزرق أوُسُسك، وأجعل شرفك ياقوتاً وأبوابك حجارة بهرمانية وكل تخومك حجارة كريمة» (إش ٥٤: ١١، ١٢).



ولد د . بروس تومسون وزوجته في نيوزيلاندا . وقد تقابلا في أثناء القيام ببعض الأعمال المرسلية في غرب أفريقيا وتزوجا ، وقد خدما معا في خدمة كنسية طبية . وعند عودتهما إلى نيوزيلاندا بدأ برنامجا للرعاية الصحية في كنيستهما . وعندما التحقا بإحدى الهيئات المسيحية في عام ١٩٧٩ بدأ في تطوير ما يسمى الآن بكلية المشورة والرعاية الصحية في جامعة الأمم . وقد أسسا مدارس في أنحاء العالم تحت رعاية هذه الكلية . وهما يعقدان حلقات دراسية للمهتمين بالرعاية الصحية سواء من المهنيين أو قادة الكنيسة في العديد من الدول . وهما يعيشان الآن في مدينة لوزان بسويسرا حيث يساعدان في عمل يتعلق بالجامعة . ولبروس تومسون وزوجته ابنان يعدان دراسات في الجامعة في الولايات المتحدة الأمريكية في علم الاتصال والعلوم السياسية .



مكتبة المنار
Lighthouse Book Center